

تصميم : أمينة العربي



# على طاولة النقد

دراسة نقدية لروايتي  
( عمارة يعقوبيان \_ شيكاغو )

عمر أحمد سليمان



# على طاولة النقد

دراسة نقدية لروائتين مُعاصرتين:

"عمارة يعقوبيان" و "شيكاغو". لـ د. علاء  
الأسواني

«نقد فكري وفني»

عُمر أحمد سُليمان

## \*\* أولاً: مُقدمتي لمشروعي النقدي

- بالنسبة لهدفي من النقد.. فأنا أحب أن أعلق بجملة تُعبر عن الأمر بشكل متسق ومنسق ومنطقي، ومُعتدل الميزان بين كل أطراف الحرية..

"بإمكان الجميع أن يُعبر عن رأيه كما يحلو له...

وبإمكاني أيضاً أن أصرخ معترضاً حين أسمع كلاماً أحمقاً.."

أحمقاً بالطبع من وجهة نظري..

وإنني أنتظر بالطبع رداً على نقدي ينعته بالحماقة.. بلا ريب..

لكنها الحرية يا سادة..

تقبل جميع الآراء..

وأنا أحترم الاحترام المتبادل..

أحترم كل رأي..

لكني لست مع مَنْ يفرض رأيه على أي شخص آخر..

وأؤمن بالقول العملي والإنساني، الذي يقول:

"نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويغذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه"

والذي تدعمه عدة آيات كريمات، تحض على معنى الإنسانية،

والاحترام المتبادل بين البشرية جمعاء:

يقول المولى العظيم في كتابه الحكيم: (( وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {19} )) [يونس]

و (( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ )) [هود]

و (( تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ )) [من آية 64، آل عمران]

- وعندما أنقد أي عمل.. لا أنقده لأنه ملك للمؤلف..

بل لأنه ملكي..

وحدي..

يقول الناقد الكبير محمود يوسف الزيات في كتابه عمل الناقد، وتعقيبي على سطره بخط اللون الأحمر:

(( العمل الفني (الذي يراهن على قدرته على إيهامنا باستخدام خيالنا الخاص ووعينا المشترك) يكاد يمزج مزجاً تاماً بين قضايانا الخاصة (كمبدعين) وبين قضايا عامة تتعلق بالجميع، أو يطرح قضايا تبدو عامة ولكن يستقبلها كل منا (كمتلقيين) في منطقة ألمه الخاص وحساسيته الخاصة، ذلك لأن تأثير العمل الفني لا يتم ولا يكتمل إلا بوعي وخيال وإرادة المتلقي، الأمر الذي يسمح بمثل هذا التناوب والتداخل والتراوح بين الخاص والعام، وعليه فإنه يمكنني أن أميز العمل الفني في جانب من تجلياته وزوايا إدراك فنيته في كونه يستعصي على الفصل الحاد والواضح بين العام والخاص.

وأعتقد أن الأعمال الفنية دائماً ما كانت على هذه الشاكلة، حال كونها تعبر عن صدمة عاطفية لشخص مبدعها أو وهي تعبر عن مشروع قومي عارم التيار، فكلاهما يجد صداه ومنطقة تأثيره لدى المتلقي، ومن فورها يصبح العمل ملكاً خاصاً للمتلقي الذي تأمل وتخيل وليس للمبدع،

(( لذلك لا أستغرب أن يخرج ناقد أمين له رأيه الخاص، والذي قد لا يقصده صاحب العمل الأساسي في عمله، ويصطدم الناقد في منطقة ما لا تتماشى مع عالمه إطلاقاً؛ فهذا دليل على أن العمل الفني يكون ملكاً للمتلقي في المقام الأول، ويليه في ملكيته صاحبه نفسه.. لأن العمل الفني يخرج للناس أولاً، وعندما يحدث الأثر المرجو من دخوله في منطقة ألم المتلقي، يمكن بعد ذلك نسبه لصاحبه، بعائد أنه استطاع بمثير ما الوصول للمتلقي.. فهناك شراكة بين صاحب العمل والمتلقي.. يتأثر صاحب العمل بتجربة شخصية، فيذيعها على المتلقيين، ليثير قضية عامة تصل لكل متلقي بشكل خاص ويقوم كل واحد منهم بعملياته الخاصة في تحويل العمل الفني إلى عمل يخصه ويعنيه ويشغله، وبالتالي تنجح الشراكة وينجح العمل الفني.. وهذا ما يجعل كلام "محمود الزيات" دقيق جداً حينما يقول أنه من تمييز العمل الفني

## في جانب تجلياته وزوايا إدراك فنيته هو في كونه يستعصي على الفصل الحاد والواضح بين العام والخاص.. ((

ولذا أجدني في دهشة من أولئك الذين يتصورون أن إبداعاتهم تحدث ثورة غير مسبوقة في عالم الإبداع إذ تتبنى قضاياهم الخاصة والفردية ضاربة بالقضايا العامة عرض الحائط !! جاهلين أو متجاهلين أن هذا المنحى أمر مطروق بطول تاريخ وعرض جغرافية الإنتاج الفني، ففي النهاية يقوم المتلقي بعملياته الخاصة في تحويل هذا الذي يبدو خاصاً بالمبدع إلى خيال ومضمون يخصه هو ويعنيه ويشغله، وإلا فإن العمل الفني الذي يخلو من إمكانية ومرونة الاستجابة لمثل هذه التحويلات والتأويلات لن يشغل أحداً على الإطلاق، الأمر الذي يحيلنا إلى مسألة أعمق تتعلق بتعريف هذا الشيء الذي يريد أن يفرض علينا صاحبه أنه عمل فني. ((

- وأريد أن أقتبس كلمات بتصرف للمؤلف "إدوارد دوبونو" صاحب كتاب "علم نفسك التفكير" .. تشرح هدفي من نقد الروايتين، أو النقد عامة..

"ولعي بنقد الروايتين أو ولعي بالنقد عامة نابع من إيماني بأن الإشارة إلى ما هو خاطئ أكثر أهمية من إنشاء ما هو مفيد.."

وهذا في نظري صحيح عملياً..

فهو يشبه بشكل مُعكس المثل القائل:

"الوقاية خير من العلاج" ..

فكأن الوقاية هي أن ينشأ مجتمع خالٍ من الأمراض، الثقافية والفكرية منها، بإنشاء كل ما هو مفيد، ومنع كل ما هو خاطئ..

وكأن العلاج هو الإشارة إلى ما هو خطأ في المجتمع، بعد انبثاق الخطأ، وعدم الرقابة عليه في مراحل إنتاجه.. لكن نقده والإشارة إليه في مراحله التالية..

فالعلاج عملياً يُقوي الإنسان، ويمنحه مناعة أكبر بالمقارنة إذا لم يُجابه مرضاً إطلائاً، وإن كانت الوقاية تُقيد كثير من الحرية، وتعزل الفرد أو المجتمع عن أسباب قوة الشخصية، وفرض التأثير..

وفي رأيي أن العلاج يمنح الحرية لكل الأطراف.. للمنتج، وللناقد أو المتلقي..

للمنتج في أن يكتب وينشر..

وللناقد أو المتلقي في النقد والإشارة للأخطاء والنشر..

في النهاية سيكون المستفيد الأكبر هم المتلقين، أو المجتمع ككل..

فكلما ظهرت جميع الآراء أمام المتلقي.. استطاع بسهولة أن يدرك ويختار ما يناسبه منه.. فتقوى شخصيته، وتتوسع ثقافته، ويستقل فكره، ويتحرر عقله من الضغوطات، ويقل اعتماده على الآخرين، ويصبح أقوى..

وأحب أن أؤكد فكرتي بنشر صفحات من رواية "آلة الزمن"  
لـ"ه.ج. ويلز":

(( خيل لي أنني التقيت صدفة بالبشرية وهي في حالة انحلال، ولأول مرة تحققت من النتيجة الغريبة التي تؤدي إليها جهودنا في تحقيق التقدم الاجتماعي الذي نسعى لتحقيقه في الوقت الحاضر..

إن هذه الجهود لا تنتج سوى الضعف، إن الضعف البشري هو نتيجتها الطبيعية، فالقوة تتحقق بالحاجة إلى القوة، أما السلامة فتؤدي إلى تشجيع الضعف..

إن الحضارة تجعل شروط الحياة أيسر وأسهل، واستمر عمل الحضارة إلى أعلى ذراها، فتوالت الانتصارات على الطبيعة، والأشياء التي كانت أحلاماً أصبحت خطأ، وهذه الخطط تحولت إلى حقائق، والنتيجة ما أراه الآن !

إن المحافظة على الصحة والاستخدام العلمي للأرض في الزراعة هما اليوم في بدايتهما فقط، إن العلم في عصرنا لم يُهاجم حتى الآن سوى جزء صغير من مجال المرض الإنساني، ولكن العلم يتقدم في ببطء وثبات، نحن ندمر في مزارعنا وحدائقنا عشباً هنا وعشباً هناك.. وقد نزرع عشرين نبتة جديدة نافعة، ولكننا نترك الجزء الأكبر يُكافح ليعيش أو يموت، إننا نُحسن بعض النباتات والحيوانات تدريجياً بعملية الانتخاب الطبيعي، ولكن ما أقل هذه النباتات والحيوانات المفضلة لدينا ! نحن ننتج تفاحة أحسن، وبرتقالة بدون بذر، وزهرة أجمل وأكبر، وسلالة من الأبقار أجود، إننا نقوم بتحسين هذه الأشياء تدريجياً لأن أهدافنا ليست واضحة ومعرفتنا ضئيلة، والطبيعة تتطور ببطء بين أيدينا غير الماهرة، ولكن سيأتي اليوم الذي تتحسن فيه هذه الجهود وتتطور، إن العالم كله سيكون أكثر ذكاءً وتعليماً وتعاوناً، وكل شيء

سيتحول بسرعة أكبر وأكبر نحو النصر النهائي على الطبيعة، ومن النهاية، بحكم الدقة والعلم، سنجعل الحياة النباتية والحيوانية تستجيب استجابة تامة للحاجات الإنسانية.

\*\*\*

كل هذا العمل لا بد أنه تم على خير وجه خلال تلك السنوات التي قفرت عبرها آلة الزمن، أصبح الجو خالياً من الحشرات السامة، والأرض خالية من الأعشاب الضارة، وتحسنت الثمار والأزهار، واختفت الأمراض، حتى عملية الفناء أمكن السيطرة عليها.

وحدثت هناك أيضاً تحسينات اجتماعية كبيرة، أنا أرى الناس يعيشون في مبان رائعة ويرتدون ملابس جميلة، وإلى الآن ( على الأقل ) لم أجدهم يقومون بأي عمل، ولم أجد أي علامة على الصراع..

سواء الصراع من أجل الثروة أو الصراع لتحسين المركز الاجتماعي أو تحقيق الشرف.. واختفت تماماً المحلات والإعلانات والتجارة وكل هذه الأشياء التي نوليها اهتماماً كبيراً في عالمنا.

وكان من الطبيعي في تلك الأمسية الذهبية أن تأتيني فكرة تحقيق الجنة الاجتماعية على الأرض، في الأزمنة القديمة كانت العقبة انتهت الآن، وتوقف عدد السكان عن التزايد.

هذا التغير في الظروف أدى بالطبع إلى تغييرات كثيرة أخرى، فما السبب في الذكاء البشري والنشاط البشري؟.. السبب يكمن في الظروف التي تجعل النشاط والقوي والماهر يعيش، بينما الضعيف يموت، السبب هو الظروف التي تتطلب أن يعمل الرجال الأذكى سوياً في عزم وصبر وإصرار.

وفي الماضي كانت هناك أخطار كبرى تتهدد الصغار ومن هنا نشأت الأسرة: رغبة الرجل في امتلاك زوجة، والعطف على الصغير، وتضحيات الأبوين.

أما الآن فليست هناك أخطار.. الصغار لم يعودوا في خطر يهددهم، وبالتالي لم تعد هناك حاجة إلى زواج أو تضحيات الأمومة أو إلى أي عواطف قوية من أي نوع، فالعواطف القوية ليست ضرورية، إنها تجعلنا غير مستريحين، إنها نعمة نشار في الحياة المتحضرة.

\*\*\*

وفكرت في هؤلاء الناس بأجسادهم الصغيرة الهزيلة وعدم ذكائهم، وهذه المباني الكبيرة المهدمة فازداد إيماني بأن الإنسان أحرز نصراً تاماً على الطبيعة.. وبعد المعركة ركن إلى الهدوء، لقد كان الإنسان في الماضي قوياً نشيطاً ذكياً واستخدم كل طاقته لتغيير ظروف حياته، واستطاع أن يصنع لنفسه عالماً من الراحة التامة والسلامة التامة.

وتحت هذه الظروف الجديدة من الراحة التامة والسلامة التامة أصبحت هذه الطاقة المتأججة (التي نُسَمِّيها الآن القوة) علامة ضعف، وحتى في زمننا هذا تحولت بعض الرغبات التي كانت ضرورية للحياة من قبل إلى أسباب للفشل، فمثلاً القوة البدنية وحب العراك أصبحا لا يُفِيدان الآن، بل ربما أصبحا يضران الرجل المتحضر.

ولسنوات طويلة لم يعد هناك خطر للحرب أو من الهجوم.. ولا خطر من الوحوش المفترسة، ولا أمراض تستدعي أن يكون الجسم قوياً ليقاومها.. ولا حاجة إلى العمل الشاق.. وفي مثل هذه الحياة يكون الضعيف مُلائماً كالقوي، بل في الحقيقة لم يعد الضعيف ضعيفاً، فالضعفاء يُلائمون هذه الظروف على نحو أفضل لأن الأقوياء يكونون غير مستقرين وتقصف بهم الطاقة المتأججة التي لا تجد مخرجاً.

وهذه المباني الجميلة كانت الإنجاز الأخير لهذه الطاقة التي أصبحت بلا هدف الآن قبل أن يتوقف الإنسان عن العمل الجماعي ويخلد للراحة، إنها آخر "صيحات النصر" قبل "السلام الكبير الأخير"، وهذا دائماً هو مصير الطاقة في ظروف الأمن، إذ يستخدم الناس كل طاقتهم في الفن أو ممارسة الحب وفي النهاية يأتي التراخي والانهيال.

وفي هذا العصر الذي أطلعت عليه كانت حتى المشاعر الفنية قد بدأت تموت أيضاً، فكل ما بقي لدى الناس من الروح الفنية أن يُزينوا أنفسهم بالأزهار أو يرقصوا أو يغنوا في ضوء الشمس، بل حتى ذلك سوف يخمد في النهاية.. إن الألم والضرورة يُبقيان الإنسان قوياً كما يُسن الحجر حد السكين، ولكن ها هو الحجر ينكسر في النهاية. ((

**إذاً فنحن بحاجة دائمة لنقد.. ليس من أجل الوصول لصورة صافية من الأدب.. بل من أجل أن تقوى شخصيات المُتلقيين، ويستطيعوا الاختيار بقناعة من بين ما يُعرض عليهم..**

**لأن ذلك يصنع عقولاً مُفكرة..**

**لأن هذا يصنع حرية فردية..**

لأن ذلك يصنع مجتمع حي يُحافظ كل فرد فيه على حق الآخر..

وفي رأيي أن هذا العلاج مرحلي، حيث يكون هو الخطوة الأولى لصنع  
الوقاية المطلوبة للمتلقين في المجتمع.. فكأنهم يُعالجون أنفسهم بأنفسهم،  
يُعالجون أنفسهم وقائياً.. فتكون لديهم مناعة قوية ضد أي أفكار هدامة،  
وإيحاءات سلبية تمر بهم، أو تُعرض عليهم.. مع الاحتفاظ بحق الحرية  
لجميع الأطراف.. فالمجتمع في هذه اللحظة هو المسئول عن انتشار  
الأفكار أو إعدامها..

وبذلك تتوفر الحرية للجميع.. ولجميع الأطراف، مع قدرة الجميع على  
الاختيار على أساس بناء..

\*\*\*

## **\*\* ثانياً: عدة مقدمات خاصة بالتعريف على المؤلف:**

\* سيرة ذاتية لمؤلف الروائيتين:  
من مدونته:

<http://alaaalaswany.maktoobblog.com>

. علاء الأسواني

. روائي وطبيب

. أتم تعليمه الأساسي في مدرسة اليسيه الفرنسية بالقاهرة

. يتحدث الإنجليزية والفرنسية و الأسبانية

. بكالوريوس طب الأسنان من جامعة القاهرة عام 1980

. ماجستير طب الأسنان جامعة إلينوي. شيكاغو 1985

. درس الأدب الأسباني في مدريد

. لا زال يمارس الطب في عيادته الخاصة بحي جاردن سيتي بالقاهرة

. كتب المقال والقصة والرواية في معظم الدوريات المصرية

. كتب عموداً أسبوعياً للنقد الأدبي بعنوان جملة اعتراضية في جريدة الشعب

المصرية، ثم أصبح مسئولاً عن الصفحة الثقافية في نفس الجريدة

. كتب مقالاً سياسياً شهرياً في جريدة العربي الناصري المصرية على مدى أعوام

. يكتب عموداً أسبوعياً في جريدة الدستور المصرية المستقلة

— وحالياً يكتب عموداً أسبوعياً في جريدة الشروق الجديدة المستقلة ..

إصدار دار الشروق

—  
. ظلت روايته عمارة يعقوبيان الرواية الأعلى مبيعاً في العالم العربي لمدة خمس سنوات، وقد تراجعت الآن إلى المرتبة الثانية لتترك المرتبة الأولى في التوزيع لروايته الجديدة شيكاغو (تعليقي: بالطبع، فهي أضل وأنكأ من الأولى في الفحش والبذاءة والجنس!) التي حققت **13** طبعة في أقل من عام ونصف، وصدرت منها حتى الآن الترجمة الفرنسية التي تلقتها الأوساط الأدبية والصحفية الفرنسية بحفاوة كبيرة ودخلت قائمة الأعلى مبيعات في فرنسا.

وقد صدرت مؤخراً الترجمات الإنجليزية والألمانية والإيطالية والنرويجية والدانمركية، وتصدر بقية اللغات خلال هذا العام.

ترجمت أعماله الأدبية إلى **27** لغة أجنبية، وتصدرت رواية عمارة يعقوبيان قائمة الكتب الأعلى مبيعاً في إيطاليا وفي فرنسا، حيث واختارتها مجلة لير لتكون في المرتبة السادسة بين أهم **20** كتاباً صدرت في فرنسا خلال عام **2006**، وقد اختارتها مجلة نيوزداي الأمريكية كأهم رواية مُترجمة في الولايات المتحدة لنفس العام .

## \* سيرة ذاتية للناقد "صلاح الدين عدي" في نفس مدونة المؤلف

s.abdi57@gmail.com

السيرة الذاتية لعلاء الأسواني: د.علاء الأسواني ولد في 26 مايو 1957 بالقاهرة، في عائلة البرجوازية، هو ابن الأديب عباس الأسواني المحامي، الذي أحيى فن المقامات وسمّاها المقامات الأسوانية في الستينات من القرن العشرين، وحاز على جائزة الدولة من جرّاء رواية «الأسوار العالية»، غير أنه لم يكن مثل ابنه ذاع صيته.

علاء ينتمي نفسه إلى أسرة مثقفة؛ لأن جده أيضاً كان شاعراً مُرتجلاً و عم والدته عُين مدة وزيراً للمعارف.

يعتبر علاء أستاذه الأول أباه ؛ لأنه أرشده إلى الكتابة وأعطاه مكتبته الضخمة، ونشأ و ترعرع علاء في وسط هذه المكتبة التي تضم أفضل وأروع الإبداعات الإنسانية في مختلف المجالات.

و تتلمذ لأصدقاء أبيه الذين كانوا يعتبرون أعلام مصر مثل إحسان عبد القدوس، وعبد الرحمان الشرقاوي، وحسن فؤاد، وصلاح جاهين ولويس جريس و...

ونلاحظ أن الهواية الأولى له هي القراءة منذ نعومة أظافره، وبسبب نصيحة والده المحامي بأن يجب عليك ألا تعتمد على الرواية وتمتعتها؛ لأنها ستقدم لك تنازلات كل يوم، لذلك التحق بكلية الطب بجامعة إلينوي في شيكاغو في الولايات المتحدة، وحصل على شهادة الماجستير في طب الأسنان، وهي نقطة تحول في حياته، وعلى حد قوله: الأطباء في بلاده يحصلون على شهادة الطب عن طريق حبهم للأدب.

وبهذه الجامعة تعلم قواعد البحث العلمي والتفكير العلمي، وهو يتقن عدة اللغات منها: الفرنسية؛ لأنه كان درس الثانوية في مدرسة الفرنسية والأسبانية؛ لأنه أخذ منحه الدراسية في أسبانيا لدراسة الأدب في الحضارة الأسبانية والإنجليزية. مازال علاء الأسواني يمارس مهنته كطبيب للأسنان مبرراً ذلك بأنه لا يريد أن تُصبح الكتابة وسيلة يتكسب منها عيشه، بل هواية يتنفس ويحلم من خلالها.

### \* تقديم لرواية عمارة يعقوبيان لنفس الناقد:

تُرجمت الرواية إلى عدة لغات، منها: الإيطالية والفرنسية والإنجليزية والعبرية، وفي فرنسا بيع 160 ألف نسخة منها، وكم مرة أُعيد نشرها.

ونهاية عام 1998 وقتها كانت فكرة رواية «عمارة يعقوبيان» قد تولدت لدى الأسواني، وبدأ في الإعداد لها، واتخذ قراراً بالهجرة خارج مصر بعد الانتهاء من كتابة الرواية.

وظل يبحث عن مكان يستعد للهجرة إليه، وقام بعمل البحث على شبكة الإنترنت، فوقع اختياره على دولة نيوزيلندا، فبدأ يجمع عنها كل المعلومات المتاحة صغيرها وكبيرها استعداداً للرحيل، حتى أنه أصبح على معرفة بكل تفاصيل الحياة هناك كما لو كان قد عاش فيها. (لمزيد من المعلومات راجع موقع دروب في شبكة الانترنت).

لعمارة يعقوبيان قصة طريفة يرويها علاء الأسواني قائلاً: «كنت أسير في أحد شوارع حي جاردن سيتي العريق بوسط القاهرة قرب السفارة الأمريكية، يومها كان العمل يجري لهدم إحدى العمارات السكنية، ف وقعت عيني على بقايا أثاث شقق تلك العمارة، مكتب قديم، شبك خشب، مرآة عتيقة، كل هذه الأشياء جعلتني

أتوقف أمامها، وتساءلت بيني وبين نفسي: ترى كم رسالة حب كتبت على هذا المكتب؟، وكم وجه طالع تلك المرأة؟، وكم شاب وقف في الشباك في انتظار ظهور حبيبته من شباك البيت المقابل «(السابق)» .

قرر علاء الأسواني نشر روايته بنفخته الخاصة في نسخ قليلة، وهو مثل أصحاب الحوليات يحفظ في ملفات خاصة في كمبيوتره مختلف الروايات، ويُغذيها بتفاصيل وشخصيات وخلفيات من البحث والدراسة ولما يشعر بالحد الكافي منها يبدأ بكتابتها مثلما فعل بعمارة يعقوبيان.

كانت عيادة طبيب الأسنان تقع في هذه العمارة هناك، إذن قابل العديد من الأنماط والشخصيات التي أوحى له بالتأكيد هذه الرواية.

أول مُشجع لطبع ونشر الرواية هو جمال الغيطاني الروائي الشهير.

استغرقت كتابة وتنقيح الرواية ثلاث سنوات.

بعد انتهائه من «عمارة يعقوبيان»، كانت الأقدار ترتب لعدم رحيله عن مصر، فقد قرأ الرواية عدد من أصدقائه الضالعين في الحياة الأدبية، وبينهم جلال أمين، وبهاء طاهر، وجمال الغيطاني، رئيس تحرير مجلة «أخبار الأدب» سابقاً، والذي بدأ في نشرها على حلقات في المجلة مطلع عام 2002، وهو ما دفع علاء الأسواني إلى التراجع عن الهجرة، بعد أن قوبلت الرواية بالكثير من الترحيب من جمهور المثقفين والقراء.

\*\*\*

## \*\* ثالثاً: الدراسة النقدية لرواية "عمارة يعقوبيان"

أنوه قبل إدراج النقد، أنه من ضمن ملف خاص أنشأته من أجل نقد  
ما أقرأ..

### \* منهجي في النقد

قراءة الرواية، ثم كتابة تعليقاتي بمعزل عن أي تعليقات أخرى عنها، ثم  
بعد ذلك قراءة نقد بعض النقاد إيجاباً وسلباً.. بعض المُعجبين  
والمبهرين بها، وبعض الرافضين المُستكرين.. والزيادة والتقيح  
والتوضيح وبعض الاقتباس على نقدي..

النقد رأيي الخاص الذي يحق لي طرحه.. ربما كنت مُصيباً فيه كله،  
أو بعضه، وربما مُخطئاً فيه كله أو بعضه.. داعياً المولى عز وجل أن ينفع  
به الأدب الراقي بما يرفع من قيمة الإنسان فناً وذوقاً ووجداناً على  
الأرض.. إنه ولي ذلك والقادر عليه..

ومع ذلك صدري رحب للغاية في تناول الروايتين بالنقد من جميع  
الأعضاء مهما كانت مستوياتهم...

المهم أننا نجتمع على النية في رفعة الأدب الراقى، وسواده في  
مجتمعنا؛ لأن الرقي دائماً هو العُنصر في تقدم الحضارات وخلودها  
واستمرارها وغلبتها وذيوعها وسوادها على بقية أُمم الأرض..  
وتلك مُساهمة مني في صناعة الحياة.. أساهم بها في أن أكون نوع  
مُتزن من نُقاد جُدد يُدافعون عن قيم الأدب الراقى..  
ليس نقداً لروايتي عمارة يعقوبيان، وشيكاجو بالأخص.. لكن نقد  
عام، أُبين فيه عن وجهة نظري النقدية..

## **\*\* دراسة نقدية لرواية: "عمارة يعقوبيان"، تأليف: علاء الأسواني**

مبدأ الرواية يعتمد الأسلوب الجنسي لبقية أجواء الرواية، وهي الغالبة في أحداث المشاهد، وقد يكون الأمر متعمداً في الرواية العربية الغير ملتزمة أو القديمة، أن يتخلل العمل بعض المشاهد الجنسية، إلا أن الرواية لا تعتمد على بثها كعادة روائية فحسب، لكنها تنتهج الجنس كفكرة قصة وكسياق طبيعي وهدف، ويجعل تهافت كل أفراد الرواية الرئيسيين على الجنس، كأن الجميع غارق في وحل من القذارة!، بالإضافة إلى أن الأمر أخذ منحى تأكيدى أن موضوع الرواية الأساسي هو الجنس، من خلال الشخصية الشاذة جنسياً فيها!، ولا تكاد تجد تطور للأحداث إلا عن طريق الجنس الذي هو سيد الأحداث ومحركها وهدفها ومشبعها!..

ولم أجد شخصية واحدة لم تُمارس الجنس في الرواية، بل كل الأشخاص مارسوا الجنس مرات عديدة، وعلى الأقل مرة واحدة.. بداعي وبدون داعي، وما أكثر انعدام الداعي!..

بالإضافة إلى أن المشاهد تصف عملية الجنس بالتفصيل، مما يضع  
القارئ في موضع إثارة بالغة، إذ الوصف يجمع بالخيال مقارنةً  
بالمشاهدة التي تضع الأمر في حدود معينة..  
وصراحةً شعرت أن الكل فاسد، والكل مجرم، والكل في أسفل  
المنحدر، وحتى النهاية! ...

## \* رواية بشهرة عمارة يعقوبيان أمراً يدعو للخطورة من أوجه:

. منها أن موضوع الرواية هو الجنس، بجانب أن الأمر لا يعدو تلميحاً وغاية فحسب، بل ألفاظاً وتجسيدا وإيحاءاً ووصفاً مثيراً للشهوة، لا فائدة ترجى منه في سياق الرواية، أو لا جدوى منه في احتياج المشهد..

. أيضاً صدور الرواية بشكل ورقي شيء يدعو للحذر والخطر؛ لأنه نشر لقصص الجنس بشكل علني وصريح، ودعوة لكل الفئات العمرية لقراءتها، وتيسير لصدور قصص وروايات جنسية لنشرها بين الجمهور..

مع أن ذلك كان محذوراً وغير لائق ودنيء فيما مضى من الزمان بالنسبة للكتاب وللناشرين وللقرءاء، والذي يفعل كان يستخفي عند نشرها أو عند قراءتها..

. أيضاً هناك روايات وقصص جنسية محترفة في الكتابة على منتديات خبيثة تنشر هذه الأعمال، الرواية دعوة صريحة لنشر مثل تلك الأعمال على الملأ بدون توجس أو حياء باسم الإبداع والأدب.. وكم هي بعيدة عنهما، وكم هي قريبة من السفالة والحقارة والابتداع الآثم والانحلال والفساد وشيوع الفواحش وتداعي الغرائز بين الناس بعضهم بعض..

إذ أنها نشر لثقافة الجنس، وملذة الجسد وغرائزه.. وتلك أشياء لا تتعلق بسمو الإنسان، وفضحتها وشيوعها أمر يدعو لتدني منزلة الإنسان،

لأنه يكون أقرب للحيوانات، التي لا تستخفي بعلاقاتها وحاجاتها الغريزية  
عن الرؤية..

## \* في لحم الرواية..

لا أعرف ما مناسبة أن تكون عمارة يعقوبيان كتلة من الجنس، إذ أن كل شخصية فيها مارست الجنس.. حتى عندما تحدث الراوي عن الملتزم أتى بمشاهد جنسية متعددة بينه وبين زوجته، وأقحمها إقحاماً في سياق الرواية أو عرضها في مسار الشخصية..

وهذا يدعونا لسؤال مهم:

هل هي طرح لمشكلة الجنس المستشرية في مصر؟..

الإجابة.. حتى لو كانت كذلك، فما هي مناسبة الجنس الشاذ في مصر!.. ولعل هذا المشهد في صفحة 252، 253 يُجيب على سؤالي:

(( كان هناك مرة صحفي كسول وفاشل فمنحه حاتم عدة تقارير سيئة تمهيداً لنقله نهائياً من الجريدة، وعرف الصحفي بنية رئيس التحرير فقرر أن ينتقم واستغل وجود الصحفيين جميعاً في اجتماع التحرير الأسبوعي وطلب الكلمة فلما أذن له حاتم بادره قائلاً بنبرة ساخرة:

. أريد أن أعرض عل سيادتك فكرة تحقيق صحفي عن ظاهرة الشذوذ

الجنسي في مصر..

ساد صمت متوتر بين الحاضرين ولم يخفِ المُحرر ابتسامته إمعاناً في إهانة حاتم الذي سكت وأطرق ومسح بيده على شعره الناعم، ثم رجع بظهره في المقعد وقال بهدوء:

. لا أظن هذا الموضوع يهم القراء..

. بل يهمهم جداً لأن تزايداً كبيراً في عدد الشواذ وبعضهم يحتل الآن  
مناصب قيادية في البلد والدراسات العلمية تؤكد أن الشاذ لا يصلح  
نفسياً لقيادة العمل في أية مؤسسة نتيجة للتشوهات النفسية التي يسببها  
الشذوذ الجنسي..

كان الهجوم قاسياً وكاسحاً، وقرر حاتم أن يرد بعنف فقال بثبات:

. تفكيرك التقليدي أحد أسباب فشلك الصحفي..

. وهل صار الشذوذ سلوكاً تقدماً..؟!

. ولا هو أيضاً المشكلة القومية في بلادنا.. يا أستاذ يا متعلم مصر لم  
تتخلف بسبب الشذوذ الجنسي بل بسبب الفساد والديكتاتورية والظلم  
الاجتماعي.. كما أن التلصص على حياة الناس الخاصة سلوك مبتذل لا  
يليق بجريدة عريقة مثل لوكير..))

الكلام حاسم وقاطع.. وكأن كلام حاتم هو الصحيح وهو ما نخرج به  
من الرواية.. لكن هذا يُناقض الرواية نفسها التي تتعرض بالفعل لحياة  
أحد الشواذ في مصر، وهُم قلة، ولا يُعتد بهم أو بالقيام بالتشهير بهم، أو  
تقصي قصصهم وإذاعتها على كل الناس..

فهو قليل لا يستدعي الالتفات له؛ لأنه أحقر من أن يُعلن عنه،  
ويُناقش في الرواية على كل ذي سن، والنتيجة من ورائها ربما تكون  
إيجابية، لكنني أرى أن أغلب نتائجها سلبية؛ لأنها نقلت عالم الشواذ  
حرفياً، ودلت على أماكنه وألفاظه ومسمياته وشفراته وإشاراته الخاصة  
بينهم، ومشاعره وأحاسيسه، وذلك بين صفحتي 52 و54..

يستمر بعد ذلك في عرض شخصية حاتم الرشيد في الشاذ في الرواية، ويحكي عن قصته عن الشذوذ في مشاهد مُقبضة شاذة، أجبرت القارئ على الاندماج في حياة الشواذ، والانصياع لكلمات الإثارة المثلية.. إنني أصفها إعلان ثقافي!.. قد تصل لقارئ يبحث عن الإثارة، وقد وجد كل أنواعها في الرواية.. فيضل ضاللاً بعيداً، والعياذ بالله..

فلا يستطيع أحد أن ينكر تواجد الألفاظ المثيرة للشهوة سواء الجنسية الطبيعية الحرام كالزنا، أو وصف العلاقة المثلية الشاذة الحرام، والمبالغة في الوصف في الرواية..

كل تلك المشاهد وهذا الوصف يُجبر القارئ الضعيف على التعايش مع الحالة التي أمامه، حتى لو كانت تتناقض مع فطرته الطبيعية، وربما تشتاق نفسه لممارستها والعياذ بالله..

لا يساورني الشك في أن الكاتب عند كتابتها كان يلتهب شهوةً مما يصفه من العلاقات الجنسية الحرام، التي تكررت عدة مرات على مدى الرواية..

فهل هذه حالة إبداع أدبية تتعلق بالأدب والأخلاق.. فما هي معاني الأخلاق إذا تحدثنا عن الجنس بهذا الشكل المُنافي للأخلاق.. وهل من الأخلاق مُشاهدة (فيلم جنسي إباحي فاضح)، فضلاً عن قراءة نص جنسي فاضح؟!..

الذي يدهشني هو قدرة الكاتب على كتابة مثل تلك المشاهد المثيرة بمثل هذه الحنكة والمهارة والاقتدار التي تتلاعب بغريزة القارئ كما تشاء..

ولا أظن أن الكاتب حينما كان يكتب كان خافياً عليه أن هناك أعمال  
قصصية مكتوبة متخصصة في الجنس، والجنس فحسب، في كل أنواع  
الجنس الزنا والمحارم والمثلي والحيواني على الشبكة المعلوماتية...  
بل لا ينازعني الشك أنه أحد كُتاب مثل هذه النوعية أساساً؛ بدليل أن  
نفس الأسلوب يشترك به معهم، فأسلوبه يشبه لحدٍ كبير أسلوب تلك  
المنشورة بغزارة على منتديات متخصصة فيها، تدعي الشمولية، وأن  
الجنس جزء أساسي من هذه الشمولية، ولا أرى غير أن هذه دعوة مُزينة  
موضوعية (خبثية مأكرة) يُراد بها باطل..

\* السليبات التي تتخلل الرواية كثيرة ومركزة، ولولا ما ساقه الكاتب  
من مشاهد تاريخية شخصية موجزة، وتلك السياسية الهشة التي تساق  
ضمن مشهد يجمع عريد زير نساء ومومس على سبيل التسلية وتجاذب  
أطراف الأحاديث لكانت الرواية عبارة عن قصص جنسية بحتة..

\* والحقيقة أنني لم أرى شخصية سوية في الرواية نهائياً  
...!!

- ذكي الدسوقي: زير النساء، الخبير في الجنس، وشئون النساء  
الخاصة وشديدة الخصوصية، الذي تتمحور كل حياته حول كلمة واحدة  
هي ( المرأة )، بنص المؤلف.

- الفراش أبسخرون: خادم ذكي الدسوقي منذ عشرين عاماً، خبيث،  
ويختفي وراء أطماعه، ويستغل إعاقته في استغلال عطف الناس حتى  
يحوز على أطماعه في مالهم، كما أنه اليد اليمنى لذكي الدسوقي الذي  
يُهيئ له المكان لاستقبال نسائه، واستغلالهم جنسياً.. ولا أعرف لماذا  
يظهر بمظهر المتسولين الذين يبذلون جهدهم ويتجولون بين الشوارع  
لاستجداء الناس والتحايل عليهم بشتى السبل.. هكذا بدا لي بطريقة  
لبسه: جلبابه الكستور المُقلم المُتهرئ في أكثر من موضع، ووجهه  
العجوز بذقنه النابتة الشيباء، وبعاكزه الخشبي الذي يُعوضه بتر إحدى  
ساقيه..

- ملاك شقيق أبسخرون: خياط يُجيد خياطة القماش، وحياسة الخطط  
التي تُمكنه من الاستيلاء على شقق سكان العمارة، وكأنه مُحتل يريد  
اغتصاب الأراضي حتى يُرضي حقه، ويسود في مجتمعه، ويرفع من  
شأن نفسه الوضيعة.. يفعل ذلك باعتيادية ومضاء، بدافع من تعاليم كأنها  
أُمليت عليه..

- طه الشاذلي: هذا الشاب الوحيد الذي انتصرت له وأعجبتني مساره  
الروائي سواء في المشاهد التي واجهها مع سكان العمارة، ثم التي مر بها

مع بشينة أو التي خاضها مع لجنة القبول في كلية الشرطة، أو في التزامه أو مع مُرشدِه، حتى وصلت لنصف الرواية، وبدأ يتبدل، ويتخذ منحىً فكري وديني منحرف ومُحرف، بعد أن كان مُعتدلاً منطقياً وواقعياً، بل قُل أن هذا حصل بغتة، ليس في مسار طه فقط، بل بمسار الشخصيات التي تسير بحذائه، والتي تدور في فلكه... ثم إذا وصلنا إلى الثلث الأخير من الرواية، وكأنه الوحيد الذي لم يقترب الزنا، فعندما وصل للزواج في تلك المرحلة من الرواية، لم يفلت من تناول المؤلف له بوصف علاقته الخاصة جداً مع زوجته.. والمُفترض أن تكون علاقته هي الوحيدة الحلال في الرواية.. لكنها لم تفلت من إقحامها قحماً في الرواية !!..

- بشينة محمد السيد: الفتاة المغلوبة على أمرها التي يتركها والدها هي ووالدتها وأختين غيرها وأخ صغير ماثلاً لأمر ربه فتقطع صلته بالحياة.. وتضطر الابنة بكرة أبويها للعمل، فتجد أن كل مَنْ تعمل لديهم يريدون استغلالها جنسياً، ولم تجد بُد بعد أن تعبت في الحفاظ على شرفها من أن تُسلم جسدها لمن تعمل لديهم بخط أحمر، وهذا يايغاز من صاحبها الدنيئة، التي أقنعتها أن تتخلى عن شرف جسدها عدا حد صغير فيه، تُحافظ على عذريتها فيه، وعدم هتكه.. تتركهم يعيشون بجسدها ظاهرياً مُقابل عائد مادي، تعلمت كيف تُحافظ على نفسها (الخط الأحمر فقط)، وعلى عملها وتستفيد منه أمام صاحب عمل (يفتح سرواله) على حد تعبير المؤلف، وبرغم كل ذلك تكون شريفة ومُحترمة وسعيدة، وعذراء !!.. وتتدرج في ذلك حتى تصل لوزير النساء "ذكي الدسوقي" الذي يعطف عليها ويتعامل معها جنسياً !!!.. فيُحبها وتُحبه.. برغم أن أرضية تعاملهم معاً هو من أجل الجنس بدون علاقة شرعية، فهي تُسلم جسدها من أجل أن تحصل على المال، وهو يعطف عليها من أجل

الجنس والأنس.. وقد جزاها الله خيراً على صبرها وعدم تفريطها في الخط الأحمر، فلقد سلمت جسدها بمفاته كلها للرجال عدا الخط الأحمر، الذي يهدد هتك شرفها من عدمه.. لقد حافظت عليه.. فجزاها الله خيراً بأن تزوجت من زير نساء، وهي الوحيدة مع ذكي الدسوقي التي انتهت القصة بالسعادة لهما.. زير نساء وعاهرة!!..

- الحاج محمد عزام: تاجر مخدرات، يبدو كرجل أعمال شريف تقي له علاقة بشيخ مسجد مشهور، ولم تُنازعه الشهوة إلا في مرحلة متأخرة من حياته، ربما بعد أن جرت في يده النقود، وأحس أن في إمكانه عمل أي شيء بها، فتزوج في الخفاء.. وشعرت أنه كرجل عادي يزاوِل حياته الطبيعية، وكأنه لا يرتكب جرائم حين يُتاجر في المخدرات.. حتى أنني حسبت أن ما يتردد حول كونه تاجر مخدرات هو مجرد إشاعات.. والحاج عزام إذا قدمته يصلح عينة مثالية للفساد في مصر.. فهو تاجر مخدرات، ورجل أعمال مستغل، ونائب فاسد في المجلس، وأب أناني فضل أن يزوج نفسه قبل تزويج أولاده، ويستغل الدين لمصلحته الشخصية، ومُتملق للسلطة..

- سعاد جابر.. زوجة الحاج محمد عزام الثانية.. قد تكون أقل الشخصيات فساداً، إلا أنها لا تخلو من صفات ذميمة جارت على نفسها بسببها، وهي الطمع، وعدم الوفاء بالعهد.. والطمع هو الذي تسبب بأن تتزوج شخص في سن والدها، لا تجد معه اللذة الجنسية، ولا الإحساس بأسرة.. تزوجته من أجل المال فقط، وهو الشيء الذي جعلها تتغاضى من أين اكتسبه زوجها.. حتى لو كان اكتسبه من تجارة المخدرات.. فنحن أمام شخصية أنانية أيضاً، تهتم بمصالحها، وتُحرك الدين في سبيل مصالحها.. فالتى تكشف حقيقة الفتوى القائلة بجواز

إجهاض الطفل قبل نفخ الروح فيه وراء إجهاض حملها بالأخص، هي هي نفسها التي تزوجت رجل مشبوه يعمل في تجارة المخدرات، دون أن تعبئ كثيراً بحقيقته !!!..

- حاتم رشيد.. شاذ سلبى، "كوديانا" في عُرف الشواذ جنسياً.. وما أسوئه من لقب يتصف به.. ومع ذلك فإن عمله أمام الناس صحفي معروف ورئيس جريدة لوكير التي تصدر باللغة الفرنسية في القاهرة.. والدته فرنسية، ووالده قانوني شهير وعميد كلية الحقوق في الخمسينات يعيش بكل مقاييس المعيشة الأوروبية.. والابن حاتم مُزعزع الانتماء، لا إلى مصريته ولا إلى أوروبيته ينتمي.. أكثر قضية تشغله كيف يقضي وطره الجنسي الشاذ بانتظام وباستقرار.. وهو مع ذلك شاذ مُحافظ.. والغريب أنه مع تعدد عشاقه الآثمين الذين تكلم عنهم المؤلف، لم يذكر أياً من سلبات العمليات الجنسية الشاذة في جسده.. فمن المعلوم أن لهذه الممارسة الشاذة آثار سلبية ضارة بالجسد، طبياً وعضوياً، على الأقل في الشاذ السلبى... وهذا في رأيي دعوة مريبة أن الحياة الشاذة لا مضرة فيها طبياً ولا جسدياً..

- عبد ربه.. صعيدي جاهل، كان مُجنذاً في الأمن المركزي.. يستسلم لإغراءات حاتم رشيد بالمال وبمكانته في الصحافة التي تساعد في تسهيل الأمور لمُستعمله جنسياً.. يتعرض عبده لنكئ ضميره كثيراً، لكنه دائماً يرضخ لإغراءات حاتم بالمال والإمكانيات، ويجد صعوبة في مقاومته، حتى أن مشاعره تتبدل ناحية زوجته، فلا يستطيع أن يطأها كما أحل الله عز وجل له.. وعندما حاول أن يتوب، عثر عليه حاتم، وأغراه مرة أخرى بالمال، فرضخ لمرة واحدة، وتصادم مع حاتم، وقتله.. وهكذا القاتل والمقتول في النار.. مَنْ قتل فعليه حد القتل.. والثاني لأنه آثم

بفعل اللواط.. وعلى كل فكلاهما يُستوجب عليهم القتل واللعن والعذاب  
في الآخرة..

<sup>1</sup> عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ: ( مَنْ وَجَدْتُمُوهُ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمٍ لُوطٍ فَاقْتُلُوا الْفَاعِلَ وَالْمَفْعُولَ بِهِ )

<sup>2</sup> وَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
قَالَ: ( لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمٍ لُوطٍ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ عَمِلَ عَمَلَ قَوْمٍ  
لُوطٍ، ثَلَاثًا ).

- كمال الفولي.. واضح جداً أنه تلميح لأحد الشخصيات البارزة في  
الحزب القومي.. الذي استطاع بالنفاق والكذب والدسائس الحفاظ على  
مقعده في البرلمان لأكثر من ثلاثين عاماً متصلة على حد وصف  
المؤلف.. وهو وجه وعين الفساد والنفاق السياسي في الرواية..

- الشيخ شاكِر.. شخص متناقض.. في البدء كان يملك العقل  
والحصافة والدين بالحكمة والموعظة الحسنة، ثم انقلب كأنه يملك  
شخصية مزدوجة.. أو كأنه شخص آخر يشبهه، تولى بقية أحداث القصة  
بديلاً عن الممثل الأول في نصف الرواية..

\* لم تلتقط الرواية إلا الشخصيات الفاسدة نفسياً أو دينياً أو سياسياً  
أو جنسياً، وهذه هي السائدة، وكأنها التقطت بشكل متعمد، بدليل  
وحدة الموضوع الشائع بينهم والذي يجمعهم، وهو الجنس..

1 روى الترمذي (1456) وأبو داود (4462) وابن ماجه (2561)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي .  
2 رواه أحمد (2915)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند .

ومن الغريب أن تخلوا الرواية من شخص سوي.. فالحياة تجمع  
الأسوياء والسيئين، واستحالة تجمع الفاسدين فقط أو العكس فحسب..  
هذا إذا كنا نرنو للواقعية..

حتى المثل الذي كنت أعتقد أنه عبر عنه بإنصاف، وكدت أنبهر من  
فرط رجاحته وكماله، حتى إذا وصلت لنصف الرواية وجدت أن المثل  
انقلب على عقبيه تماماً.. وكأنه لا يريد أن يدع مجالاً للصالح إلى آخر  
الرواية..

ربما يكون هذا المثل السلبي للشخصية المتدينة (الوحيدة) نتيجة  
قاهرة للظلم والانتهاك والتعذيب.. لكن هذا ليس قياساً على كل من  
أصابهم هذا الابتلاء، فأكثرهم قد خرج وكله إيمان وصبر واحتساب عند  
الله عز وجل..

لماذا لم يأت بهذه الأمثلة التي تجعلنا نعرف الحقيقة، وتمنحنا القدوة  
والتفاؤل، وتُعرفنا على أبطال حقيقيين عُرفوا بالجسارة والحكمة  
والصواب، وفي ذات الوقت يمنحنا لوناً فاتحاً يُميز الخبيث من الطيب،  
إلا أن الرواية انتهجت لوناً واحداً قاتماً حتى آخرها...

كما أنني أجد هذا الجهل العارم الذي ينتهجه الكتاب (العلمانيين، أو  
الليبراليين على حد واجهة المؤلف) بوصف الملتزم موجوداً في الرواية،  
وبالأخص الذين ينتمون للإخوان المسلمون.. حيث يصفونهم بأنهم  
عدوانيين ومتشددون وبلحى طويلة، وبجلايب بيضاء قصيرة...

\* المؤلف وقع أيضاً في هذا التشويه المُغالط حيث قال في صفحة

(( قبل أذان الجمعة بساعتين كاملتين، امتلئ مسجد أنس بن مالك عن آخره بالمصلين، كانوا جميعاً من الطلبة الإسلاميين، بعضهم يرتدي الملابس الإفرنجية ومعظمهم بالزي الباكستاني: الجلباب أبيض أو أزرق يصل إلى أسفل الركبة وتحتته بنطلون من نفس اللون وعلى الرأس عمامة بيضاء يتدلى طرفها عند مؤخرة الرقبة ))

وكذلك عندما وصف ملبس أمير جماعتهم في صفحة 131:

(( وهو يرتدي زياً إسلامياً مثل الطلبة يعلوه إزار أسود ))

كل هذه الأوصاف في الواقع لا تنطبق على أوصاف الإخوان المسلمون.. بل يتصف بها جماعة السلفية، أو الجهاد، أو جماعة أنصار السنة...

ومن طبيعة جماعة الإخوان أنهم مندمجين مع المجتمع ومتغلغلين فيهم، ويحاولون برفق وتدرّج أن يربوا المجتمع من الداخل، أكثر من مناطق السلطة، وأكثرهم لا تستطيع أن تُفرّقهم عن شكل الناس العادية، في حلاقة اللحية، والملابس.. لأنهم يؤمنون أن التغيير سيأتي من أسفل لأعلى، وليس العكس.. من شريحة الشعب العريضة، إلى أعلى قمة الهرم وهي السلطة والحكم.. لذلك من شيمة هذا الملبس المذكور أن يصنع فجوة بين الناس، ومما يقرب الناس إلى الإخوان أنهم لا يفرقون عنهم لا في ملبس، ولا في إطلاق لحي..

كما أنهم يتصفون بالحكمة، وعدم الدخول في صراعات مع السلطة.. وهذا واقعي فعلاً.. غير أن السلطة تضطهدهم وتُضيّق عليهم، بل وتحذرهم.. لأنها تخاف من أن يحل المشروع الإسلامي بين الناس، مما يُهدد من مصالحها وكراسيها وسلطتهم من الزوال..

ففي رأيي أنه لم يستطع أن يُنصف الجماعة، بل وضعها موضع تقليدي مُحرف، وأعتقد أنه بذلك شارك السلطة في تشويه سُمعة الإخوان، وتحريف الحقائق لدى الناس.. وهذا فعلاً ما أجده.. من يومين سألني أحد الأشخاص في محل عملي عن الفرق بين السلفية والإخوان.. وعندما ذكرت له الفرق من واقع تواجدي قُرب كوادهم.. اندهش للغاية، وقال وهو في قمة اندهاشه أنه كان يعتقد أن الإخوان هم المتشددون والذي يطلقون لحاهم، ولا يلبسون إلا الجلابيب البيض.. قال لي أنه كان يعتقد العكس..

وهذا يدل على أن هذه الثقافة المُحرفة قد التقمها الناس، وتشبعوا بها..

فلقد ثبت الكاتب تلك النظرة المخلخلة في فكر الناس ومعتقدهم.. وإنني لأتساءل هل يرضى الكاتب أن يُعبر عن أشخاص ينتمون لجماعة لا ينطبق وصفهم في الرواية على الواقع.. هل تلك هي الواقعية، والرصد القصصي والروائي الصادق؟..

وإن كنت أعتقد أن المؤلف لا يقصد إخوان مسلمون ولا سلفية..

\* هناك بعض المُتناقضات في الرواية، منها أثناء مشهد خُطبة الجمعة في صفحة 136:

(( اشتد انفعال الطلاب ونهض أحدهم من الصف الأمامي، واستدار ناحية الحشد وهتف بصوت متقطع من فرط الحماس "إسلامية إسلامية.. لا شرقية ولا غربية.." ورددت الهتاف وراءه مئات الحناجر، ثم أخذ الطلاب جميعاً ينشدون نشيد الجهاد بصوت واحد قوي هادر

كالرعد، ولعلعت عشرات الزغاريد من مقصورة الطالبات، وعلا صوت الشيخ شاكراً، وقد بلغ حماسه المدى: ".. والله إني أرى هذا المكان طاهراً مباركاً تحف به الملائكة... ))

المشهد عجيب، ولم يسبق أن سمعت عن فعل كهذا أثناء خطبة جمعة!!..

ينفعل الناس أثناء الخطبة، وفي المسجد.. أهى مظاهر أم خطبة...!!؟

والذي قيل كوم، ولعلعة النساء بالزغاريد بصوتهم الأنثوي أثناء الخطبة، وفي المسجد كوم آخر!!..

ألا يُحرم المتدينين الزغاريد، ناهيك عن صوت المرأة بأنه عورة!!؟..  
أعتقد أن هذه مبالغة مُضحكة، وتناقض مُذهل، وثغرة لا يُستهان بها في الرواية..

\* وجدت أيضاً بعض المفاهيم المُغالطة، والتي تسرب للناس حقائق واهية ليس لها منطق صحيح نابع من رسالة الإسلام الرحيمة، مثل ما تعرضت له في صفحة 161 و162 عندما كان يتحدث عن "طه الشاذلي":

(( وهو الآن يُدرب نفسه على أن يُحب الناس ويكرهمهم في الله، تعلم من الشيخ أن البشر أحقر وأهون من أن نحبهم ونكرهمهم من أجل صفاتهم الدنيوية، بل يجب أن تتحدد مشاعرنا ناحيتهم وفقاً لالتزامهم بشرع الله، وهكذا تغيرت نظرتي إلى أشياء كثيرة: كان يحب بعض السكان لأنهم طيبون معه ويجزلون له العطاء فصار يكرهمهم في الله لأنهم

تاركون للصلاة وبعضهم شارب خمر، وأصبح يحب إخوانه في الجماعة الإسلامية لدرجة أن يفتديهم بحياته.. انهارت كل مقاييسه الدنيوية القديمة كما يسقط بناء قديم متصدع، وحل محلها تقييم إسلامي صحيح للناس والأشياء.. ))

الإسلام ليس مبني على الكره بأي حال من الأحوال.. الإسلام مبني على الحب، والتسامح والرحمة.. الرحمة للعالمين.. إنما الكره ليس موجهاً للناس.. بل هو موجهاً للكفر والفسوق والعصيان..

بصفتي مسلم حقيقي فحبي ورحمتي واسعتان تشمل العصاة والكفار والفساق.. مثلما حدث مع الرسول صلى الله عليه وسلم.. فعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: " لقد لقيتُ من قومك وكان أشدَّ ما لقيته منهم يوم العقبة إذ عرضتُ نفسي على ابن عبدِ ياليل بن عبدِ كلال فلم يُجِبنِي إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهي فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعتُ رأسي وإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ عليه السلام فناداني، فقال: إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث إليك ملكَ الجبال لتأمره بما شئتَ فيهم!، فناداني ملك الجبال، فسلم علي، ثم قال: يا محمد، إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملكُ الجبال وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك، فما شئتَ؟ إن شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يُشرك به شيئاً "3

3 متفق عليه. الأخشبان: الجبلان المحيطان بمكة. والأخشب: هو الجبل الغليظ.

وهذا من شفقة نبي الإسلام، ورحمته بالعالمين: ( وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا  
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ {107} )<sup>4</sup>

كان النبي يُعامل الناس جميعاً النصارى واليهود.. ولم يكن يكره أحداً  
بل كان مُشفقاً على الجميع من الكُفر والعصيان، الذي سيوردهم  
الجحيم، ويتمنى لو يكون سبباً في هُداهم؛ حتى يُنقذ البشرية من الكفر  
والضلال..

لذلك ليس من الصائب وصف ( تقييم ) "طه" بأنه ( إسلامي صحيح  
للناس والأشياء ).. لأنه هذا قد يُحرف معاني الإسلام بالنسبة للناس،  
ولن يفهموا المقصود من الوصف بأنه ( صحيح ).. قد يكون بالنسبة لـ  
"طه" (صحيح)، لكنه في الحقيقة ليس كذلك.. وهذا احترازاً من ربط  
نهاية "طه" الإرهابية والمتهورة بتقييمه الإسلامي الصحيح..

\* أيضاً أعتقد أن هناك مشكلة لدى المؤلف في ضمير ولغة السرد  
في الرواية.. فهل هو يتحدث بصيغة الراوي العليم، أم أنه راوي مُحايد،  
أم أنه راوي يُناصر كل شخصية على حدة؟!..

ولعل من التناقض المُضحك أن يتعلم "طه الشاذلي" أن يكره العُصاة  
والفاسقين في الله عز وجل، وفي ذات الوقت يقوم حوار قريب من هذا  
المقطع، بينه وبين الشيخ شاکر، فيقول الأخير:

(( الإسلام لا يُجيز إطلاقاً أن نشترك مع الكفار في قتل المسلمين  
مهما كانت الأسباب.. والأسانيد الشرعية لذلك يعرفها أي تلميذ في سنة  
أولى شريعة.. ))

يقول ذلك، وقد قاما سوياً في النهاية بعكس ما أقروه.. تناقض كلام الشيخ شاکر مع فعله في منتصف أو نهاية الرواية !!، وكذلك ما قام به "طه الشاذلي" من سفك دم شخص مسلم فاسق.. كرهه لما فعله به في السجن.. كرهاً لنفسه، وليس لله فيه شيء..

عندما يخرج "طه الشاذلي" من السجن، وقد كان ملتزماً تمشي مبادئه مع المبادئ الصحيحة للإسلام، يتغير تماماً وينقض مبادئه، قد نُقر ذلك بسبب ما حدث له في السجن، فهو قد تأثر نفسياً، لكن أن ينقض الشيخ شاکر نفسه، ويرد على "طه" بمبادئ سليمة، ثم في لحظة تالية لا تبعد كثيراً عن سابقتها، تجده ينقض كل كلامه رأساً على عقب، نجد هذا في المشهد، مثلاً رائقاً راقياً على الفهم الصحيح، في صفحة: 237، 238:

((- أنصحك يا ولدي أن تُلقي بهذه التجربة الأليمة وراء ظهرك.. أعرف أن ما أطلبه صعب لكنه التصرف الوحيد الصحيح في حالتك.. إن ما جرى لك في المعتقل ليس أمراً خاصاً بك.. لكنه مصير كل من يُجاهر بالحق في بلدنا المنكوب والمسئولون ليسوا بضعة ضباط لكنه النظام بأسره وليس إلى أشخاص بعينهم.. قال تعالى في كتابه الكريم "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" صدق الله العظيم.. لقد حُورب المصطفى صلى الله عليه وسلم في مكة وأُهين واشتد به الأذى حتى شكاً لربه قلة حيلته وهوانه على الناس، لكنه مع ذلك لم يعتبر جهاده ثأراً شخصياً من الكفار بل انصرف همه إلى نشر الدعوة، وفي النهاية عندما انتصر دين الله عفا الرسول عن الكفار جميعاً واعتقهم.. هذا الدرس يجب أن تتعلمه وتعمل به

- كان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل خلقه، وأنا لست نبياً، لا أستطيع أن أنسى ما فعله المجرمون، إن ما حدث لي يُطاردني في كل لحظة. أنا عاجز عن النوم، لم أذهب على الجامعة منذ خروجي، ولا أظني سأذهب.. أقضي اليوم كله في حجرتي لا أكلم أحداً ويُخيل إلي أحياناً أنني سأفقد عقلي.

- لا تستسلم يا طه، لقد اعتقل آلاف من الشباب الإسلامي وتعرضوا لتعذيب بشع لكنهم خرجوا من المعتقل أكثر تصميماً على مقاومة الظلم، إن الهدف الحقيقي للنظام من تعذيب الإسلاميين ليس مجرد إيلاهم جسدياً، لكن المطلوب تدميرهم نفسياً حتى يفقدوا قدرتهم على الجهاد.. ولو أنك استسلمت للحزن تكون حققت لهؤلاء الكفرة أهدافهم.. ((

هذا كلام الشيخ شاکر، يبدو كلاماً مُترناً وصائباً ويقول به كل حكيم، يقول به كل معلم خبير، وليس متهوراً يشد تلاميذه للهاوية.. بعد قليل سينقلب كل هذا الكلام وسينقضه في لحظة بدون أي مثير أو سبب.. وكأنه يُشجع تلميذه على الثأر لنفسه، وهجر ما سواه من إخلاص النية لله، والتي يتبعها بالضرورة إتباع أوامره ونواهيه..

وفي الحوار السابق لمحات ومغالطات مرتبطة بما سيحدث في المستقبل في أحداث الرواية.. يرد طه بأنه ليس نبياً.. برغم أن الشيخ قال له أن النبي قدوة وأسوة حسنة لنا.. وعندما ينقض كلامه ويتحول لمبدأ القتل وسفك الدماء، كأنه يقول أننا لسنا أنبياء، ينزع لهذا القول السلبي الذي يردده غير الملتزمين عندما يستصعبوا فعلاً ما في الدين من الحكمة والصواب، ويتذرعوا بأنهم ليسوا سيدنا محمد.. برغم أن النبي جاء معلماً وموجهاً لتعلم من مواقفه وسيرته.. ولو لم يكن النبي قدوة لما

كان تعرض للضرب والشتيمة والابتلاءات وإصابات الحروب ولا للموت حتى.. لكنه كان قدوة لنا في كل أمور حياتنا.. هو بشر بكل معاني البشرية، ونحن بشر بكل معاني البشرية..

لقد كان كلام الشيخ شاکر في هذا المقطع هو الواقعية الحقيقية السارية في الواقع.. لقد انتهت حياة هؤلاء الثلة الفاسدة بيد الله وحده، اعتماداً على هذه المبادئ.. كما حصل من قبل مع الذين عفا عنهم رسول الله.. منهم مَنْ تاب وأصلح، ومنهم مَنْ كن الضغينة والحق، وأظهره الله على حقيقته، وانتقم الله منه في النهاية بيده العلية.. وكفى الله المؤمنين شر القتال..

وأنا أتصور تصوراً طريفاً.. ماذا لو اقتنع طه بكلام الشيخ شاکر، وعندما صارحه الأخير بأنه كان يختبره وأنه اصطفاه ليكون مع جيش سري في أحد الأماكن البعيدة لمحاربة الكفار من الناس في البلد.. ماذا كان سيفعل الشيخ شاکر لو رفض "طه" فكرته الثانية بناءً على اقتناعه بكلامه الأول؟..

إن الشيخ شاکر رجل متناقض وربما يكون مُناقفاً.. واعتمد على رغبة "طه" في الانتقام الشخصي، وليس شيئاً آخر.. لو كان "طه" في موقف آخر أفضل، لكان رفض انعزاله مع الجيش السري في منطقة بعيدة لسفك دماء الناس حتى لو كانوا ظالمين، ابتغاء وجه الله، وانصياعاً لحكمته وأمره..

في رأيي أن هذا المسار الروائي تعرض للالتواء بشكل يصعب فهمه واستيعابه.. لأن الذي يقول كلاماً بهذا المعنى فيه من الحكمة وحُسن الرأي يصعب أن يفعل ضده في موقف تالٍ.. سيصعب الأمر على القراء إلا من أولي العقول الفذة، وهُم قليل..

وأعتقد أن المؤلف حاول أن يدمج مزيجاً معيناً ليطرق قضيتين.. لكنه فشل.. وتحول الأمر إلى تناقض في أحداث الرواية وفي مسارها.. وكأنني أشاهد فيلماً مُركباً فقط من مشاهد غير مترابطة المنطق.. وتعدم فيها الحكمة..

يأتي الأمر مُرادفاً ومتوافقاً مع قضية العراق، وهُم أنفسهم الذين يدعون لعدم تدخل أمريكا ولا المصريين لقتال النظام الحاكم، وتحرير الكويت بقتل إخوانهم العراقيين.. وهنا تستغرب الأمر، هل ثلة الشيخ شاعر تدعو لوقف قتال المسلمين العراقيين، أم تُحبذ ذلك بما أنها أيضاً ستفعل ذلك في النهاية وتقتل المسلمين المصريين الذين اعتقلوهم...!!!؟

لو حكمنا بهذا المنطق الأخير فإن المسلمين العراقيين كفرة يستحقون القتل وكذلك النظام العراقي الحاكم لديهم، لكنهم يدعون لعدم قتالهم، حتى أنهم اعتقلوا من أجل هذه الدعوة..! ولو حكمنا بأنهم يرفضون قتال المسلمين العراقيين، فلماذا ينقضون ذلك بقتالهم للنظام الحاكم في مصر...!!!

أيضاً تناقض السياق مع فعلهما في مصر في نهاية الرواية.. ومع ما اعترضوا عليه من إفتاء أكبر علماء الأزهر تأكيده أن موقف الحكومة المصرية صحيح شرعاً زاعماً أن الإسلام يقر التحالف مع أمريكا لضرب العراق...!!

ساعتها انفعّل الشيخ شاعر، ووصف مشايخ الأزهر بالنفاق والفسق، وفقهاء السلاطين، وذنبهم عند الله عظيم...!!

أليس هذا الوصف نفسه ينطبق عليه في نهاية الرواية ؟!!..

أليس هذا تناقضاً واضحاً ؟!!..

تناقض أيضاً مع أنهم يتهمون المجتمع المصري بالكفر، ويجردوهم من الإسلام، ويكرهونهم في الله، ومستعدين لقتل سفهائهم وفساقهم .. ثم هم يعترضون على قتل المسلمين في العراق، وهم لا يختلفون عن المجتمع المصري في الجهل والبُعد عن الدين !!.. يُدافعون عن الناس في العراق في الوقت الذي يكونون مستعدين فيه لقتل الناس في مصر وهم في الكُفر سواء على حد اعتقادهم !!.. أليس هذا تناقضاً ؟!!..

التناقض رهيب بين الفعل السياسي، والالتزام الديني.. وكأن المؤلف اقتطع الجزء السياسي من جماعة، والجزء الديني من جماعة أخرى يتباينون تماماً، ويتناقضون في آن..

لأن الفرق واضح.. فالملتزمون دينياً منعزلون، ومتقوقعون، وهناك فجوة كبيرة بينهم وبين الناس.. وأصحاب الموقف السياسي منفتحون ومتغلغلون في الأمة ومهتمون بقضايا الناس.. فشتان شتان..

كما شعرت أن أكثر المتناقضات بسبب المسار الجنسي المُبالغ فيه بأجزاء الرواية.. منها هذا الذي يتحدث فيه المؤلف على لسان ذكي الدسوقي أكثر الشخصيات دنساً وانحداراً وانغماساً في الآثام ووحل العفن والزنا، يتكلم عن السياسة، والماضي النظيف والمحترم والرغد، الذي كان النساء فيه شبه عاريات وفي أحضان الرجال، والخمور على الموائد أمامهم !!..

فهل تستوي تلك المُعادلة، اقتران الرُّقي والنظافة بالعُري والاختلاط  
ومُقارعة الخُمور...!!؟

وهذا يؤشر لشيء مهم.. أنه لا فائدة من أحداث الرواية تُرجى، سوى  
إظهار بعض الممارسات الشاذة في أمن الدولة، وطريقة الابتزاز التي  
يفعلها النظام مع أولي السطوة والمال.. ويؤشر إلى أنه يمكن للعرييد  
والمومس أن يتزوجا في النهاية رغم ماضيهم القذر، ويسعدا ويبتهجا، ولا  
ينالهما عقاب على معاصيهم الغابرة، هذا لو طبقنا نظرية "عبد ربه"  
بعلاقته بالشاذ في عقاب الله له بسبب اللواط.. أم أن الكاتب يعتبر أن  
الزنا أقل ذنباً من العلاقة المثلية؟!.. وهذا ليس رأي الشرع ولا رأي  
الناس الفطري أو العُرفي التقليدي أو العقلي ولا المنطقي.. فالكل في  
الجرم سواء، فالعلاقان كبيرتان تستوجبان العقاب الديني قبل  
الأخروي..

\* وجدت أيضاً أن الرواية تنتهج نهجاً معيناً بنسب مُتفاوتة تبدأ من  
الجنس نزولاً، باعتبار أن مشاهدته أكثر أحداث الرواية، ثم المال، ثم  
السياسة ثم الدين..

وكأن هذا هو الواقع في الحياة.. مع أن ذلك قِمة الخطأ.. فاهتمام  
الناس في الواقع يبدو عكس نهج الرواية تماماً.. إذ يبدأ بالدين ثم  
بالسياسة، ثم بالمال، ثم الجنس.. فالجنس آخر الاهتمامات في  
المجتمع المصري..

لكنني شعرت في الرواية أن الكل فاسد، والكل آثم، ولا خير في  
العالم أبداً..

\* ربما هناك بعض المشاهد المهمة جداً في الرواية، والتي أعتقد أنها ربما تكون هي الداعي من وجهة نظر المؤلف إلى التمويه عنها بمشاهد الجنس الغزيرة في الرواية.. لكن بالطبع الغاية لا تُبرر الوسيلة، وهذا يدل على عدم عبقرية المؤلف، إذ يلجأ لأيسر أسلوب للتمويه به على تصريحاته وآراءه السياسية..

لكن برغم ذلك شعرت أن هذه المشاهد غائمة ومشوبة بملامح الجنس وآثاره وجوه المقيت الغالب والغارق في الظلام والآثام..

شعرت كأني أشاهد فيلماً إباحياً.. وهذه الرواية بالنسبة للمثقفين فيلم جنسي فاضح.. وهي بالنسبة للمراهقين فيلم نصي مستباح ومشروع!..

شعرت بما شعر به أحد مُدمني المواقع الجنسية في أحد البرامج التي استضافته بعد علاجه، يقول: أنه من كثرة مشاهدته لتلك المواقع والأفراد المتجدد الذين لا ينتهون في ممارسة الجنس، يشعر أن العالم كله آثم، كل امرأة ألمحها فهي عاهرة، وكل شخص أراه أفترض أنه شهواني، ويُمارس الجنس على تلك المواقع، وأن كل شخص في العالم على الأقل صُور وهو يُمارس الجنس بأي من أنواعه..

انتابني إحساسه.. أن الجميع مجرمون، والجميع فاسدون، والجميع قذرون ومُتناقضون.. تلك كانت أجواء الرواية التي أجبرتني على العيش فيها..

\* أين مصر من المصريين، وأين المصريين من مصر ؟..

كما لحظت.. فذكي بك ريب المدارس والجامعات الفرنسية، وكذلك الشاذ حاتم، أما عن طه الشاذلي وبثينة فلم يؤثر فيهم تعليم أو ثقافة مصرية.. شعرت أنهم يسعون من أجل مصالحهم الشخصية بغض النظر عن الطرق التي اتخذوها.. شخص كره البلد بما فيها، وحاول أن ينتقم من الناس، والأخرى كرهت البلد وودت لو تتركها بعيداً عن قذارتها، ولا تدري أنها جزء من قذارة البلد..

كذلك أبسخرون لم أشعر أنه مسيحي تقليدي.. بل شعرت أنه دخيل جار عليه الزمن فحاول أن يلملم نفسه بالمكر والخداع.. لم أشعر بمصريته.. وكذلك أخوه ملاك..

الحاج عزام.. مثل مصري انتهازي لكني لم أشعر أيضاً أنه يُعبر عن مصر..

لم أجد شخصاً واحداً يُعبر عن أصالة مصر وبيئتها الثقافية.. كل من فيها إما أرجواني المصرية أو أسود.. أما اللون الأول فينتهي إليه طه وزوجة عبده وزوجة الحاج عزام.. أما من اللون الثاني فهم البقية في الرواية...

حتى عمارة يعقوبيان نفسها - المكان البطل الرئيسي في الرواية - ليست مصرية، بل قام بإنشائها مليونير أجنبي "هاجوب يعقوبيان"، عميد الجالية الأرمنية في مصر سنة 1934، وتعاقد لبنائها مع مكتب هندسي إيطالي شهير.. وبناها على أحدث طراز أوروبي..

كما أن مصر ليست دور السينما ولا البنوك ولا المطاعم الفاخرة، ولا  
البارات والحانات، ولا نواد السيارات ولا المحال التجارية، ولا عيادات  
الأطباء، ولا مكاتب المحامين والمشاهير مما ذكرهم المؤلف في  
الرواية...

فقد بدا أيضاً أن المؤلف مبهور بفترة قديمة ( سنوات الخمسينيات  
الجميلة على حد تعبيره )، عاشت القاهرة - خاصة وسط البلد - فيها حياة  
أوروبية صرفة امتدت لمائة عام، بل وكأنه كان يُثني على مزاياها، وحياتها  
الرغدة الراقية العريقة.. كان هذا من السُدس الأخير من صفحة 47 إلى  
الربع الأول من صفحة 49، أعقبها بحقبة تاريخية ( السبعينات ) اعتبرها  
المؤلف كأنها انحدار وإذواء وتضييق وضغط عندما وصفها بأنها موجة  
تدين كاسحة اجتاحت المجتمع المصري، ففقدت وسط البلد أهميتها  
على أثر ذلك، وعبر عن مدى التغيير الذي طرأ، واتجه بالمكان إلى  
الاضطهاد، والدَّواء..

الأمر الذي يُذكرني بفيلم لمحمود عبد العزيز اسمه "أبناء وقتلة" يتناول  
التغييرات التي حدثت في المجتمع المصري منذ قيام ثورة 1952  
وحتى تسعينات القرن العشرين، يحكي عن عامل بار انتهازي يسعى  
لتسلق السلم الاجتماعي، ويستغل كل الفرص لتحقيق ذلك، ومن عامل  
بار، يصبح أكبر تاجر سلاح. ويتم ذلك في فترة 30 عاماً، منذ عام  
1956 وحتى نهاية الثمانينات، وعامل البار اسمه شيخون (محمود  
عبد العزيز)، ومن خلال أول فرصة، يقرر شراء البار من صاحبه الأجنبي،  
بعد أزمة قناة السويس، عندما يقرر الرحيل عن مصر، ويشتريه بطريقة  
ملتوية، وبعد أحداث كثيرة يُسجن فيها شيخون، وعندما يخرج من

السجن، يبدأ مرحلة جديدة في حياته، حيث يحول البار إلى محل لبيع الأسلحة والذخائر.. والباقي معروف...

يبدو هذا الجزء من الرواية مُشابهاً جداً للفيلم..

وبدا أن المؤلف مُلم بتاريخ البارات والحانات في مصر وأنواع الخمور وطريقة عرضه وتقديمه، وعصر الترفيه الذهبي الذي عاشته مصر في فترة وفقدته للأسف والألم في فترة عاقبة..

استمر ذلك حتى ثلاث أرباع صفحة 51:

(( ظلت وسط البلد . لمائة عام على الأقل . المركز التجاري والاجتماعي للقاهرة حيث تقبع أكبر البنوك والشركات الأجنبية والمحال التجارية وعيادات مشاهير الأطباء والمُحامين ودور السينما والمطاعم الفاخرة، ولقد شيدت النُخبة القديمة في مصر وسط البلد لتكون الحي الأوروبي للقاهرة حتى أنك في كل العواصم الأوروبية ستجد شوارع تشبهها.. نفس الطراز المعماري والمسحة التاريخية العريقة، وظلت وسط البلد حتى مطلع الستينات محتفظة بطابعها الأوروبي الخالص، والمخضرمون لا شك يذكرون تلك الأناقة.. فلم يكن من اللائق أبداً أن يتجول أبناء البلد بجلابيهم في وسط البلد ويستحيل قبولهم بهيئتهم الشعبية تلك في مطاعم مثل جروبي والأمريكيين والأونيون أو حتى سينما مترو وسان جيمس وراديو وغيرها من الأماكن التي كان ارتيادها يقتضي ارتداء البدل الكاملة للرجال وفساتين السهرة للنساء، وكانت المحلات جميعاً تُغلق أبوابها يوم الأحد وفي الأعياد المسيحية الكاثوليكية مثل الكريسماس ورأس السنة كانت وسط البلد تزدهن عن آخرها وكأنها في عاصمة غربية فتتألق الواجهات الزجاجية بتهاني العيد المكتوبة بالفرنسية والإنجليزية وأشجار السابان **SAPINS** والدُمي التي تُمثل بابا نويل

وتزدحم المطاعم والبارات بالأجانب والأرستقراطيين الذين يحتفلون بالشراب والغناء والرقص، وحفلة وسط البلد دائماً بالبارات الصغيرة، حيث يستطيع الناس في أوقات الراحة والعطلات أن يتناولوا بضع كنوس وأطباق شهية من المزة بسعر معقول، وكانت بعض البارات في الثلاثينات والأربعينات تُقدم مع الشراب عروضاً صغيرة مُسلية لعازف يوناني أو إيطالي أو فرقة من راقصات أجنبيات يهوديات، وحتى نهاية الستينات، كان في شارع سليمان باشا وحده ما يقرب من عشرة بارات صغيرة، ثم جاءت السبعينات فبدأت وسط البلد تفقد أهميتها شيئاً فشيئاً وانتقل قلب القاهرة إلى حيث تعيش النخبة الجديدة في المهندسين ودينة نصر، واجتاحت المجتمع المصري موجة كاسحة من التدين فلم يعد من المقبول اجتماعياً أن تُشرب الخمر واستجابت الحكومات المصرية المُتعاقبة إلى الضغط الديني ( ولعلها زادت سياسياً على التيار الإسلامي المعارض لها ) فقصرت بيع الخمر على الفنادق والمطاعم الكبرى وامتنعت عن إصدار تراخيص لبارات جديدة، وفي حالة موت صاحب البار (الأجنبي غالباً) تقوم الحكومة بإلغاء تراخيص البار وتشترط على الورثة تغيير النشاط.. كل هذا بالإضافة للحملات البوليسية الدائمة على البارات حيث يقوم الضباط بتفتيش رواد البار والإطلاع على بطاقاتهم واصطحابهم أحياناً إلى القسم بغرض التحري عنهم.. وهكذا، بحلول الثمانينيات، لم يبق في وسط البلد كلها سوى بضعة بارات صغيرة مُتناثرة استطاع أصحابها الصمود في وجه المد الديني والاضطهاد الحكومي، وتم ذلك بطريقتين: التخفي والرشوة.. فلم يعد أي بار في وسط البلد يعلن عن وجوده، بل صارت كلمة بار في اللافتات تُستبدل بكلمة مطعم أو كافي شوب، وتعتمد أصحاب البارات ومستودعات الخمر أن يطلوا زجاج محلاتهم بلون داكن لا يُظهر ما يجري بالداخل أو يضعوا في

واجهاتها مناديل ورقية أو أية بضاعة أخرى لا تنم عن نشاطهم الحقيقي ولم يعد مسموحاً لأي زبون بأن يشرب الخمر على الرصيف أمام البار أو حتى أمام نافذة مفتوحة تطل على الشارع، واتخذت احتياطات مشددة بعدما تم إحراق عدة محلات للخمر على أيدي شبان منتمين للتيار الإسلامي، ومن ناحية أخرى تعين على أصحاب البارات القليلة الباقية أن يدفعوا رشاي كبيرة منتظمة لضباط المباحث التابعين لهم والمسؤولين في المحافظة حتى يسمح لهم هؤلاء بالاستمرار، وبما أن بيع الخمر المحلية الرخيصة لا يُحقق لهم من الدخل ما يكفي لدفع الرشوة فقد وجد أصحاب البارات أنفسهم مضطرين إلى إيجاد "طريقة أخرى" لزيادة الدخل فاتجه بعضهم إلى تسهيل الدعارة عن طريق استعمال الساقطات في تقديم الخمر (كما حدث في بار كايرو في التوفيقية وبار ميدو وبار بوسي كات في عماد الدين) واتجه البعض الآخر إلى تصنيع الخمر في معامل بدائية بدلا من شرائها من أجل مُضاعفة الأرباح، كما حدث في بار هاليجيان في شارع الانتكخانة وبار جامايكا في شارع شريف، وقد أدت هذه الخمر المصنعة "الرديئة" إلى حوادث أليمة أشهرها ما حدث لفنان تشكيلي شاب فقد بصره اثر تناوله لبراندي فاسد في بار هاليجيان وأمرت النيابة العامة حينئذ بإغلاق البار، لكن صاحبه استطاع بعد ذلك أن يُعيد فتحه بالطرق المعروفة.. وهكذا، لم تعد البارات الصغيرة المُتبقية في وسط البلد أماكن رخيصة ونظيفة للترفيه كما كانت في السابق، بل صارت أوكاراً سيئة الإضاءة والتهوية يرتادها زبائن من الرعاع والمشبهين في أغلب الأحوال.. مع وجود استثناءات نادرة لهذه القاعدة مثل بار مكسيم في الممر ما بين شارعي قصر النيل وسليمان باشا وبار شينو الذي يقع تحت عمارة يعقوبيان ((

فأين مصر في الفترتين؟.. وأين مصر فيما وصف وأرخ؟..

كما أنني شعرت عندما قرأت هذا الجزء أنه عبارة عن دليل سياحي،  
أو دليل محلي، أو إعلان تجاري للقراء على اتساع شريحتهم لهذا النوع  
من التأليف الجريء..

\* ولدي تعقيب على هذا المقطع في صفحة 190، و 191:

(( - .. تشربي معي؟! ))

- لا شكراً..

- عمرك ما شربت..؟!

- عمري..

- .. جربي كأس واحد.. هو طعمه مر في الأول، وبعد كدة الواحد

ينبسط

- شكراً..

- خسارة.. الشرب حاجة لطيفة جداً، الأجانب يعرفوا قيمة الشرب

أكثر منا ))

هذا طبيعي لأن الأجانب ضالون، يعرفون قيمة الدنس والإثم أكثر  
منا، ويستمتعون به!.. مثلما يعرفون قيمة أكل لحم الخنزير الضارة  
والمؤذية جداً، ومع ذلك يُصرون على أكله!!..

والله عز وجل جعل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير مُحرمًا في  
الإسلام رحمةً بالعالمين، وتوجيهاً لمصلحتهم..

وأكمل المقطع لأدلل علىصرية ذكي الدسوقي المشوّهة  
الممسوحة:

(( - أنا لاحظت إن حضرتك عايش زي الأجانب بالضبط.. ))

ابتسم وتأمل وجهها بشغف وحنان وكأنها طفلة فصيحة ثم قال:

- أرجوك ما تقوليش حضرتك.. أنا صحيح عجوز بس ما فيش داعي تفكريني بالموضوع دا طوال الوقت.. فعلاً أنا طول عمري مع الأجانب.. تربيت في مدارس فرنساوي ومعظم أصحابي كانوا أجانب وتعلمت في فرنسا وعشت هناك سنين.. أنا أعرف باريس زي مصر بالضبط.. ((  
أشك.. أنه يعرف مصر مثل باريس.. فمصر لم تكن يوماً مثل باريس إلا في الطبقات العليا، وقد كانت قليلة العدد بالنسبة لشريحة الشعب المصري العريضة..

الغريب أن المؤلف تحدث عن هذه الحقبة في مصر ورفاهيتها بالفرنسيين.. ولم يتحدث قط عن احتلال فرنسي أو إنجليزي لمصر أبداً، وما يتبع ذلك من ظلم وعدوان وبغي وقتل وتشريد واغتصاب...!!

\* سؤال مهم.. عمارة يعقوبيان عمارة كبيرة، وبالتأكيد ليس ما ذكرهم المؤلف من الشخصيات الفاسدة هم من يقطنون فيها وحدهم.. هو نفسه ذكر في صفحة 23 أنه عندما جاء الانفتاح في السبعينات وبدأ الأثرياء في الخروج من وسط البلد حيث عمارة يعقوبيان إلى المهندسين ومدينة نصر، وباع بعضهم شققهم في العمارة وخصصها البعض الآخر كمكاتب وعيادات لأبنائهم حديثي التخرج أو قاموا بتأجيرها مفروشة للسياح العرب... فلم أجد سيرة عن العيادات، ولا عن السياح العرب.. باعتبار أن المرحلة الأخيرة تلك التي ذكرها المؤلف هي التي تدور فيها أحداث الرواية.. وباعتبار أنهم جزء من سكان عمارة يعقوبيان.. وهي البطل في الرواية..

فماذا يُمكن أن يربط الأطباء في العيادات والسياح العرب  
بالشخصيات التي ذُكرت في الرواية ؟..

برغم أنه لو كانت القضية طرح للمشاكل أو رسم صورة فوتوغرافية  
للفساد في مصر، فأحرى أن يدخل في طيات ملفاته هذه القضايا  
المتعلقة بفساد الطب في مصر من عدة نواحي.. كذلك ما يقوم به  
السياح من مفاسد.. وعنهم يُمكن تحبش الرواية بغرائب الأحوال  
وأعاجيب الصور، والتي تتم في مصر دوناً عن بلادهم الأصلية..

لا يُمكن ألا توجد شخصية صالحة مُتزنة دينياً واجتماعياً... فلماذا  
استرعى المؤلف تلك الشخصيات بالتحديد.. تلك التي لا تهتم إلا  
بالجنس.. تلك الشخصيات الفاسدة بالذات ؟!!..

ألا تستحق الشخصيات الصالحة أن تدخل في حيز الرواية، أم أن  
الشخصيات الصالحة لا مكان لها في سياق عمل أدبي ؟!!..

لماذا يصر على أن كل الشخصيات المصرية التي رصدها، والتي ربما  
يُعبر بها عن المجتمع المصري هي شخصيات كلها مُتناقضة، لا تمت  
للعقل ولا للنضج وللشرف والعفة بصلة ؟!!..

أعتقد أن تلك مشكلة واجهها المؤلف في المجتمع، لا أعرف إذا  
كان رصدها في المجتمع، أم أن كتابته هي المُتناقضة.. مع أن أسلوبه لا  
يخلو من تُناقض في بعض الجزئيات..

أعتقد أنه مثلما يجب أن تظهر الشخصيات الفاسدة والمُثيرة للجدل،  
فيجب أن تأخذ الشخصيات الصالحة ( القدوة ) دورها في الرواية..  
حتى يبين الخبيث من الطيب.. وحتى يكون هناك توازن مجتمعي

واقعي.. وحتى لا يسيطر الراوي على عقل القارئ بأن هناك شخصيات فاسدة تعمم أجوائها على النسق العام، وعلى الخلفية الاجتماعية.. بحيث تكون الخلفية الاجتماعية سائد فيها ما تشيعه الشخصيات الرئيسية من سلوك وتصرفات وأذواق وتناقضات.. لكن لم ينجح المؤلف في إظهار الخلفية الاجتماعية على أحسن وجه بحذفه للصالحين من نطاق المجتمع ومن نطاق الشخصيات الرئيسية، برغم أنهم السواد الأعظم.. وما ذكره من تلك الانحرافات والتناقضات والفساد ما هي إلا نسبة مشوهة لمجتمع ملتزم عن مجتمعات أخرى خارجة..

فالخلفية الاجتماعية موجودة في السطح، وفي صاحبة بثينة السيد، وفي ملاك وأخوه أبسخرون، وفي صاحب المحل الذي يستغل الشغالات عنده جنسياً، وفي سينما الشواذ وأماكن تواجدهم، وفي الحانات التي يرتادها زكي بك، وكثرة الناس الذين يعرفونه، وهو لهم بمثابة الخبير الجنسي والنسوي الضليع في مجاله بالنسبة إليهم...

وبالنسبة لأمثلة التناقض فهي كثيرة.. منها شخصية ذكي الدسوقي الذي ينقم على ثورة يوليو.. وعلى عبد الناصر وحكمه، عندما يقول في أحد البارات:

« عبد الناصر أسوأ حاكم في تاريخ مصر كله... ضيع البلد و جاب لنا الهزيمة و الفقر... التخريب اللي عمله في الشخصية المصرية محتاج سنين طويلة لإصلاحه... عبد الناصر علّم المصريين الجبن و الانتهازية و النفاق... » (ص 228-229)

وهذا يتناقض مع سمات الشخصية القائلة نفسها، ففي نفس المشهد من أوله تجد الراوي يقول حاكياً:

« كان جالسين في مطعم مكسيم بعد أن تناولوا العشاء وقد انتصف الليل وخلا المكان من الرواد. ارتدت بثينة فستاناً جديداً أزرق يكشف عن نحرها الناصع ومفرق نهديها، وجلس زكي بجوارها يحتسي الويسكي ويعرض عليها مجموعة من صوره القديمة، كان يبدو في الصور شاباً أنيقاً ضاحكاً يمسك بكأس في يده ويقف وسط رجال يرتدون البدلات الكاملة ونساء جميلات بفساتين سهرة عارية، وأمامهم موائد حافلة بالطعام وزجاجات الخمر الفاخرة »

وكم تبدو هذه الفقرة مليئة بالتناقضات.. الجو شبيه بالجو القديم الذي كان يعيش فيه ذكي قديماً بمرح ومجون ولا مبالاة بالفقراء، وليس له علاقة بالشرف والطهر، لكنه يبدو مُتيمماً به ومبهوراً ومزهواً به وبأيامه.. على حد قوله التالي، والذي يسبق الجملة الأولى مُباشرةً:

« - أنا عشت أيام جميلة يا بثينة.. زمن ثاني... مصر كانت زي أوروبا.. نظافة وأناقة والناس مؤدبة ومحترمة، ولا أحد يتجاوز حدوده أبداً... أنا نفسي كنت حاجة ثانية . كان لي وضعي وعندي فلوس وكل أصحابي من مستوى معين، وعندي أماكن مخصصة أسهر فيها.. نادي السيارات وكلوب محمد علي ونادي الجزيرة.. كانت أيام.. كل ليلة ضحك وسهر وشرب وغنا. مصر كان فيها أجنب كثير.. معظم السكان وسط البلد كانوا أجنب لغاية لما عبد الناصر طردهم سنة 56.. »

والتناقض واضح.. هو يعتبر عبد الناصر مجرماً، وأحل مجتمع فاسد بعد أن كان مجتمعاً نظيفاً، في ظل الاحتلال ووجود الأجنب الذين يسرقون في البلد وينهبون خيراتها، ويُمارسون رذائلهم فيها، ويُحلون ثقافة مُحرفة تختلف عن قيمنا وإسلامنا.. مجتمعاً نظيفاً يشرب الناس فيه الخمر ويستحلونه، وتتعرى فيه النساء بملابس يظهر منها مفرق

نهودهم.. مجتمع نظيف يترف فيه الأغنياء، ويجلسون على موائد عامرة  
بالطعام والشراب حلالاً وحراماً، في حين أن في الخارج كان هناك الفقراء  
كثراً.. وما كان أكثرهم في هذا العصر الملكي !!..

يأتي التناقض من خلال شخصية مُنحلة تتوق لأيام الانحلال  
والمجون الذي تفتقت سياسة عبد الناصر الجديدة عن زوالها..

## \* رداً على ادعاء خطير عن أن الراوي مثل مصر بعمارة يعقوبيان !!..

إن كان المؤلف يريد أن يضع صورة عمارة يعقوبيان أو يُمثل لها في صورة مصر أو العكس، فأنا أظن أنه لم ينجح، ولم يُوفق في ذلك.. لأن صورة مصر ليست كذلك، وصورة عمارة يعقوبيان صورة مُحرفة، فلا تُعبر الصور المشوهة أو المهمشة أو العشوائية الموجودة في الرواية عن المجتمعات المصرية، ربما تكون هناك صورة لمجتمع معين بهذا الشكل البذيء الذي عُولج فيها، لكنها نسبة صغيرة لا تستدعي التكلم عنها بهذا العمق والتركيز الفاضح...

وكل شخصية في الرواية لا تُمثل شريحة من شرائح المجتمع المصري، فهذا ليس الواقع..

كون المؤلف عايش تلك البيئة وأحس أن لها علاقة بالمجتمعات الأخرى، فهذا شأنه، لكن أن يُعبر عنها ويُعممها على المجتمعات الأخرى، ويعتبر أن هذه هي مصر بأكملها، فليس هذا من حقه، فلا يعني احتكاكه بهذه البيئة الفجة التي صورها في روايته، لا يعني أنها تنطبق على أي مجتمعات مصرية أو كلها، مع أنني لا أنكر تواجد مثل هذه البيئة، لكنها تبقى بيئة شاذة لا يحق لأحد أن ينشرها علنياً بهذه الصورة المقززة، حتى لا يقع في محذور نشر الفساد بالحديث عنه، وعندنا قاعدة رائعة في الأدب.. رحم الله قوماً أحيوا الخير بذكره، وأماتوا الباطل بهجره..

أنا أرفض أن تكون عمارة يعقوبيان مُعبرة عن شرائح المجتمع المصري بهذه الصورة المقززة..

أرفض أن تُنسب لأي مجتمع مصري أو عربي.. لأن الغالب ليس كذلك، وهو ليس الواقع.. ولأن الذي ليس له خير في أهله وفي بلده ليس له خير في أحد إطلاقاً..

كما أنني أختلف معه في تناوله لتلك القضايا بهذا الأسلوب.. من حيث ذكر الباطل ونشره على الخاصة والعامة، وما أخطر ذلك على العامة، إذ هم كثير كغناء السيل.. وأعتقد أن هذا يضرب الثقافة والأدب في مقتل بهذه الكمية من القراء الغير واعيين، وما أكثرهم..

المؤلف أيضاً لم يؤرخ اجتماعياً لمصر.. فليست كل العناصر في الرواية تمثل الفاسدين والداعرين والمُنحِلين في مصر..

إن هي إلا شرائح شاذة لا تستحق أن تُذكر في منظومة الجنس والفساد تلك التي نظمها المؤلف، بل هي حتى ليست على حقيقتها..

وإن أراد فعله أن يذكر شرائح أخرى كثيرة تستحق الذكر، قد أغفلها المؤلف إما لأنه لا تروقه من تلك الشرائح إلا الشخصيات المهووسة بالجنس والانحلال.. وإما أنه قد أغفلها عامداً ليعطي صورة مُشوّهة عن المجتمع المصري... لكن.. هيهات..

وحتى إن كانت تلك المُجتمعات موجودة بالفعل، فليس دور الأديب أن يتحدث عنها وهي موجودة، فكأنه لم يأت بشيء جديد، بل ونشر ثقافة ليس جديراً بها أن تسود...!

كما أنه لو اختلق ذلك من الخيال فليس من الأدب أن يحل تلك الثقافة الخيالية المريضة في مجتمع أغلبه نظيف أو بريء..

بالإضافة إلي ذلك فقد شعرت أن الكاتب يكتب في جو غربي، بمعنى كأنه يكتب عن مكان وأشخاص ليس لهم علاقة بمصر أو الشرق، إنما كأنه يكتب عن تيمة غربية .. وحتى لقد وقع في ذلك عندما قال في أول صفحات الرواية، الصفحة 16:

(( اليوم الأحد: تغلق المحلات في سليمان باشا أبوابها وتمتلئ البارات ودور السينما بالرواد ويبدو الشارع المظلم الخالي بمحلاته المغلقة والعمارات ذات الطراز الأوروبي العتيق وكأنه جزء من فيلم غربي رومانسي حزين.. ))

مما يجعل جو الرواية مُتناقضاً مع موروث المكان الشرقي، بل الإسلامي.. كأن العلاقات التي يكتب عنها عادية أو عُرفية لا تُورق نفس ممارسيها في إطار الجو الغربي، وهذا حدث أكثر في العلاقة المثلية الأقرب بالنسبة للجو الغربي، بينما كان أولى أن يحدث في علاقة الزنا الذي كان يمارسه ذكي الدسوقي من قبل، فهو أنسب للجو الشرقي، بالإضافة إلى شرب الخمر، وكأنه شيء عادي في هذه البيئة، برغم أنها مصرية دولة شرقية إسلامية نوعاً ما ملتزمة، وليست فرنسية أو أمريكية دول غربية منحلة متحررة بإطلاق بدون ضوابط..

كذلك لاحظت في الرواية بعض مغالطات شائعة في الكتابة العربية، وفي السينما المصرية.. وهي القائمة على اللادينية.. التخلي عن مبدأ الدين، واعتماد مبادئ مغالطة للتعايش في المجتمع.. مثل ذلك صفحة 157. 158:

(( لو أنه تزوج لما شعر أبداً بهذه الوحدة المؤلمة القاتلة، ذلك الشعور الأسود الداهم باقتراب الموت الذي يجتاحه كلما سمع بموت أحد أصدقائه، السؤال الغامض الذي يلاحقه عندما يأوي إلى فراشه كل ليلة.. متى يأتي الموت وكيف؟! يتذكر الآن صديقاً له تنبأ بموته، كان جالساً معه في شرفة المكتب ثم وجه إليه نظرة غامضة، فجأة، وكأنه لمح شيئاً ما في الأفق، ثم قال بهدوء:

.. أنا موتي قريب يا زكي.. أنا شامم رائحة الموت..

الغريب أن صديقه هذا مات فعلاً بعد أيام، ولم يكن مريضاً، وقد جعلته هذه الحادثة يتساءل ( عندما يكون محبطاً ومكتئباً) أيكون للموت رائحة معينة تنبعث حول الإنسان في آخر حياته فيحس بدنو أجله؟! وكيف تكون النهاية؟! أيكون الموت بمثابة نوم طويل لا يستفيق الإنسان منه أبداً؟! أم أن هناك قيامة وثواباً وعقاباً كما يعتقد المتدينون؟!.. وهل يعذبه الله بعد الموت؟!.. إنه ليس متديناً ولا يصلي ولا يصوم صحيح.. لكنه طيلة حياته لم يؤذ أحداً، لم يغش ولم يسرق ولم يستول على حقوق الآخرين ولم يتأخر أبداً عن مساعدة الفقراء، وباستثناء الخمر والنساء لا يعتقد أنه ارتكب ذنباً بالمعنى الحقيقي.. ))

أنه لا يصلي ولا يصوم، وقد لا يعتقد.. بحكم عدم تدينه.. بوجود قيامة وجنة ونار وثواب وعقاب كما يعتقد المتدينون.. لكن هذا كله ليس له أهمية بالمقارنة بأذى الناس وعدم الغش وعدم الاستيلاء على حقوق الآخرين..!

والخمر والنساء لأنهما محرمان، هما ذنبان بالمعنى الحقيقي.. لكنهما ليسا ذات أهمية.. إنه يفعل أمرين محرمين فقط!!.. أمرين فقط!!.. هناك مَنْ يفعل أكثر من ذلك!!.. إنه أخف منهم جميعاً!!.. هما

خمر ونساء صحيح.. لكنهما يقعان في دائرة حرية شخصية لا تطول  
الأشخاص الآخرين، ولا تؤذي أحداً سوى نفسه!..

لا أدري لماذا اعتنق هذه المغالطات، ولم يختلف تعبيره أبداً عن  
سبقوه!..

ولا أدري سبب التقليل من الصلاة والصوم في الإسلام وهما رُكنان  
مهمان جداً في إسلام المرء بغض النظر عن إيمانه!؟!

ولا أدري أيضاً سبب استخفافه بكبائر الخمر والزنا.. وهما في  
الإسلام من أعظم الكبائر!!..

لقد تكلم عن تلك الأمور ولم يحسمها، ولم يقطع فيها قطعاً.. كأنه  
يقول: ما دام الشخص بتلك السلبيات وهذه الإيجابيات فهو بذلك  
شخص صالح، ويستحق الرثاء.. ويستحق أن ينال في آخر الرواية نهاية  
سعيدة مع عاهرة تزوجها!..

كأنه منطلق عادي ساقه ولا يستحق التعليق ولا التحليل.. يشبه الأمر  
في رأيي تصويره لصورة جنسية في وضع مغري، وإبرازها للناس علنياً،  
ليجدوا أن النظر فيها ليس فيه أي مانع..

أو يُشبه كلام سيء عرضه على الناس، ولم يُبين لهم سوءه وسلبيته  
وفساده، فلم يعرف الناس مقصد الناشر، وإن كان أغلبهم سيتناولونه  
بألسنتهم وسيحسبونه حقاً وصدقاً، ويعتقدون فيه، وهو عند الله عظيم..

فماذا فعل بعرضه للصورة؟.. لم يكن إبداعاً في رأيي إن لم يصحح  
المعتقدات، وينبذها، أو يحتقرها، أو يُشير إليها بأنها لا يجب أن تُتبع،  
أو حتى يلغي تأثيرها بمشهد آخر مُبدع يرد فيها تلك الشبهات..

ليس على المرء أن يصلي ولا يصوم!.. وليس إثماً كبيراً أن يشرب  
الخمير ويزني بالنساء!.. فما دام لا يؤذي أحداً ولا يغش ولا يستولي  
على حقوق الآخرين أو يظلمهم، ويعطي الفقراء مما أعطاه الله.. فلن  
يُعاقبه الله، ولا يستحق أن يكون في مصاف الأشرار والفاستدين!!..

وكل هذا كلام مُغالط فيه.. لأن سبب الفساد هو التهاون في الصلاة  
والصوم، وإهمال الدين، والتقليد الأعمى.. وسبب الضنك الذي نعيشه  
هو البلادة أمام شرب الخمير، وهو كبيرة من الكبائر عظيمة عند الله  
يُوازِيها كبيرة الزنا والعياذ بالله، وقد سماه الله فاحشةً ومقتاً وساء سبيلاً..

لماذا يتغاضى المؤلف عن التأشير عن مساوئ الخمير والزنا، ويعتبرهما  
أمران عاديان في حين يتحدث عن الفساد السياسي في مواطن أخرى  
بأسلوب يبدو مقصوداً بالاتهام والتغليظ والسخرية..

أليس الفساد الاجتماعي مُوازياً للفساد السياسي؟!..

أليس ما ذكره عن الصلاة والصوم، والخمير والزنا أدران اجتماعية  
خطيرة ستؤدي حتماً لانتهيار ونهاية مأساوية شنيعة؟!..

لماذا إذن تحولت نهاية هذه السلبيات في هذا الرجل إلى نهاية  
سعيدة.. وهذا يسرب في العقل عقيدة مشوهة مغالطة متناقضة بعيدة كل  
البعد عن الواقعية والحقيقة والإصلاح.. كأنه غسيل مخ للقراء عن طريق  
الرواية..

لا بد أن الكاتب قد سمع عن أن هناك عناوين كتب ممنوعة من  
القراءة.. لأنها تسرب للقراء معتقدات ومفاهيم، تصل إليهم بشكل  
نفسي، عن طريق الأسلوب، فيتأثرون به سلبياً، وبذلك يكون الكاتب  
وصل إلى غايته المرجوة من كتابه بأسلوبه المتعمد الماكر..

\* مما يعتب على المؤلف أنه تكلم فقط عن قضية الفساد الجنسي بينما قضايا الفساد في العهد الذي تكلم عنه كثيرة.. مثل خروج المرأة لمناطحة الرجل في محل عمله، والنتائج التي ترتبت على هذا، والتعلق بكرسي الحكم، والبطالة، ومشاكل الشباب، والغلاء، والسلبية، ونسب الطلاق الذي تزيد كل يوم، والمخدرات، والهجرة، واللامبالاة...

الشيء الخطير والغريب أن يتكلم المؤلف عن الفساد الجنسي، وبعض أصناف الفساد، ولم يدر أنه نفسه واقع في فساد أكبر، وهو الفساد في الكتابة الأدبية إن كانت تُسمى بذلك أساساً بالنسبة للأسلوب الجنسي عنده..

فلقد وصلت الكتابة في هذا العصر منحىً يتصف بعدة أنواع من الفساد، توازياً مع ما وصل إليه الفساد في هذا العصر.. كتابة مُناقفة للحكام، وكتابة كذب وخيانة، وكتابة مزورة ومحرفة، وكتابة بتعبير مُخذي ومثير للغرائز... أليست كل تلك مفاصد في مهنة الكتابة المقدسة؟..

\* قضايا عديدة ومشاهد متعددة لم تأخذ حقها في السرد والتوصيف، حتى كأن المؤلف لا يجيد سوى كتابة الجنس والمواقف الجنسية بتفاصيلها، فحتى عند كتابة مشهد الطفل عندما مات لم يصف عملية الموت حتى تليق سكرة الموت بما تبعه من تأثر الموجودين بموته، فقد ذكر الأمر فحسب، وكأنه قطة ماتت، وكان يجب أن يكون المشهد قوياً ومؤثراً بحيث يجعلنا نتصور مدى فجاعة الأم، وتوبة الأب بهذا الحدث الذي سيغير فكره، ويتخذ خطوة رادعة.. حتى قبل تأزم مرض الولد.. لم يكن واضحاً في الرواية، إنما برز فجأة واضحاً عندما طرقت والدته الباب على والده وهو مختلي مع خليله في الحرام، أن ولده يلتهب حرارة.. ثم

تواردت الأحداث بسرعة، وانتهت بموت الطفل.. وشعرت أن الأمر فارغ من التأثير الذي يريد المؤلف توصيله..

\* أيضاً عند موت الشاذ لم يشعرني الكاتب بما يشفي فضولي من الإحساس الذي انتابه عند إزهاق روحه يائمه الفاحش مثلما أحسستني بتلذذه بعملية الشهوة، التي تكررت مرات عديدة على صفحات الرواية، وكأنها استعراض للإثارة المثلية الغريبة على مجتمع شرقي يأنف الشذوذ وتقر في نفسه الفطرة الإنسانية سليمة طبيعية مطمئنة.. وهذا يثبت وجهة نظري من أنه روائي جنسي في المعيار الأول، يعرف كيف يتلاعب بمهارة بغرائز القراء..

\* لا يُمكنني إنكار أن الكاتب تكلم عن قضايا مهمة مثل الفساد في أمن الدولة والانتهاكات التي يقوم بها ضد الناس والمُتدينين، وكتب الحريات السياسية، ونفاق علماء الدين، وفساد علماء السلطة، واستغلال السلطة لرجال الأعمال وفتوتهم عليهم، وكتب عن بعض الأفكار النفسية والسيكولوجية والاجتماعية في بعض القضايا مثل قضية الزواج الثاني، وأفكار خاصة بالجنس من الناحية النفسية بين الزوجين (سعاد جابر)، وليس من ناحية الممارسة، بمعنى أن تتزوج شابة بـرجل أكبر منها في السن...

كما تكلم عن قضية الإجهاض في رأي بعض المذاهب الفقهية...  
وتكلم عن قضية الهجرة من البلد لبلد آخر، وعن قضية الانتماء الوطني (وليس الثقافي للأسف؛ لأنه حتى للمؤلف نفسه مشوه)..

تكلم عن بعض أرائه السياسية المُعتدلة، والمُتناقضة في ذات الوقت،  
وإن كنت أعتقد أن هذه ثغرة لا يُستهان بها في الرواية..  
تكلم عن قضية الانتخابات والعبث الذي يحصل فيها..  
تكلم كذلك عن السلبية المقيتة في الشعب المصري، واستعداده  
للاستبداد، والاحتلال...  
وتكلم عن بعض القيم الإنسانية، وإن كانت أقرب لنطاق الجنس أكثر  
منه وجدانياً وروحياً وكرامةً..

## \* الحب في الرواية..

أعتقد أن كل الأمثلة التي أحببت في الرواية لم تُشعرنني بمدى مصداقية الحب إن لم يشوبها تعلق بمواصفات الجسد.. حتى طه الشاذلي عندما أحب بشينة كان تعلقه بجمالها بوجهها أو بمنظرها في الثانوية عندما كانت تُخفي صدرها الناضج بكتبتها.. لم يتطرق لرزانتها ومواصفاتها الشخصية التي تجذبه فيها.. أجد الأمر أشبه بأقرب فتاة له اجتماعياً وتكفائياً، وأفضل امرأة مرسومة للزواج، أي أنه لم يجد أفضل منها في محيطه..

عندما أحب زكي الدسوقي بشينة السيد بدأ الأمر بالممارسات الجنسية.. وأثناء حبهما كانا يُمارسان الجنس (بالخط الأحمر طبعاً).. فأني حب هذا الذي يُبيح لطرفيه المُضاجعة أولاً.. وكل منهما كان يُمارس الجنس مع اختلاف طُرقهم..

كذلك حب حاتم لعبده.. كان لمصلحة تواجده الجنسي قُربه..

لم أجد حب حقيقي مُصفى من شوائب الجنس في إطار شرعي، وحب طه لزوجته لم يكن حب، بل بدا كأنه زواج مبني على تخفيف طاقة مضغوطة، أو تصبيرة على غاية مرحلية لم تحن بعد، أو تعويض عن فقد امرأة كانت مرسومة للزواج، أو عملية ترقيع زوج بدل زوج ميتور..

\* أحسست أن الحب الذي يصفه المؤلف مُشابه كثيراً للحب الذي تعرضه الأفلام الأجنبية بين أبطالها.. أعني أنه حب ثقافته غربية، وهذا يُثبت ولعه بالجو الغربي والثقافة الغربية..

أضف إلى ذلك أن تعبيره بالحب كناية عن الجنس يُعد تحريف ظاهر لحقيقة الحب عنده، ومُشابه بالفعل للترجمة التي تظهر على شاشة الأفلام الأجنبية.. ومثال على ذلك ما حكاه عن ذكي الدسوقي مع عشيقته رباب صفحة 88: (( تستأذن إلى الحمام وتعود وقد ارتدت قميص نوم قصيراً ومفتوحاً يكشف عن مفاتنها، تلك الابتسامة اللعوب وهي تسأله " .. أين سننام ؟!.." واللذة العارمة التي منحها له جسدها الطري الدافئ.. كل تفاصيل الحب الرائعة يتذكرها زكي بك ))

وبالطبع هو يقصد بتفاصيل الحب هو الممارسة للجنس.. فأين سيأتي الحب الحقيقي بين شهوة وجسد فتان ؟!!..

أتابع الأمثلة تدليلاً على سوء استخدامه لكلمة الحب في سياق آخر مُناقض وهو الجنس، صفحة 89 :

(( .. أنا انسرقت يا أبسخرون.. رباب سرقتني !!.. ))

هكذا ردّد زكي بك وقد جلس عارياً على حافة الأريكة التي كانت مهذاً للحب منذ قليل وبدا في تلك اللحظة، بملابسه الداخلية وجسده الضئيل وفمه الخالي المنطبق (وكان قد خلع طقم أسنانه ليتمكن من تقبيل المحبوبة).. أشبه بممثل هزلي بأئس يستريح بين فقرتين.. ((

مهذاً للحب بدل أن يقول مهذاً للمضاجعة الجنسية، وتقبيل المحبوبة بدلاً من تقبيل المومس الحقيمة التي لا تملك غير الإغراء والجسد.. لا تملك مشاعر الحب، ولا يملكه هو، فهم مفتقرين له سواء.. إن هي إلا مشاعر الشهوة العارمة، والتي قد تختلط عليهما ساعتها.. وما من حب حقيقي بينهما.. فالذي جرب النساء كشهوة فقط، لا يُمكن في نظري أن يُحب إلا لشهوة، والتي سلمت نفسها لشهوة الذكور لا يُمكن أن تحب.. لأنها لا تعرف إلا ما جربت ماديته.. في حسابها أن الحب هو

تجربة مادية.. ولا تقتنع بمعنوية ووجدانية الحب، وقيمته الروحية.. لا  
تقتنع سوى بالأشياء الملموسة المباشرة..

على مدار الرواية كان التعبير عن الممارسة الجنسية بألفاظ الحب،  
والحب أبعد ما يكون عن هذه الممارسة.. منها على سبيل المثال لا  
الحصر في صفحة 258:

(( كانا قد فرغا من نوبة غرام صباحية ونزل حاتم عارياً من الفراش  
ومشى بخطوة راقصة حاملة على أطراف أصابعه وقد بدا على وجهه  
الرضا والانتعاش كعادته عندما يشبع من الحب.. ))

كأن الحب بمعناه الراقى اندمج مع ممارسة شاذة فاندك وخلي من  
المعنى الحقيقي له.. هذا تأويلي لإدراجه لفظة الحب في هذا الموقف..  
أو كأن الحب بمعناه المتأصل في النفس ومتجذر في الفطرة يُمكن  
الشبع منه..

## \* المرأة في الرواية..

وجدتها مظلومة ومُحتكرة، ولم أجد أي مثل لها يستدعي ويوجب احترامي وتقديري وتعاطفي.. ومع ذلك شعرت أنها مجرد أداة جنسية للرجل يعث بها كيفما يشاء، ويتلذذ بها كيفما اتفق، ولم يفلح أي مثل في تغيير نظرتي تلك في الرواية.. إذ أنه لمح إلى انحصار الغاية منهم في الجسد عندما قال في الصفحة 24: أما الرجال فلا يهتمون كثيراً لمشاجرات النسوة ويعتبرونها مجرد دليل آخر على نقص عقلهن التي تحدث عنه الرسول (صلى الله عليه وسلم)

قد أكون مُخطئاً.. لكن ما الفائدة من تواجد المرأة في رواية أكثر مشاهدتها تنحصر في الجنس.. وقبل ذلك يتحدث عن نقص عقولهن من نظر الرجال.. إذاً فما الدافع للاقتران بهن سوى أنهن للجنس وصنع الطعام فحسب..

خاصةً عندما أعقب ذلك بتصريحه أن: (( الرجال جميعاً فوق السطح يقضون اليوم في كفاح شاق مرير من أجل لقمة العيش ويعودون آخر النهار مُنهكين يسعون إلى تحقيق مُتعمهم الصغيرة الثلاث: الطعام الساخن الشهى وبضعة أحجار من المعسل والحشيش إن تيسر، يدخنونها على الجوزة فرادى أو يسهرون لتدخينها معاً على السطح في ليالي الصيف، أما المُتعة الثالثة فهي "الجنس" الذي يحتفي به أهل السطح كثيراً... ))

يستمر الكاتب في الحديث عن الجنس من أول صفحة 25، إلى نهاية صفحة 26 تقريباً..

كذلك عندما تحدث عن سعاد جابر وما جذب الحاج محمد عزام فيها، عند رؤيتها ومطالعتها لأول مرة:

(( وما رآها الحاج حتى خلبت لبه: امرأة بيضاء، وممتلئة، وجميلة، ومُحجبة: الشعر أسود ناعم مُسترسل تطل خصلاته من تحت الحجاب، والعينان سوداوان واسعتان ساحرتان، والشفتان مُكتنزتين شهيتان، نظيفة، وعنايتها بتفاصيل جسدها فائقة كعادة السكندريات... )) صفحة 76.. أضف إلى ذلك أن رغبة الحاج عزام فيها من الأصل هي مبنية على إطفاء شهوته جنسياً..

المرأة بقلم د. الأسواني.. للأسف لم يُعبر عن صورتها الحقيقية المُشرفة والعفيفة.. حتى عندما ذكر المرأة الوحيدة التي كانت ملتزمة ومتدينة، أظهرها وهي عارية مع زوجها، ووصف مفاتها بما يُثير القارئ.. هكذا وضعها في صورة دنية، في عملية سرية لا تقوم إلا والأبواب مُوصدة، ولا ثالث بينهم.. حتى الشيطان، فالله ورسوله علمنا أن نستعيد من الشيطان عند الجماع، حتى لا يكون له وجود أثناء العملية..

أنا شخصياً أحترم عفة القارئ، وأحاول الحرص على حيائه، وأتحرى ألا أقع في محذور لفظ مثير يحرك غريزة ساكنة، فتتجه لمعصية الله والعياذ بالله..

وحتى لم يحترم المؤلف أن تلك الشخصية المتدينة حق لها أن تتوارى، ولا تتعري أمام الجميع بما أنها ملتزمة ومحتشمة وعفيفة في الأساس.. لكنه هنا لم يحترم أحد، وعري الجميع.. فهذا الأسلوب فج ويُعبر عن أسلوب عفوي ليس فيه أدنى إبداع أو عبقرية؛ لأن هناك فرقا

بين تعرية الأجساد، وتعرية النفوس والضمائر.. فتعرية الأجساد عملية سهلة، إنما عملية تعرية النفوس والضمائر تستدعي قلما عبقريا مُجيدا.. كما أظهرها بمظهر التشدد.. وصراحةً هذه الشخصية فيها من التناقضات العجيبة ما فيها..

كانت تعيش مع زوج مُجاهد مُتشدد يُقاتل الحكومة.. يموت عندما تتوعده أمن الدولة، تجد نفسها بين أهلها وكأنها غريبة عنهم، بل لا تحاول أن تدعوهم أو تساعدتهم لانتشالهم من كُفرهم (على حد اعتقادها).. يتقدم لها خاطب ثري على أخلاق، يعدها بالالتزام بعد الزواج، لكنها ترفضه مباشرة، ولم تبدأ معه أي محاولة لدعوته أو لإصلاحه عملاً بحديث لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها، مع أنها لو كانت فعلت وفشلت لكانت أخذت أجر المحاولة، ولسعدت بماله وبترية ابنها في جو آمن، لكنني شعرت بالغباء الذي سيطر على تلك المرأة ساعتها.. تهرب من أهلها الذين كانوا يريدون تزويجها على سنة الله ورسوله، وكأنها تحتقرهم، أو كأنها تتركهم في غيهم ملعونين، لا تحمل لهم ذرة رحمة أو بر.. تهرب لمكان مُنعزل بعيد عن المجتمع، لأنها لا تستطيع التوائم معه أو التعامل.. تزج طفلها بيديها بين المسلحين الإرهابيين الذين تُعاديهم أمن الدولة بجيوشها، وهم حين ذاك أفراد قلائل يتدربون ينتظرون بين الحين والحين عملية يموتون فيها.. ماذا تنتظر من ولدها في هذا الجو العدائي المُنعزل عن جوهر القضية، والمُفعم بمشاعر الانتقام فقط.. ثم تتزوج من واحد منهم وهي تعلم أن مصيره مثل مصير زوجها الأول..

هناك مقطع من كلامها في الرواية فيه تناقض عجيب: وأردت لعبد الرحمن ابني أن ينشأ في طاعة الله فاتصلت بالشيخ بلال ورجوته أن يسمح لي بالمعيشة في المعسكر". (الرواية ص 308)

أن ينشأ في طاعة الله في المعسكر.. المعسكر المنعزل الذي يتجهز أفرادُه للحرب والقتال !!..

ما مصير هذا الولد بعد أن يكبر، ولا يكون متعلماً، ويكون مُحملاً بمشاعر الكراهية والانتقام لمقتل والده على يد أمن الدولة، أو أن ينتظره مصير والده في النهاية.. الموت... وإن ترك هذه العزلة، وخرج للمجتمع، كيف سيتعامل معه وهو في الأساس كان منعزلاً عنه، بالتأكيد سيتصادم معه.. وإن نجحت تلك العزلة في تثبيت أرضها، والانتصار على أمن الدولة.. فسيصبح هناك مُجتمعان متناقضان: الأول متشدد، والآخر غافل وكافر على حد اعتقاد المتشددين.. ستخرج الثلة الأولى لمحاربة الكفار وهُم سواد الشعب المصري.. وتحصل حرب أهلية حامية الوطيس..

شخصية المرأة هنا متناقضة جداً، وسطحية، وعقليتها محدودة، ولا تحمل أي تأمين مستقبلي ثابت الأرضية لتربية ابنها..

\* في واقع الأمر لقد عبر المؤلف عن منهجه ورأيه في المرأة من خلال معتقد يعتقد أنه أحد الشخصيات الرئيسية في الرواية في مبدئها:

" ليست بالنسبة إليه شهوة تشتعل حيناً فتخبو وإنما عالم كامل من الغواية التي تتجدد في صور لا نهاية لتنوعها الفتان" (الرواية ص 12)

فهذا يُعبر عن نهج الرواية من أولها إلى آخرها.. نشره المؤلف بوضوح  
وصراحة... أن تكون المرأة بجسدها هو مواطن صراع الرواية وإثارتها..

وتجد امرأة أخرى فيها، لم تستطع أن تُحافظ على عفتها.. وأقول  
عفتها وليس شرفها، باعتبار أن الشرف تقرنه المرأة باقتحام بكارتها !!...!

حدث هذا مع بثينة السيد أكثر من مرة على مدار الرواية صفحة  
225، وكأنه ترويج لهذه الفكرة، وأكد عليها المشهد في الصفحة  
226، وهي مع زكي الدسوقي على الفراش، أسوق مقاطعهم بالترتيب:

(( إذا كانت هي أقامت علاقة مع طلال لاحتياجها للنقود، فإنها  
تعرف نسوة في السطح يخزن أزواجهن لمجرد تحقيق المتعة، كما إنها في  
النهاية لا زالت بكرًا وتستطيع الزواج من أي رجل محترم وتقطع لسان  
من يتكلم عنها بسوء ))

(( حتى لقاءهما في الفراش لم يترك في نفسها الإحساس بالقرف  
الذي كان يتركه طلال، كان زكي يُلامسها برقة وكأنه يخشى عليها من أثر  
أصابعه، وكأنه يُداعب وردة قد تتمزق أوراقها من أدنى ضغط وكان يُقبل  
يديها كثيراً (ولم تتصور يوماً أن رجلاً سيقبل يديها) وفي الليلة الأولى  
عندما التقى جسدهما همست في أذنه برقة وهي تحتضنه:

- خللي بالك.. أنا بنت..

وضحك بصوت خافت وهمس

- عارف..

ثم قبلها فشعرت بجسدها يذوب تماماً بين ذراعيه..

كانت له طريقته الساحرة في الغرام.. يستعيز بالخبرة عن العنفوان  
وكانه لاعب قديم يُعوض ضعف لياقته بمهاراته العالية ))

بالطبع من رأيي أن هذا تحريف ومُغالطة في الرواية من وجهة نظر المؤلف.. لأنني أفهم أن العفة والشرف هما مرادفان لقيمة المرأة وابتعادها عن الشهوات والمتاجرة بجسدها، حتى لو لم (تُنتهك)..

صراحةً أجد حياءً من نفسي في التعبير.. لكنني أحاول جاهداً انتقاء أفضل الكلمات عفاً وبراءةً..

إن عفاف المرأة أن تُحافظ على جسدها من أي لمسة.. وليس فقط ألا تُخدش بكارتها..

مفهوم العفاف الذي أعرفه أن تكون المرأة مُبرمجة على أنه لا يجوز لمسها مجرد لمسة عابرة على كتفها، من أي شخص سوى من زوجها وأخوها وأبوها... إنما أن تتهاون في أن يمس جسدها أشخاص غرباء عنها.. ناهيك عن أن تُمس بشهوة لحد النشوة.. فهذا أسفل من الحقارة والدنس والهوان انعدام الحياء والشرف والعفاف...

قيمة العفاف ليست في الجسد إنما في درجة القابلية للمس هذا الجسد المنوط بها.. إما أن تستهون مسه، وإما تتحرى عدم احتكاكه بأنامل غريبة لا تجوز لها، مُعتبرة نفسها جوهرة مصونة مستقرة على قاعدة مُغطاة عالية بعيدة عن الأتربة والأضواء والعبث..

شيء آخر في المقطع، فكأن المؤلف يؤيد أن البنت إن كانت راضية بعبث غريب في جسدها فلا شيء يُجرمه، ولا يُجرمها، أما إذا لم تكن راضية فالقانون يُجرمه، ويجعله مغتصباً أثيماً..

كأن الإجرام الحقيقي أن يُزاول الرجل شهوته بطريقة مقبلة مكرفة مع البنت، بينما إذا كان يُعاملها بلطف ويُقبل يديها، ويُعاملها كوردة فإن هذا

ينزع عنه صفة الإجرام، ويجعله قديساً يستحق كل الحب والاستسلام له  
والرضا...!

في نظري أن الشخصان في الجرم سواء.. مع أن الأول كان أصدق  
من الثاني.. فهو لم يكن يريد إلا الشهوة.. أما الثاني فكان يأخذ الشهوة  
بطريقة الخبير زير النساء، الذي يتخابث ويُمثل ويتحور ويتفنن ويتحايل  
من أجل الإيقاع بالبنت ليأخذ شهوته برضاها.. لا مكان للحب له فيها؛  
لأنه صنع ذلك مع كل بنت وسيدة من قبل في تاريخه النسائي الفاحش  
الأثيم.. كان يريد الشهوة ولا شيء غيرها.. ما الذي اختلف؟!..

لم ينجح المؤلف في صُنع الصورة المُغايرة لماضي زير النساء.. كان  
لا بد أن يكون حاضره مختلفاً عن ماضيه.. كان لا بد أن يُغير الحب من  
ممارساته وشهواته، لا أن يُبقي حالته في ماضيه الشهواني وأيضاً في  
حاضره في الغرام (بمعنى الحب الحقيقي)!!.. تلك سقطة فنية واقعية  
تُحسب على المؤلف.. فأنا كمتلقي لم أقتنع بهذا المنطق الروائي.. ولم  
ينجح هذا المسار في قصة زكي الدسوقي من إيقاعي وتوريطي في واقعية  
الحدث.. فهذا نقدياً يُعد "كذب فني"..

\* لم أجد إلا الفكر المُغالط.. ولم أجد إلا المثل القابل للفساد من  
بعد طُهر ونقاء.. وكأن المؤلف يُعزز هذا الفكر.. أن الواقع يسير بهذا  
النسق.. حتى لو كانت نشأة الفتاة نقية وطاهرة، وبيئتها ملتزمة.. لو  
تلبدت الحياة، وضافت عليهم بما رحبت، وخنقهم العوز.. فلا بد من  
التخلي عن العفة والطُهر والنزول إلى ثلة الفاسدين من الأغنياء للحصول  
على المال.. وكأن كل الأغنياء فاسدين، يبحثون عن اللذة والمرأة  
المتحررة من اللباس الذي يُواري سوءاتها.. ثم تتجه الفتاة إلى البغاء

والفساد والدنس والانحلال لتحصل على المال.. غاية راقية حميدة!..  
نيتها تستحق الشفقة حتى لو كانت تستحل جسدها وتدع الغرباء يعشون  
به من أجل المال.. من أجل أخواتها، ووالدتها.. يا لها من نية طيبة تشفع  
لها عند ربها يوم القيامة!!..

الغريب أن هذه المرأة برغم بغيها، والأأيادي التي عبثت بجسدها، فلم  
يهتم الأخير الذي استقبلها من أن يحبها، ويتزوجها، ولا يسألها عن  
الماضي.. حتى أنها لم تتب، ولم تعده أنها لو احتاجت لحاجة فلن تدع  
أحد يعبث بها لتلبية رغبتها وحاجتها.. بل لقد استباحها وقدرها ووضعها  
في منزلة الشريفة!!..

صراحة لا أتصور في رجل شرقي أن يفكر بهذه الطريقة أبداً.. لا  
أستطيع أن أمس امرأة قد لمسها شخص قبلي غريب عنها بدون إجازة  
شرعية، حتى لو كنت أعشقها عشقاً.. أين الغيرة والأنفة التي تفرض على  
الحر أن لا يأكل طعاماً قد هف عليه الذباب أكثر من مرة!.. الفطرة  
تقول ألا أخط من قدرني للأكل من هذا الطعام الذي أصابه الذباب  
بقذارته وقلة قيمته..

إنني لو فعلت فلن أحترم نفسي، سأشعر أنني أقل منزلة من الكرامة  
التي منحها الله للإنسان، لو فعلت فسيأتي يوم أحتقر نفسي فيه،  
وسأحتقر تلك الإنسانية التي تعتبر أن مس جسدها فقط، ليس مساً  
لشرفها إنما مكان الشرف بؤرة أو مركز واحد في جسدها، تحافظ على  
أن لا يمسّه غريب، وفيما عدا ذلك فليفعل ما يريد الشخص الغريب  
بباقي جسدها!!!!..

وبهذا المنطق، فماذا يفعل ذكي الدسوقي وهو مقتنع بهذا المبدأ،  
عندما تذهب بثينة Liebeth بجسدها أحدهم دون خدش موضع شرفها التي

تعلمه.. هل سيغير أم لا يهتم؛ لأن الغريب لم يصل للموضع الحساس من شرفها، وإن وصل فيامكانه أن يقوم ويفعل الأفاعيل فيقتلها أو يطلقها.. أم ماذا؟!..

المهم.. أن مسار الشخصية يمتد إلى السوء والانحلال.. وتجدر الفتاة أن نهايتها سعيدة، لقد تزوجت وسعدت ونعمت بالمال في الحلال.. هذا جزاء صبرها ونيتها التي ناقضت فعلها وعملها السيئ والفاحش!!..

يا أيها الفتيات هذا هو المثل الذي ترجونه وترنون إليه.. أنتن تبحن عن الزواج والسعادة والمال.. فلتسرن سير السوء، وحتماً ستجدن من يستحلكن، ويعبث معكن وبكن، ثم يتزوجكن، ويغدق عليكن بالمال والرفاهية...!!!

هل جزائها أن تبعد عن حبيبها الأول الشاب المُحترم الذي يُدافع عن قضية ودين، وتذهب لعجوز عايب يستبيح الخمر والنساء وتزوجه وتحيا معه في سعادة، في حين يموت حبيبها الأول.. وكأن جزاءه أن يعدم لأنه شريف، وهي تحيا وتسعد وتجدر حياتها الرائعة أخيراً بجوار عجوز.. أtestبدل الذي أدني بالذي هو خير؟!، فما جزاء من يفعل ذلك إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب..

الغريب أن المؤلف حقر من عقلية المرأة وجعلها تهتم بالماديات وبالمال فقط بغض النظر عن جسدها والعابئين به!!..

وجعل من فهمها فهماً سطحياً، لا يحلل الأمور على محملها الحقيقي.. بل هي امرأة تريد أن تترفع، وترتاح ولا تتحمل عناء شيء.. لذلك تكره بلدها، برغم أنها لا تفهم بالسياسة.. وتلك ثقافة البلادة والأنانية، التي تصدر من امرأة من أولوياتها صناعة رجال الوطن وتربيتهم

على الإيجابية والعمل، وعدم انتظار شيء من الآخرين.. حتى لا يكونون  
عالة على حكومتهم أو مجتمعهم..

وإجابتها تؤكد ذلك: - معقول ...! حد يكره بلده!؟

- أنا ما شفتش منها حاجة عشان أحبها. " (الرواية ص 192)

لم تريها بلدها شيئاً، ولم تقدم هي نفسها بالتبادل شيئاً جيداً لبلدها  
سوى الانحلال والتدني والإغراء والنشوة الحرام..

وأضحكني للغاية تعليقها وهي تقول: نفسي أروح بلد نظيفة، ما  
فيهاش وساخة ولا فقر ولا ظلم.. (الرواية ص 284)

أول شيء ذكرته هو نفسه ما تفعله بالفعل.. كانت مصر نظيفة حتى  
حلت الأنانية والجشع، وتبخرت العفة، وتفرق اللجوء إلى الله، وتدني  
الاجتهاد وهبطت المثابرة... فالبلد النظيفة هي بنظافة أهلها، وبنظافة  
مسلكهم مُرادفاً لنظافة نياتهم وقناعاتهم.. هذا مفهوم مهم للغاية أن نعيه  
جيداً...

وبالتالي في رأيي لا تستحق داعرة قدرة أن تنال حياة ليست أهلاً لها،  
ولا تستحقها..

لا ينعم بتلك الحياة النظيفة إلا الذي تعب من أجلها، من أجل  
الحفاظ على شرفه وطهارته وقيمه وعفته، ظاهراً وباطناً..

لن ينالها آثم، أو مُفطر، لا مبدأ له، ولا قيمة أخلاقية عُلِيا..

\* أيضاً تتحول المرأة في هذا المسار إلى جشعة، وكائدة، تغلب أعتى  
عقول الشياطين.. لقد كان يُنازعها على أن تتسلم خمسة آلاف جنيهاً  
على أن تقوم بلعبة خبيثة لصالح مستفيد.. كانت حائرة.. لكنها في  
النهاية فكرت تفكيراً أخبث من المستفيد.. تستفيد هي بأكثر مما

سيستفيده المستفيد، وبأكثر من الخمسة آلاف جنيهاً التي كان سيسلمها لها مُقابل إتمام اللعبة الخبيثة.. لقد فكرت أن زكي الدسوقي لديه مالاً وفيراً.. بالإضافة إلى الشقة الفاخرة التي يعيش فيها في عمارة يعقوبيان.. هناك حل ينقذ زكي الدسوقي من كل المؤامرات التي تُكاد ضده.. أخته دولت التي تريد أن تستولي على الشقة، وملاك الذي يريد أن يستحوذ عليها أيضاً.. كل ذلك لأن زكي وحيد، ليس لديه لا زوجة ولا ولد.. وبشينة فقيرة، تعول أسرتها بالكامل.. لما لا تُنقذ نفسها من الفقر، وتُنقذ هذا الرجل من ورطته.. الحل هو أن تتزوج من زكي الدسوقي وتضرب عصافير بحجر واحد.. أليس هذا فكر امرأة حويطة طماعه، أنانية تفكر في نفسها وحسب.. لم تكن تحب زكي الدسوقي، إنما كان أنسب شخص لها.. عاملها بلياقة ولطف وحنان.. وأجزل لها العطاء من أجل استدراجها ليقضي شهوته معها.. ولم يكن متزوجاً.. إن الزواج أيسر وأقرب الحلول إلى عقل أي فتاة في مكانها تريد أن تتخلص من ضغوطها وتلطمها.. وهكذا كانت دائماً على مدار حياتها في الرواية تستسلم لأفضل الحلول وأيسرها.. حتى لو تكلف ذلك العبث في جسدها، أو الزواج من زير نساء !!..

- هناك صورة ثالثة للمرأة في الرواية وهي التي تزوجت من رجل الأعمال المشبوه وعضو مجلس الشعب.. قد تخلت عن ابنها من أجل الزواج من رجل ثري، لا تكن له أي مشاعر إطلاقاً سوى الحصول على أكبر قدر من الثروة التي يحملها زوجها.. تنهافت على المال لأن تنهافتها على الجنس أصبح عديم الجدوى.. وكأن الجنس كان أول مُبتغاهها، ثم عند انعدامه فكرت في ابنها وفي نفسها وكأنها سلعة تريد أن تقيمها على

حد نفاستها وتضحياتها، فتفكر في الحمل بالولد، الطريقة التي تجعل لنفسها الحق في مشاركة إخوانه غير الأشقاء في ثروة أبيهم..

وهنا تبين المرأة بطمعها وجشعها ورغبتها في السيادة التي لا تتناسب مع وضعها كزوجة ثانية، وأعتقد أن هذه مشكلة في الزوجة الثانية يقع فيها الرجال الذين يختارون المرأة في المقام الأول على الجنس والجمال بدون الاعتناء بالدين والفهم والالتزام والنضج والأخلاق... وقد نجح المؤلف لحد ما في إبرازها برغم شكي في توافق مقصده مع هذه الفكرة..

المهم تكون نهايتها هي نهاية الحكمة القائلة ( الطمع يقل ما جمع )..(

وهذا المثل يُثبت ويؤكد على أن المؤلف يُصر على أن المرأة كل اهتماماتها مُنحصر في الجنس والمال ..!

. صورة رابعة "دولت" وهي الأخت التي تكن العداوة والحقد لأخوها ذكي الدسوقي، وتريد أن تستولي على شقيقته وماله.. طمعاً فيهما، وهي امرأة متسلطة متوحشة تهتك رحمها، وتطمع فيما في أيديهم، وتتحين الفرص من أجل فضحه وتجريحه والحجر عليه..

وكانها تفعل ذلك حقداً على أخوها من أنه يتصابي ويُمَتع نفسه بالجنس، وهي مجرد أرملة، وحيدة هجرها أولادها بعيداً عنها.. فكانها تنتقم من أخوها الذي يمارس حريته، ولا يهتم بأحد سوى نفسه..

- أيضاً صورة خامسة، وهي زوجة عبد ربه.. ربما هي الوحيدة التي أحسست بشرفها وعفتها.. لكنها ظهرت بطيئة جداً في رد فعلها..

وباقى الصور النسائية في الرواية كلها صورة دنيئة ودنسة، وهي عبارة عن خلفية اجتماعية في الرواية، كلها تُرضي نزواتها وتُمارس الجنس وتخون أزواجها تحصيلاً للمتعة العشوائية، أو دينها، أو تُمارس الجنس تمويهاً للسرقة، أو لابتزاز صاحب العمل والاستئفاع منه بإغداق المال مقابل عبثه بأجسادهن..

لم أجد أي امرأة شريفة أو فيها صفة من رفعة أو نضج، أو عقل...  
المؤلف صنع امرأة لا تنتمي بأي حال من الأحوال للمجتمع المصري  
وبيئته..

بل هي امرأة عشوائية فاسدة، في كل حالات الفساد..

### \* نقد الرواية فنياً

قد تكون الرواية محبوكة بشكل جيد، إنما في الحقيقة لا أرى أن (الجنس) من دواعي الفن والإبداع.. بل إنني أعتبره أسلوباً سهل التناول عندما يغلب المؤلف ويكل ويخذل في حيكته..

كما أنني أحتقر ما يُسمى بأدب محشو بالغرائز ومبطن بالرغبات التي تتجاوز الحدود.. كل الحدود..

ولا أعتبر أن الأدب هو ما يتناول الفراش وما يُمارس عليه..

بل إنني أعتبر هذا إسفافاً بعيداً عن الأدب كل البعد، لم يُوفق مؤلفه في التوصل للإبداع الذي يرنوه..

والغريب أن يدخل الأسلوب الفني، في اللغة كلمات غاية في الوضاعة مثل: (( وتساءلت في نفسها "كيف أحافظ على نفسي أمام صاحب شغل يفتح سرواله؟! " صفحة 62.. كيف تكون رواية ذات فن مُبدع، وتدخل فيه هذه الكلمة البذيئة.. وأعتقد أن لا صلة بها والواقعية.. لأن هناك دلالات لكلمات أخرى تبدو أعف كثيراً وأحفظ للحياء وخدمته من تلك الكلمات..

أيضاً تلك الجملة التي قالتها دولت لذكي أخوها في صفحة 113، اللفظ الذي فيها هل يجوز إدخالها في أدب راقٍ يرقى بأذواق الناس:

(( ضيعت الخاتم الألباظ يا وسخ ..؟! ))

أيضاً في صفحة 234:

(( بتضرب سيدك يا خدام يا بن الكلب.. وحياة أمك ولا فيه شغل  
ولا فلوس.. ))

وأنا لا أعرف صراحةً كيف يُسمى هذا فناً أو أدباً؟!..!!..

هل تحول الفن والأدب إلى شتائم وسباب وألفاظ بذيئة؟!..

هل هذا من الفن في شيء؟!..

وهل الفن هو الذي ينقل صورة سيئة تقليدية موجودة في الواقع..

ينقلها بحرفيتها؟!.. فأين الفن في ذلك؟!..

في رأيي أن الفن والأدب هُما مُحاولات لفظية وموضوعية ومنهجية  
موضوعية في قالب يليق بالعرض ولا يחדش الحياء، ويرتقي بالإحساس،  
ويرفع من قيمة التخيل، ويعلوا بقيمة التخيل إلى مستوى من الانتقائية  
والنقاية..

الأدب في نظري هو أسلوب فني يسلك مسلكاً لأعلى، ولا يخرق  
الأرض ليسفل إلى أحط منازلها..

لي مقالة في الأدب الراقي الذي نرجوه، كانت في البدء عبارة عن رد  
في موضوع طرح فيه أ.علاء سعد بضع أسئلة عن القضايا الحساسة  
وكيفية معالجتها أدبياً..

في رأيي لولاً المشاهد الجنسية المستولية على الرواية، لأصبح مؤلفها  
عبقرياً ومُبدعاً في كتابتها..

كما أنني لستُ مع الكتابة المطلقة الخالية من الضوابط بحجة حرية  
الإبداع.. لكنني أؤمن بأن الضوابط إذا حددت الحرية، صارت الحرية  
مبدأً راقي ومحترم وإحساس مرهف، وقيمة في قمة الإبداع.. فحرية  
مطلقة تعني فوضى، والإبداع هو وضع الجمال في حدود مُزدانة تُشير

لموضع الإبداع بين قوائم حدوده الأربعة، أو أياً كانت عدد قوائمها.. المهم أن تكون الضوابط أو الأطر قائمة وفاعلة.. ولعل هذا ما يُدلل على العبقرية في العمل في مساحة معينة محددة، بعكس عندما تكون المساحة واسعة وتجد كل الأشياء أمامك فيها، فلن ترى جمالها فضلاً عن الضياع بينها..

كلما ضاقت المساحة استطاع المرء أن يركز رؤيته للإبداع وينتبه لموطن التميز فيها، يستطيع أن يقتنص الإشارة العبقرية التي تنطق نطقاً بجمالها وإبداعها، وتجذب العين إلى ملامحها وألوانها الخلابة.. أما المساحة الشاسعة فستسمع صدى لموسيقى مشوهة لا تعرف من أين تأتي.. الإبداع في رأيي كمقطوعة موسيقية عزبة تعزفها أصابع فنان يتواجد معك في نفس الغرفة، أو على نفس البيانو الذي يعزف عليه الفنان صاحب المقطوعة..

وأحب أن أنقل اقتباساً قرأته للمفكر والناقد المهندس محمد إلهامي من مدونته، يُعبر عن فكرتي:

<http://www.tadwen.com/melhamy/?p=242>

اقتباس:

(( من البديهي والطبعي والمنطقي أن هناك دافعا للكتابة عند الأديب أو الروائي ، إما أنه صاحب رسالة يريد نشرها ، وإما أنه يكتب لمجرد المتعة .. لأن الأدب شيء يمتعه ، ويحب أن يمارس هذه المتعة حتى لو لم تكن هناك رسالة ، قد يعبر عن هذا الشعار المرفوع ظلما ” الفن للفن ” .

### اقتباس:

شخصيا ، أنا ممن يؤيدون أن يكون الفن للفن أو الأدب للأدب حتى لو لم تكن هناك رسالة يتضمنها القالب الفني ، لكن رافعي هذا الشعار يحاولون من خلاله ” كسر التابوهات ” أي أنه طالما أن الفن لمجرد الفن والأدب لمجرد الأدب فلا داعي ولا يجوز أن توجد ضوابط أو حدود للعمل الفني ، بل هذا من التخلف والحجر على ” حرية الإبداع ” .

إذا انسقنا وراء هذا المنطق ، وانطلق الفن دون أي ضوابط ، فلا بد أن أفلام الجنس الصريحة ستكون ( فن ) ، وأفلام التعذيب كذلك ( فن ) ، وأي اعتراض على أفلام الجنس أو الفن هو حجر على ” حرية الإبداع ” : الإبداع في عرض الجنس وفي تعذيب البشر .

وفي ظل منطق أنه ” لا يجوز الحكم على عمل فني إلا بمعايير فنية خالصة ” فلا بد أن نعطي صفة الإبداع لقصص جنسية تنتشر على المواقع الإباحية ، إذا كانت صياغتها عالية من الناحية الأدبية ، وكذلك لصورة جنسية أجاد المصور في اختيار الزاوية والإضاءة ، أو فيلم يتمتع بحركة كاميرا وإخراج باهر .

ثم يمكن بنفس المنطق أن يخرج علينا من يقول : الرياضة للرياضة / ولا يجوز الحكم على لعبة إلا بمعايير رياضية ، ومن ثم يصبح من الحرية أن تكون هناك مصارعة البشر على غرار مصارعة العبيد في أيام الرومان ، وهي المصارعة التي يأتي فيها السيد الأبيض لكي يروح عن نفسه ويحسن حالته المزاجية ، فيأمر اثنين أو أكثر من العبيد السود بالتصارع حتى يقتل أحدهما الآخر ، في سبيل إسعاد السيد الذي ينظر في هدوء ، وقد يقتل العبيد ولا تتحسن حالة السيد .. للأسف !

أو مثلما يحدث الآن في تعذيب الثيران في حلقات مصارعة الثيران ،  
لا لشيء إلا لمتعة سادية في نفوس منحرفة ، أو في حلقات المصارعة  
الحديدية التي تحقق إقبالا شعبيا أمريكيا متزايدا ، والتي يندر أن يخرج  
فيها مصارع دون إصابات بالغة .

وقد يتطور الشعار كذلك ليقول الزعيم : السياسة للسياسة / ولا يجوز  
الحكم على أي اتفاق إلا بمعايير سياسية ، وتصبح السياسة صفقات  
ممتعة كالقمار ، ولتذهب مصلحة الناس إلى الجحيم .. وهكذا تتفكك  
المعايير الإنسانية الكبرى التي من شأنها أن تضبط حركة الناس ،  
وتتفكك المعايير الأخلاقية التي تهيمن على كل البشر .. وتنتهي فكرة  
الإنسانية والأخلاقية إلى الأبد ، ويصبح من أشد الظلم وأشد القهر وأشد  
التضييق على حريات الناس أن يصدر قانون لمنع الاتجار في المخدرات  
أو تعاطيها ، أو منع الخمر وتجارتها .

هل هذا هو المجتمع المنشود لطائفة الأدباء ومثقفي وفناني عصرنا  
الحالي ؟؟؟

أتمنى أن تقرأوا مقالته، ففيها كثير من الآراء الوجيهة، والتعليقات  
الطريفة، مع تحفظي على بعض كلماته وبعض غير موضوعيته في انتقاء  
ألفاظ لا تدخل ضمن ألفاظ نقاش موضوعي محايد..

أعد هذه الرواية رواية هابطة بمعايير الأدب الراقي البعيد عن العري  
والإسفاف، تلك التي ترتقي بالفكر والعقل والنفس والوجدان والذوق  
والعاطفة..

الأدب الغربي نفسه برغم بُعده عن ضوابط الدين والمنطق يعتبر أن  
الإباحية، أو الانحلالية في الكتابة نوع هابط من الكتابة يُراد بها  
المكسب التجاري بغض النظر عن العائد الأدبي والقيم الأخلاقية

المحتوية عليها، تلك التي ترقى بالمجتمع وتتجه به إلى الصلاح  
تجريبياً..

بالمقابل نجد التشجيع على الاهتمام بعمارة يعقوبيان ومنحها الجوائز،  
لا أجد لها مبرراً حاسماً سوى أنها نشر لثقافة الجنس المقروء، وإشاعة  
للفاحشة في مجتمعنا لتسهيلنا لقمة سائغة ضعيفة في فم أعدائنا وأعداء  
العرب والإسلام وهم كثر، أربو بالمؤلف ألا يكون واقعاً في تلك الورطة،  
وأن يكون غافلاً فحسب عما وراء هذا الأسلوب الروائي الفج وبخس  
القيمة لحد الحضيض..

## \* البديع في أسلوب المؤلف

يتميز بعدة مميزات تحسب له بالإضافة إلى موهبته العالية في الكتابة:  
أولاً: حرفية الكتابة.. عالية، فهو يعرف كيف يحرك شخصياته بمهارة،  
ويعرف كيف يصوغها في صالحه

ثانياً: حبكة الأحداث.. برغم أنك تشعر أن في الرواية عدة قصص منفردة، إنما في النهاية تجد وحدة المكان والأفعال وهي الانحراف الجنسي بشكل عام، وكأن المشكلة في الرواية هي الصراع بين العفة والانحلال، وإن كانت العفة لم يمثل لها إلا بشخصية واحدة، بينما الانحلال والفساد الجنسي تمثله عدة أشخاص غالبية على الجو العام للرواية..

ثالثاً: العبقرية في التلميح لأرائه الشخصية السياسية بدون صنع أزمة مع الحكومة، ولعل وفرة المشاهد الجنسية هي تضليل وتمويه لتلك الآراء الحرة الجريئة، إنما في رأيي أن الغاية لا تبرر الوسيلة..

رابعاً: اللغة، فهي سهلة وقريبة من البسطاء..

خامساً: التنقل بين المشاهد، وترتيبها ترتيباً جيداً ممتازاً.. ولقد راودتني فكرة عجيبة، ربما قد انتهجها المؤلف في روايته.. أنه كتب كل شخصية على حدة في مسار واحد من بدايتها حتى نهايتها.. وبعد أن جمع كل مسارات الشخصيات المختارة، قطعها إلى مشاهد متباعدة بحيث تكون رواية متعددة الأفراد، متوافقة زمنياً مع كل مسار الشخصيات الأخرى.. وفي رأيي أن هذا قمة الاحتراف في صناعة العمل الروائي..

سادساً: دقة الصور الشخصية المُجسدة بمهارة، والتعبيرات النفسية والسلوكية التحليلية.. فلقد استطاع أن يرسم كل الشخصيات ببراعة حتى يجعل القارئ ليتعاطف معها، أو يتأثر بها، أو يرى أعماقها من الداخل، حتى لو كانت تتناقض مع نفسيته وفطرته وقناعاته..

سابعاً: الجرأة في عرض الشخصيات السياسية، والتلميح إليها، ووصفها، واستهجانها، وكشف حقيقتها المستترة على الشعب، حيث صورها من تحت الجلد والدم والأعصاب... ورصد نخاعها وباح.. وبدون شك هذه الجرأة تُحسب له بشكل عارم، فلم أرى حقيقةً رواية أو قصة عبرت بجرأة عما يدور من خلف كواليس الحكومة كما عبر عنها الأسواني..

سؤال في نهاية دراستي للرواية.. حتى لو كانت للرواية أبعاد سياسية واجتماعية وثقافية ومهنية وفنية، فكيف سيصل المؤلف بتلك الأبعاد من خلال الرواية إلى السواد الأعظم من الشعب المصري المدقع في الفقر والجهل والسطحية الذين هم جمهوره في الأساس، وإلا فكيف تُفسر الكميات الرهيبة من النسخ التي طُبعت وبيعت، لا أعتقد أنهم فقط النقاد والمثقفين، فهم ليسوا بالآلاف المؤلفة؟..

فأسلوبه ربما يصل للنقاد وأولي الثقافة والقوة.. لكن الفئة المنوطة بها الرواية لا أظن أنهم مؤهلين فكرياً وفنياً لفهم هذا النوع من الكتابة الرمزية، وإن كانوا مؤهلين أكثر لما فيها من مشاهد جنسية مثيرة، فأنا لا أختلف في أن هناك نوع من الخلل في المجتمع والهوس بالجنس، لكنه في رأيي لا يصل لتلك الشخصيات الماجنة في الرواية، والانحلالية الفاسقة التي تُسيطر على الأبطال فيها..

أحب أن أنه أخيراً بالنسبة لعمارة يعقوبيان.. أن هذه الدراسة النقدية المتواضعة جداً ما هي إلا نظرات وتأملات وآراء شخصية خاصة بي عن الأدب والثقافة عامة.. أرجو من الجميع مهما كانوا تقبلها بصدر رحب، من منطلق حرية الرأي والتعبير.. فكما عبر مؤلف الرواية عن أفكاره ووجهات نظره في الرواية بأسلوب معين، ونشرها على الجميع، يحق أن تخرج ثلة وتُعبّر عن رأيها سلباً أو إيجاباً بحرية، وتنشرها على الجميع.. ألسنا في بلد ديموقراطي؟..

كما أريد أن أطلب طلباً من كل من قرأ دراستي.. إذا وجدت ما يستحق الرد على أي من أرائي فافعل أرجوك..

وإذا وجدت ما يستحق أن تصوبني فيه، فلا تتردد لحظة واحدة...  
وإذا وجدت أن هناك فكرة أو رأي ليس كاملاً.. فبالله عليك لا تتكاسل ولا تكون سلبياً، أكملهما ولك الأجر مرتين.. مرة عندما استرعاك فقرة أو فكرة ليست كاملة..  
ومرة عندما أكملتها وأضفت عليها...

تم بحمد الله

\*\*\*

على طاولة النقد  
دراسة نقدية للروايتي  
عمارة يعقوبيان - شيكاغو

عُمر أحمد سليمان

## **\*\* رابعاً: دراسة نقدية لرواية: شيكاغو، تأليف: علاء الأسواني**

## أولاً: تقديم لرواية شيكاغو، كما يتكلم عنها مؤلفها:

فكرت فيها في اليوم الأول الذي نزلت فيه للولايات المتحدة الأمريكية لدراسة الطب في جامعة إلينوي عندما رأيت لأول مرة أفتح فيها النافذة أمريكيين يبحثون في الزبالة عن شيء يأكلونه فانزعجت وبحاستي الأدبية أحسست أن هذه تجربة مهمة قد لا تتكرر ويمكن استغلالها فيما بعد في مشروع أدبي فأجبرت نفسي علي الانفتاح فيها وتجولت في كل شوارعها وأحيائها حتى أكاد أعرفها مثل القاهرة تماماً.. واختلطت بالمهاجرين المصريين وذهبت لجمعيات العدميين حتى تكونت لدي مادة أدبية جيدة خلال الثلاث سنوات الأولى اللاتي قضيتها هناك.. في أواخر الثمانينات صحيح أنني ذهبت كثيراً فيما بعد لكن تجربة السنوات الثلاث الأولى.. أهم فترة.

# ثانياً نقد الرواية:

## \* النقد الفني للرواية

- أعتقد أن عنوان الرواية " شيكاغو " تلميح لعدة أشياء:

1- مكان نشأة الرئيس الأمريكي "جورج بوش" الابن.. وهو الذي أطلق شعار "الحرب على الإرهاب"، ودخل عهده مذبلة التاريخ لأنه قام بتغييرات سيئة جداً، أثرت على أمريكا، والعالم كله، وتحدث المؤلف عن أثرها من خلال رواية شيكاغو..

2- وربما أيضاً لأن شيكاغو المكان الذي درس فيه المؤلف الطب، في جامعتها في إلينوي، وقد فرض عليه ذلك الإمام بأحداث شخصية كثيرة هناك في إطار الجامعة التي درس فيها الطب، وأيضاً فرض عليه الالتقاء بشخصيات كثيرة مثيرة للجدل..

3- وربما لأن شيكاغو كانت مسرحاً في القديم لعدة قضايا مهمة، وامتد أثرها إلى الآن، في العصر الحالي الذي دارت فيه أحداث الرواية.. فكأن العصر الحديث الذي تحدث عنه المؤلف امتداد للعصر القديم الذي قامت فيه أحداث مُشابهة، وأثيرت فيه نفس القضايا من القديم..

4- وربما جميع ما سبق.

- اللغة الأدبية ارتفعت قليلاً.

- مازال التعلق سارياً في الرواية الثانية بالجو الغربي وطبائعه، برغم كونه مصرياً وشرقياً ويطرق مشاكل مشرقية..

- وما زال التعلق بالكتابة في الجنس بالتفاصيل الخادشة للحياء، بشكل مُبالغ فيه وغير ضروري، ولعل هذا يُثبت وجهة نظري من أنه كاتب قصص جنسية في المقام الأول..

ولقد أعجبني تعليق أحد القراء له، الذي علق على الرواية في مدونته بالنسبة للمشاهد الجنسية، يقول:

( لو تحولت الرواية لفيلم سينمائي، لكان الفيلم المفضل "لطارق حسيب" )

وتلك الشخصية المُتناقضة المتفوقة دراسياً التي تُرفه عن نفسها بمشاهدة فيلم جنسي مُلتهب قبل النوم قرير العين يلهج بخشوع بأذكار النوم !!!..

- ومقولة أن الأدب لا يُحكم بمعايير أخلاقية إنما قائلوها يجعلون من الأدب وسيلة ذات حدين لرفعة المجتمع أو لفساده وهبوطه.. برغم أنه بإمكاننا أن نُرقي من وظيفة الأدب لنجعله انتقاضاً واعتراضاً واحتجاجاً على أذواق وسلوكيات مُنافية للأدب الرقي والصعود الوجداني والسلوكي، بشكل إيجابي، وليس بأسلوب سلبي، يُكون ثقافة مُشوّهة مُغالطة.. تشبه تقديم صورة جنسية فاضحة لثلاثة، أحدهم مُثقف وواع وقوي، والثاني جاهل ومادي وضعيف..، والثالث مُثقف وواع ملتزم مُعرض للفتن ويحترز من الشبهات.. الأول قد يفهمها أنها مفيدة لتعليم الجنس، والثاني سيقع في إثارتها وفتنتها.. والثالث لن يُشاهدها، وإن شاهدها فسيحتقرها مُتوجساً من فتنتها.. فليس كل الناس على وتيرة واحدة.. المؤلف ليس بإمكانه الوثوق بأن كل شخص سيتفهمها كما يفهمها أو يراها هو.. مع أن بإمكانه صنع أدب يحترز من الشبهات، ويجعل الأمثلة الثلاثة يجتمعون على مدحها والاستفادة منها..

وفي رأيي أن تلك المقولة تُضيق واسعاً من الأخلاق والإنسانية، وتحصرها في أدوات مادية فيها مضرّة عظيمة ثقافياً وفكرياً وعقائدياً وتشريعياً وروحياً واجتماعياً وبدنياً وأخلاقياً...

وتجعل من الأدب مادة إعلامية مُعرضة للفساد وللإفساد، مما يجعلها موضع عدم ثقة وامتعاض من شريحة كبيرة من فئات المجتمع الملتزمة، أو التي تُنازعها النزعة الأخلاقية فطرياً وعُرفياً وتربوياً وثقافياً ودينياً..

إنما الأدب انتقاض لمسائل تخص سلوك الإنسان وذوقه ووجدانه.. وبالتالي فإن انتقاضه بشكل يعتمد على فطرة الإنسان الأصيلة أمر غير مُجدي، لأن الأدب يصل للإنسان من خلال عقله ووجدانه، وليس من الصائب اعتبار الهبوط الوجداني أمراً أدبياً رفيع المستوى.. إنما يعلو الوجدان بجودة المادة وارتقائها.. وليس بجودتها وتدنيها.. أعني بجودة الصورة الرديئة !!..

ثم إنني لا أتكلم عن تناول موضوع الجنس بقدر ما أتكلم عن المبالغة في الوصف والتفصيل لمسير الكف على تضاريس جسم الأنثى، أو شرح فيلم إباحي مُنحل بالكلمات.. ماذا سيفيد هذا أو ماذا سيُضيف.. إنني أراه انتقاصاً لقدر العمل، واستغلالاً لغرائز القراء أياً كان..

ثم لماذا نعتبر أن الكلام في الإباحية أو في الجنس لا مناص عليه.. لماذا نشغل أنفسنا بقضية لا طائل من ورائها، سوى للتسلية والجرأة والإثارة.. أين العفة والمتخصصين الذين نلجئ إليهم في سريرة من الناس حتى لا يُفتضح أمرنا، أو لكي لا ينظر لنا أحد نظرة مادية غريزية..

إنني أعترض على تناول الإباحية أو الجنس من قبل العامة، وكأنه ثقافة سائدة، أو حاجة لا بد من تعلمها، وتوفر مادتها لكل الناس..

وأرجح أن يكون هناك متخصصين لمعالجة تلك الأمور بدل تداولها على كل ذي سن، وعرضها كل وسيلة إعلام وتعلم..

لما هذا العصر يعتبر أن الحاجة لتعلم الجنس هو أمرٌ مُلح.. أبعد آلاف السنين أو ملايينها اكتشف ملايين الناس أنهم لا يعرفون كيفية ممارسة الجنس مع زوجاتهم، أو أنهم يفتقدون الثقافة الجنسية السليمة ؟!!!..

إنني أعتقد أن الإنسان خُلِق ضعيفاً، هكذا صرح الله لنا بحقيقة خلقنا.. وشرع قوانين تُحافظ علينا من نقاط ضعفنا، ومنها قانون "رحم الله قوماً أَمَاتُوا الباطل في نفوسهم بهجره".. لأن أي تردد لباطل يُشيع ثقافة معينة في نفوس الناس، واسأل أي طبيب نفسي يخبرك بتلك الحقيقة أن أي تردد لَعْقَدَةٍ ما قد تؤثر سلباً على الإنسان..

وأستعير هنا تعليقاً للمهندس محمد إلهامي، يُبرز رأبي لحدٍ ما في هذه  
الجزئية الشاسعة في الرواية:

اقتباس:

على حد علمي المتواضع جداً في النقد الأدبي، يمكن تصنيف روايتي الأسواني ( عمارة يعقوبيان، شيكاغو ) على أنهما من أدب المكان الذي يعد رائده نجيب محفوظ، لكن هاتين الروايتين يمكن فعلاً أن يكونا من أدب مكان آخر، وهو الفراش.. فالفراش والجنس واللذة هم المبتدأ وهم العقدة وهم الحل في الروايتين.

- وفيها يبدو الراوي مُتمكناً من أدواته جداً.. وأعتقد أن له أسلوباً فريداً  
قي عرض شخصياته، جعلني أحاول استيعابها خلال قراءتي للرواية..  
وهي أنه يكتب كل شخصية على حدة من بدايتها وحتى نهايتها، وعندما  
يجمع كل حكايات الشخصيات، يُقطعها ويقصها كلها، ويرتبها فنياً لتصنع  
تشويقاً معيناً، وأيضاً يكون الترتيب مناسب لكل التوقيت الزمني لجميع  
الشخصيات، وحسب الأحداث... وهذا في رأبي إبداع من المؤلف، وعبقريّة  
تُحسب له..

لذلك قد يندهش القارئ من هذا العمل المُبدع.. لكن في رأبي أن  
العبقرية لا تُشكل عبئاً على صاحبها، فالموضوع بالنسبة له سهل، كما أنه  
أيضاً سهل على المؤلفين الموهوبين.. فالسهولة تكمن في كتابة  
الشخصيات على حدة.. الجزء الأصعب يبدأ في الترتيب والتشبيك والتوفيق  
الزمني ليناسب مسار جميع الشخصيات في الرواية على طولها..

ومن جمال هذا الأسلوب أنه يُشعر بتعدد الروايات في رواية واحدة،  
كما أنه يُضفي الاحتراف والحبكة اللتين تُظهران مدى عبقرية العمل..  
وهذا العمل أثبت لي أن هناك مصريين استطاعوا أن يتوصلوا للأسلوب  
الذي نجح به الأمريكيان في أعمالهم الروائية والسينمائية، وجعلهم  
يتسيدون في هذا على العالم.. وأذكر في هذه المناسبة ملك هذا الأسلوب  
المصري المحترف الخارق د.نبيل فاروق، فهو من أوائل الذين احترفوا  
هذا الأسلوب إن لم يكن أولهم إطلاقاً..

وأعجبني في الرواية تقديمه للشخصيات الأمريكية كجزء غير مباشر  
لفئات الشعب الأمريكي.. ويبدو المشهد الذي دلل على ذلك هو مشهد  
الاجتماع الذي جمعهم بالإضافة للأستاذين المصريين الذين كانوا معهم،  
عندما كانوا يتحاورون حول قبول أحد الطلاب المصريين (ناجي عبد

الصمد)، وأسجل أيضاً إعجابي بهذا المسار المنطقي الرائع.. فهو قد قدم للشخصية المحورية في الرواية بأسلوب مسرحي بديع.. حيث اتخذت هذه الشخصية مساراً في الحكى مختلف عن بقية حكي الشخصيات بصيغة المجهول..

- بالنسبة لشيماء وطارق، وقد وردا في بداية الرواية.. أعتقد أن دورهما في الرواية هو دور تمويه، أكثر منه دور فعلي مؤثر.. وإن كنت لا أدعي ذلك بشكل مُطلق..

فكانت مشاهدتهما معاً أكثرها تصف عمليات الجنس التي قاما بها سوياً.. وطرح المؤلف من خلالهما قضية اجتماعية مصرية، وإن كانت بعض أفكاره غالطت أكثر مما أصلحت، وأوصلها المؤلف بشكل سلبي تماماً..

- بالنسبة لتفرد شخصية "ناجي عبد الصمد" عن باقي الشخصيات بالحكي عن نفسها، فهذا يُعطي إحياءاً ليس عابراً عن أن لها علاقة وطيدة بالمؤلف نفسه، حيث أنه درس في نفس الجامعة في نفس الولاية، وأحسب أنها مذكراته بالفعل، وعندي ظن أنها أولى الشخصيات التي كتبها المؤلف، وعندما انتوى كتابة الرواية ربما صعب عليه أن يُغير ضميرها بضمير الراوي العليم (الغائب)، وليس بضمير المُتَكَلِّم.. فوضعها على حالها، وربما قصد التلميح لشخصية المؤلف نفسه ليضعها في إطار فني بين جميع الشخصيات.. وربما تكون لائقة بتسميتها مذكرات ناجي عبد الصمد، فتلك عادة السياسيين عندما يبوحون بأسرارهم مع النظام ومسيرتهم المُعارضة ضده..

أيضاً وبشكل رئيسي.. أعتقد أن تلك الشخصية محورية بشكل أساسي.. حيث أملت بجميع شخصيات الرواية، أو مرت عليها طوال مكوئها في شيكاغو، وشكلت رواية متفرعة القصص يجمعها هو وحده في خيط واحد سميك.. فشخصية ناجي هي واجهة الرواية، وجميع الشخصيات الأخرى تدور في فلكها ومدارها.. وقد جمح المؤلف بخياله لرسم تفاصيل تلك الشخصيات التي تدور حول ناجي، أو التي التقت به، وعبرت عن مواقف إيجابية وسلبية في مسار مذكراته عبر الرواية..

- في رأيي فنياً بالنسبة للرواية، نفس الرأي الذي كونه في عمارة يعقوبيان، أنه لولا المشاهد الجنسية الغالبة على أحداث الرواية وتفصيلها المُملة، لكانت روايته عملاً عبقرياً بكل المقاييس..

- كذلك فتعتمد إثارة المتلقي بإجباره على التأمل أو إثارة انتباهه بشكل مُتعتمد يُعد نقدياً فناً تعسفياً على الفن الإبداعي..

يقول الناقد الكبير محمود يوسف الزيات في كتابه "عمل الناقد":

((المعلوم والمعتاد (بحكم الواقع) أن العمل الفني عادة ما يقدم للناس في إطار اجتماعي محدد، وتقاليد استقبال سائدة، يتضمن هذا الإطار إشارات وتعريفات بالعمل باعتباره عمل فني بصورة مسبقة، وتضع تلك التقاليد الجمهور في حالة تهيئة غير بريئة للتعامل مع العمل الفني بطريقة خاصة لا تتسم بالتلقائية.. هذه الأطر الاجتماعية لتقديم وعرض الفن تضع المتلقي في حالة تأمل افتراضية إجبارية، سواء تضمن العمل الفني ما يستدعي لفت الانتباه والتركيز (ومن ثم التخيل والتأمل) أو خلا من كل هذا، وفي حالة خلوه من عناصر التخيل ولفت الانتباه إلى نفسه باعتباره موضوعاً للتأمل، فإنني أعتبر هذه الاستجابة هي استجابة مزيفة، وإلا فكل شيء يمكن أن يكون عملاً فنياً.. ، وأعتبر العمل المقدم في مثل هذه الحالة ليس عملاً فنياً، وإنما هو عمل ما يقدم باعتباره عملاً فنياً من باب التزوير والافتراء، والمتلقي المسكين أو المتواطئ هو الذي يقطع الشوط كله، وهو الذي يضيف على العمل المقدم دلالات تعسفية، يمكن كشف زيفها بالتحليل الموضوعي الدقيق. أما العمل الذي لا يعتمد على مثل هذه الاستجابة التأملية الإجبارية السابقة التجهيز، فهو العمل الفني الأصيل الذي تتوفر ضمن سماته الذاتية معطيات تدعو إلى لفت الانتباه واستدعاء التخيل والتأمل واستدراج المتلقي إلى مناخ خاص، وتوريطه في اللعبة، حيث ينسحب بعض الشيء بعيداً عن سياق وعيه المعتاد، فإن مثل هذا العمل يستحق التعامل معه باعتباره عملاً فنياً..

.. ، والحكم الموضوعي (إن صح التعبير) بشأن هذا التقييم لا ينفصل بحال من الأحوال عن الأعراف الاجتماعية والفنية والإدراكية لجماعة المتلقين، بل هو حكم موضوعي لكونه حكماً اجتماعياً، بمعنى أن عملاً ما قد يحقق شروطاً فنية في محيط جماعة/جماعات ما، ولا يكون كذلك بالنسبة لآخرين.))

ما يعني أن التأمل الفني هو الاعتماد على حاسة الجمال أو الخيال.. أما التأمل الإجباري فهو يعتمد على الإثارة من منطلق غريزي، غير تقليدي في العمل الفني، وطرق ترويجه، وإعداده للاستقبال بشكل غير سائد... فالمُبدع بهذا النسق يتعمد الجذب بطرق مُلتوية، وغير فنية سائدة، وغير مُراعية للحدود الاجتماعية..

**- أيضاً تفتقر الرواية للترميز.. وهو أداة مهمة، لم يضعها المؤلف في اعتباره، وربما اعتبرها أداة سلبية قد لا تكون في صالح المتلقي.. وأعتقد أن عدم استغلالها في مواطن معينة خاصة بالجنس، قد أثر على المتلقي بشكل سلبي.. يقول صاحب كتاب "عمل الناقد" فيما يختص بالفن والترميز:**

**(( الترميز قوة (بمعنى مجازي)، أي استشعار للقوة، حيث أن قدرتنا على تصنيف الكائن (أو الحالة الشعورية أو المفهوم أو..) ووضعه في خانة تتضمن تجريداً ما سبق تعيينه في الوعي، أو حتى فتح خانة جديدة له ! الأمر الذي يعني على الأقل التعريف السلبي (أي أنه ليس س ولا ص ولا ع..)، هذه القدرة تعني أن هذا الكائن لا يخرج عن حدود سيطرتنا واستحواذ وعينا على العالم، فهو ضمن ما هو واقع في قبضتنا من العالم، إذن ليس ثمة ما يزعجنا بشأنه أو يشعرننا بالهزيمة والتوتر، بحيث نجد أنفسنا مضطرين لإعادة ترتيب وعينا.**

والترميز من زاوية أخرى يعني اعترافاً ضمناً بإنسانية الآخر، أي بكون الآخر ذات وليس موضوع، أي يشبهنا في إمكانية إدراكه لعملية الترميز ذاتها (استقبلاً واستجابةً أو إبداعاً)، الأمر الذي يعني أن مزاوله لعبة الترميز بحد ذاتها تحمل مفهوماً إنسانياً عميق المغزى.

والرموز التي هي أحد ثلاثة أنواع شهيرة من العلامات (بتميز تشارلز بيرس)، تعد نوعاً مركباً من العلامات (إذا ما قورن بالعلامة الأيقونية مثلاً)، أما الفن فهو نوع أكثر تركيباً من العلامات الرمزية، إلى حد أن يتضمنها أحياناً كمستوى من مستويات أدائه، والعمل الفني من هذه الزاوية يحتاج في فهمه والانخراط في التعايش معه إلى مستويات عدة من التحليل، هذه المستويات المترابكة من التحليل توفرها مستويات عدة من المعرفة المشتركة، أعمقها ذلك المشترك الفيزيائي والبيولوجي بين البشر جميعاً، ثم النماذج الاجتماعية العميقة (راجع البند الخاص بعمق نموذج الإحالة)، كما تشارك تقاليد النوع في توفير مستوى أقرب إلى السطح في تحليل العمل الفني (دعني أقول تقاليد الأنواع الأقرب للعمل المقدم، وراجع بند الفن والتقاليد)، كما يوفر العمل الفني المفرد بنفسه بعض المظاهر التخطيطية (بتعريف رومان إنجاردن) والتي يمكن للناقد الكشف عنها وتمييزها، ويمكن للقارئ العادي التماهي معها لا شعورياً، هذه المظاهر التخطيطية تمثل تقريباً أقرب مستويات المعرفة (اللازمة للتحليل) إلى السطح.

بهذا التمييز يعد النشاط الفني (إرسالاً واستقبالاً) أكثر الأنشطة الإنسانية كشفاً (وتحقيقاً) لحميمية العلاقة بين الإنسان والإنسان، إذ يثير هذا النشاط ويحرك ويكشف عن مدى عمق المشتركات الإنسانية وتعدد طبقاتها الدفينة. ((

**وأنا أعتقد أن منهج التفصيل للمؤلف في المواطن والمشاهد الجنسية ليس اعترافاً عميقاً لإنسانية الإنسان، بل استغلالاً شديداً لغريزية الإنسان،**

وتوريطها في العمل بشكل إجباري، وليس فنيًا.. فإذا كانت المشاهد الجنسية موجودة ضمن حدود قدرتنا كبشر، ولا يخرج عن حدود سيطرتنا واستحواذ وعينا فلماذا نضطر لتفصيله وبإمكاننا الترميز له؟!..

- لماذا أتعامل مع المشاهد الجنسية بهذا الحزم؟..

لأنني أعجز بصراحة على الحصول على ملامح أو دلالة عامة لذلك المناخ الذي يُبرزه المؤلف في الرواية من مشاهدته الجنسية، كما لا يُمكنني تأويلها بأي حال من الأحوال..

يقول الناقد محمود يوسف الزيات في كتابه الأنف الذكر:

(( وحينما نعجز عن الحصول على ملامح عامة لذلك المناخ أو تلك الدلالة الكلية (في أحد مستوياتها أو تأويلاتها على الأقل) فنحن في الحقيقة أمام أحد أمرين: إما أننا بالفعل دون مستوى التعامل مع هذا النص، لأسباب ذهنية طبيعية، أو أسباب ثقافية معرفية يدخل ضمنها عدم ألفتنا بالتقاليد الأساسية لتركيب النص، أي أننا لسنا من جمهور هذا النص.

وإما أننا أمام نص مزعوم لا يعني شيئاً، أو لا يرقى لمستوى تحقيق الأثر الاجتماعي، ويجب على النقاد والمتلقين المثقفين (الذين تنمأه ثقافة نوعياً مع الأفق المعرفي للنص وتتجاوز كمياً ثقافة النص) أن يتعاملوا بحزم مع مثل هذه النصوص. ((

وبناءً على هذا الكلام.. فإما أنني دون مستوى التعامل مع نص الرواية.. وهذا يؤدي بالتالي إلى أن الجمهور لن يكون في مستواه أيضاً.. لأسباب ذهنية ثقافية ومعرفية يدخل ضمنها عدم ألفتنا بالتقاليد الأساسية لتركيب النص.. وما أفقر الجمهور في ذلك..

وإما أن النص الذي أعنيه بالتحديد، المُتمثل في المشاهد الجنسية لا تعني شيئاً، ولا ترقى لمستوى تحقيق أثر اجتماعي إيجابي.. وفي هذه الحالة فإن الحزم الذي أمارسه هنا هو الرد الفعلي النقدي الذي يستحقه النص المحدد الذي أعنيه..

## \* النقد الفكري الخاص ببعض القضايا المهمة في الرواية:

أعجبنى مناقشته لعدة قضايا.. منها قضية العنصرية الموجودة في أمريكا.. مثل التمييز العنصري للون، وللإسلام خاصة، فلم أجد تعصباً عنصرياً مثلاً ضد اليهودية في دولة نصرانية.. كما تعرض للتمييز العنصري ضد العرب عامة..

أيضاً تعرض لقضية سلطة الحكم الممتدة لدى بلاد غريبة لتتسلط على شعبها المهاجر في الخارج لمراقبتهم وضمان عدم التشهير بنظام الحكم وزعزعة ملكه، حتى لو كان ذلك في بلاد الحرية كما هو مشهور.. وقد تمثل ذلك في شخصية "صفوت شاكر"، وإتباعه لنفس أسلوب "رعب الدولة" في الداخل..

وتعرض لقضية الفتنة الدينية، وأعجبنى تناسق الشخصيتين المختلفين في الدين ( ناجي ) المسلم و ( كرم ) النصراني.. اختلافهما في البدء من الناحية السياسية الدينية، ثم اتساقهم وانسجامهم بعد ذلك من ناحية إنسانية ووطنية..

تعرض أيضاً لقضية هامة في رأيي.. وهي: النزعة الإنسانية لدى كل الشعوب، ومثله بشكل قوي في دولة كأمريكا، سلطة من ناحية، وشعب من ناحية أخرى، وهذا ما أقصده بالتحديد.. حيث أظهر أن الشعب الأمريكي ما هو إلا أناس ضحية للإعلام التي تمسك بزمامه الحكومة.. وأن لهم عواطف ومشاكل تقع في نطاق الإنسانية، وأن لديهم عقول مثقفة تستطيع أن تتفهم الحقيقة وتصل إليها.. وتمثل ذلك في جرهام، وكارول...

تعرض أيضاً للتفاعل الإنساني والحضاري والسياسي (المعارض) والفكري، والاجتماعي.. المتمثل بين العرب عامة والمصريين خاصة وبين أمريكا خاصة والغرب عامة...

كما تعرض لمساوئ الحضارتين سياسياً وحكومياً، وفكرياً ( المُغالط)،  
وتعصبياً، واجتماعياً...

كما تعرض لقضية الحرية بين الدولتين.. وكيف هي بدون انضباط في  
أمريكا، وكيف هي بتقييد واستبداد وتشديد في مصر..

تعرض أيضاً الراوي بشكل رئيسي للهجرة الجنسية والاغتراب في بلاد  
أخرى، والنأي عن الوطن لأسباب عديدة لعل أكبرها الهروب من الضغوط  
السياسية، والاحتياج للأمان، والنفور من سلبيات الناس وعاداتهم السيئة،  
والحاجة لتأكيد الذات والتخلص من الفقر والاضطهاد...

تعرض أيضاً لتداعيات حال العرب بعد أحداث سبتمبر.. وتعامل فئات  
من الشعب الأمريكي بتعصبية وعداوة مع كل ما هو عربي وإسلامي..

وتعرض بشكل كبير لقضية الاستبداد في مصر، والفساد فيها من قبل  
الحكومة، واستطاع ببراعة منقطة النظر في رأيي أن يُعبر بجرأة عن  
مساوئ الحكومة وفسادها في مصر..

كما استطاع أن يُدير مشاهدتها وتشابك شخصياتها بذكاء بالغ، وحبكة  
سليمة..

الغريب في الرواية أنه لم يأت بشخصية شاذة جنسياً، برغم أن الشذوذ  
الجنسي عُقر داره في أمريكا، وليس في مصر، وهي نسبة ضئيلة جداً في  
الأخيرة.. ونسبة كبيرة جداً في أمريكا، ومن مشاكل فسادها !!!..

فكيف أتى بالشخصية الشاذة في عمارة يعقوبيان، وأحداثها تدور داخل  
بلد مشرقى، في حين لم يتعرض لأي شذوذ في شيكاغو، والتي تدور  
أحداثها كلها في أمريكا التي تتصف بالحرية والانحلال بإطلاقهما..

## \* المرأة في الرواية

ربما تكون المرأة في رواية شيكاغو قليلة نسبياً.. لكن لم تختلف كثيراً عن عمارة يعقوبيان.. بل ربما كانت بعض الشخصيات في شيكاغو مُشابهة لبعض الشخصيات في يعقوبيان.. أحسست أن مروة تشبه زوجة عبد ربه، وشيماء تشبه بثينة، وإن كانت تشبه أيضاً زوجة الحاج عزام سعاد جابر في نهايتها، كما أن صفوت شاكر يشبه كمال الفولي، وأحمد دنانة يشبه الحاج عزام، وناجي عبد الصمد يشبه ذكي الدسوقي، وفيه أيضاً من طه الشاذلي، وقليل من حاتم رشيد.. وكرم دوس يشبه الفراش أبسخرون لحدٍ ما... المهم أن كثير من الشخصيات تتفق في نفسياتها وسلوكها وأخلاقها مع بعضهم بعض..

وتكاد أيضاً تكون المرأة أداة لمتعة الرجل واستغلاله الوحيدة..

ورأيته في شيكاغو تسعى للمتعة بشكل رئيسي.. مثل كريس زوجة الدكتور محمد صلاح، التي اشترت آلة للمتعة الذاتية..

## \* أسوأ ما في الرواية

- المشاهد الجنسية الفجة والمثيرة للشهوة، وفي رأيي هذا أبعد ما يكون عن أدب راقٍ، أو أدب في الأساس..

حتى إننا نُطلق كلمة أدب في كلامنا الدارج وصفاً لدمائة الخلق، والترفع عن البذاءة والخسة وسوء المعاملة..

وأعتقد أننا عندما نُطلق كلمة أدب على ما يكتبه المؤلف واصفاً عملية جنسية بالتفصيل بين ذكر وأنثى على الملأ فيما تتم في حجرة مغلقة، فإنه من التحريف والخيانة أن نُطلق هذه الكلمة الرفيعة الراقية على تلك المشاهد المكتوبة الخادشة للحياء الجميل والبراءة الطاهرة في صميم الإنسان..

- أيضاً شُرب الخمر بلا مبالاة، وكأنه شيء اعتيادي غير اكترائي، برغم أنه من الكبائر في الإسلام، وثابتة حرميته بالإجماع من كل فقهاء الإسلام عبر الأزمان، وأكثر الشخصيات في الرواية في بعثتهم مصريين مدلول عليهم أنهم مسلمين، وأعتقد أن هذا ليس في حساب المؤلف بدليل أن الرواية الأولى عمارة يعقوبيان برغم وجودهم في بيئة مصرية وهم مسلمين، لكنهم أيضاً كانوا يشربون الخمر كأنه أمر عادي لا يتطلب عقاباً أو عتاباً..

- كذلك المُغالطات التاريخية والعقائدية والفِطرية والفكرية التي تكتظ بها الرواية..

كذلك خلو الرواية من الشخصيات المتوازنة والمتزنة، ولقد أوضحت ذلك في نقد رواية عمارة يعقوبيان.. إذا أردنا أن نُعبر عن الواقعية حقاً، فليس الواقع كله مأساوياً.. إنما هو قاسم مشترك بين الصالح والطالح، الخير والشر..

تلك الواقعية في الرواية لا تُعد مُنصفة لواقعية الحياة..

ومع ذلك.. فإن جرعة الواقعية في يعقوبيان كانت من العيار الثقيل، لا إنكار أنها في شيكاغو أخف بكثير، لكن الموازنة والاعتزان ظهروا في مشاهد وليس في شخصيات، فقد ظهر هذا مثلاً في المشهد بين محمد صلاح، وزينب رضوان قبل أن يُسافر واتهمته بأنه جبان، كذلك بين ناجي عبد الصمد وكرم دوس في المشهد الذي جمعهما سوياً عند جرهام، وأيضاً فيما بعد من اتصال وثيق للتغيير والاجتماع على العمل والعشق الوطني... (وليس الحزب الوطني)

- أيضاً ربط المؤلف الالتزام والإسلام بشخصية أحمد دنانة الانتهازية والوصولية، وراح يُغالط عن طريقه في المفاهيم الإسلامية، ويُحورها.. وبقي على ذلك بأسلوب واحد سلبي، ولم يُحاول أن يُصح تلك المفاهيم بأسلوب آخر..

- نفس الشيء في التشويه والمغالطة في علاقة طارق حسيب وشيماء محمدي... ولم يُصح أي من المفاهيم التي غالطها في خُلدهم وسلوكهم.. فجاء الأمر سلبياً تماماً..  
على الأقل بالنسبة لترجمة الرواية ونشرها في بلاد أجنبية كثيرة، وهذا وارد بشكل كبير...

فالرواية تُساهم بشكل قوي في تدعيم وجهة نظر الغرب المشوهة من فهم الإسلام على أنه انتهازية ووصولية وتبريرات جنسية فجة..

## \* الشخصيات التي أحببتها واحترمتها جداً، وأحببت طريقة الكاتب في سردها وإظهارها نوعاً ما:

1- كرم دوس: شخصية عصامية وطنية شديدة الحب لوطنها، وعقلية  
فذة وجادة تحب عملها.. وأعجبتني كلمة له رائعة جداً: (( كل نجاح خارج  
الوطن يظل ناقصاً ))..

2- محمد صلاح: لأنه كان صادق مع نفسه لأبعد حد، كما أن المشاهد  
الجنسية بالنسبة له كانت في إطار شرعي، ولم تكمل مشاهدته، وربما كان  
الأمر مستديماً للوصف ليثبت حالته النفسية المرضية..

3- مروة زوجة أحمد دنانة، وإن كان لي تحفظ على محاولتها لإغراء  
صفوت شاكر لاكتشاف ما وراءه.. وتحفظ آخر على اللحظات الحميمة مع  
زوجها، والتي تتخيل نفسها في أوضاع جنسية مع أشخاص أجانب عنها لا  
يتمون إليها بأي صلة..

4- دنيس بيكر: ذلك العالم الفذ، لذي يُقدم نفسه دائماً بتواضع وإحساس  
فنان بأنه مُصور خلايا.. أعجبنى انضباطه في الحياة، ودأبه في العمل،  
وإخلاصه للعلم، واهتمامه الإيجابي بالمصريين..

## \* نقد الرواية حسب ترتيبها

- أعجبني التناسب بين النبذة التاريخية عن شيكاغو، وعقدة أهلها من الحرائق، وبين الحريق الذي افتعلته شيماء في أول يوم عاشت فيه في البلد، وهو ما ترتب على أثره التقاء شيماء وطارق بعضهما البعض ..

### اقتباس:

- ( ثالثاً: أهم الأسباب.. أن شيماء جاوزت الثلاثين بغير زواج؛ لأن وضعها كمدرس مساعد في كلية الطب قلل كثيراً من فرصتها.. حيث يُفضل الرجل الشرقي عادةً أن تكون عروسه أقل تعليمًا منه! كما أنها تفتقر إلى مؤهلات الزواج السريع، فزيها الفضيضة يحجب جسدها تماماً، ووجهها ليس صارخ الجمال، وأقصى ما تتركه ملامحها العادية في نفس أي رجل هو الشعور بالألفة، وهذا لا يكفي بالطبع لتحفيزه للزواج ) صفحة 15

أول الأسباب في عدم زواجها ؟!!.. تفكير منحرف تماماً، وغير عرفي بين أوساط الشباب، وليس صحيحاً منطقياً ولا أخلاقياً ولا فطرياً، ويدعو للشك في نية المؤلف، وانتمائه الديني وإيمانه بشرائع الإسلام، كما أنه يثبت اتجاه موهبة الكتابة عند الكاتب نحو جسد المرأة، واهتمامه بعري المرأة أكثر من احتشامها..

ثم إن لم يكن الثوب الفضيضة الذي يحجب جسد المرأة الذي يدل على عفافها يجذب الشاب الذي يريد الزواج، فأى شيء يجذبه في المرأة، الثوب الضيق الذي يُبرز مفاتها، ويدع أنظار الرجال والشباب غيره تلتهم جسدها التهاماً؟.. أهذه شيم الرجال الشرقيين أو المصريين أو الذين يحملون الدين، وتلتهم في صدورهم الغيرة والمروعة والأنفة؟!!..

الفقرة فيها تلميح غير مريح للرجال المصريين، وتشكيك مُناقض في أخلاقهم وتنقيبهم السليم عن الزوجة المُحتشمة.. أي رجل أو شاب مهما

بلغت به صفاقته ومعاكساته ومواعداته الغرامية مع البنات، إلا أن نيته عندما تتوجه ناحية الزواج يتحرى فيها العفاف والاحتشام والصلاح الذي ينقض كل ما رآه فيمن قضى معهن فترة التسلية والعبت والسلب والاختلاس بدون حق..

#### اقتباس:

- ( أضف إلى ذلك أنها بالرغم من نبوغها العلمي، تعاني من جهل كامل بوسائل إغواء الرجال التي تتقنها معظم النساء ويمارسنها ببراعة: إما مباشرة بواسطة التزين والتعطر وارتداء الثياب العارية الضيقة التي تبرز المفاتن، أو بطريقة غير مباشرة بواسطة الحشمة المثيرة والخجل المغري والارتباك المحمل بالمعاني واللثمة الفاتنة اللذيذة، مع الاستعمال الدقيق لسلاح النظرات الساهمة المغلفة بالحزن والغموض.. كل هذه فنون حقيقية زودت الطبيعة بها المرأة من أجل استمرار الحياة، لكنها قضت لحكمة ما بحرمان شيماء محمدي منها.. ) صفحة 15

كان الحياة لن تسير لأن المرأة لا تتزود بها من أجل الحصول على زوج.. وأعتقد أن الكاتب - أحسن الظن به - يقصد بالطبيعة الشيطان الذي يسلح المرأة بتلك الطبيعة لغواية الرجال، وقد غاب عن ذهنه أن المرأة يجب أن تكون عفيفة، ولا تستعمل أدوات إغرائها إلا مع زوجها.. لكني أجد في هذا المقطع تعميماً مريباً، كأنه من نطاق الطبيعة ونواميسها أن تمارس المرأة هذه الفنون (الطبيعية) مع الرجال.. وأن المرأة كأنما هي حية تتلوى بجسدها المثير لكي تلدغ الرجال بسحرها وجاذبيتها.. وكأننا في حرب شعواء بين النساء والرجال.. تستخدم الأولى سلاحها الطبيعي الذي خلقت به وهو النظرات الساهمة المغلفة بالحزن والغموض لتخدع به الرجل، حتى يقع في شباكهها، وكأن الرجل لا يقع أمام المرأة إلا بهذه الوسائل.. وكأن لا مكان للأخلاق الحميدة، ولا للتدين والالتزام والاحتشام، ولا العفة والشرف والاحترام ليتقدم الرجل والشباب مبهورين مُعجبين مُتيمين بهن إليهن..

#### اقتباس:

- ( ولا يعني ذلك أبداً أنها تعاني نقصاً في الأنوثة، بالعكس، فإن أنوثتها طاغية

فياضه تكفي عدة نساء لممارسة حياة طبيعية، لكنها فقط لم تتعلم كيف تُعبّر عنها، رغباتها الأنثوية تلح عليها حتى تؤلمها وتجعلها متقلبة المزاج سريعة البكاء، ولا يخفف من توترها إلا أحلامها المحرمة مع كاظم الساهر ونوبات تلذذها المختلس بجسدها العاري (التي تندم بعدها كل مرة وتصلي ركعتين توبة نصوحة لله، لكنها لا تلبس أن تُعاود).. والحق أن الضغوط النفسية التي عانت منها بسبب تأخرها في الزواج، كانت سبباً مباشراً في سفرها... (صفحة 16)

- حيرني المؤلف هل لديها نقصاً في أنوثتها، يجعلها تفضل الدراسة أو هناك مُعاوضة بين نقص أنوثتها بذكائها الخارق وتفوقها البالغ، أم أنها شخصية مشوهة ومضطربة.. لكن ذلك في رأيي لا يصنع شخصاً ناجحاً، فضلاً عن تفوقه في شيءٍ ما..

حيرني كذلك في عدم كيفية تعبيرها عنها.. وفي ذات الوقت نوبات تلذذها المختلس بجسدها العاري... أليس كل ذلك تعبيراً غير إرادي، يُمكنها أن تتعلمه مباشرة من نفسها..

- ترى أيضاً كيف عرفت نوبات تلذذها المختلس بجسدها.. وهي متفوقة، وخارقة في الاهتمام بدراستها، ولا تعرف كيفية التعبير عن أنوثتها الطاغية، فلا بد من معلم.. صديقة أو زميلة سيئة الأخلاق تجيد كامرأة طبيعية فن الإغراء، هل تعلمتها وحدها؟!.. تناقض !!!.. الفقرة كلها تناقض !!

كان يُمكن أن يكون سبب سفرها هو نفس السبب الذي أوصلها للنجاح بمستوى معين في مصر.. وسفرها إلى أمريكا سيحقق لها طموحاً أعلى من خلال دراستها هناك بمستوى في التعليم أعلى منه في مصر..

شعرت أيضاً إذا فرضنا ضغوطها النفسية بسبب عدم الزواج أنها كانت تهرب إلى أمريكا؛ لأن الرجال في مصر ذوي نظرة سطحية مادية بالنسبة للمرأة.. كأنها ذهبت إلى أمريكا حيث يُقدر الرجل الأمريكي - أو المتثقف بالثقافة الأمريكية - المرأة، ويُجل شأنها، وقد يتزوجها بنية خالصة لله من أجل أن كل ما يهمه الزواج من امرأة متعلمة ومؤدبة ومُحتشمة !!!، وليس لديه أدنى اهتمام بجسمها ولا شكلها، ولا يعنيه فيها كيفية تعبيرها عن أنوثتها أمامه !!!..

اقتباس:

- ( طرأت لها فكرة أخرى، فتوضأت وفتحت المصحف وقرأت سورة يس، ثم أدت صلاة الاستخارة وأعقبتها بالدعاء، وما إن وضعت رأسها على الوسادة حتى راحت فوراً في نوم عميق. رأت في المنام أباه الأستاذ محمدي، كان يرتدي بذلته الزرقاء المصنوعة من الصوف الإنجليزي الفاخر ماركة هيلد، والتي كان يدخرها للمناسبات المهمة (مثل زيارة معالي الوزير وحفلات التخرج في المدرسة).. وقف أبوها في الحديقة أمام الباب الرئيسي لقسم الهيستولوجي حيث تدرس، كان وجهه رائقاً بلا تجاعيد، ونظرته صافية متألئة، وشعره غزيراً أسود فاحماً بلا شعرة بيضاء واحدة مما جعله يبدو أصغر من سنه بعشرين عاماً.. أخذ يبتسم لشيء مما يهمس لها بصوته الحنون: "لا تخافي. سأظل معك.. لن أتركك أبداً.. تعالي".. ثم أمسك بيدها وجذبها بلطف حتى عبرت معه باب القسم. استيقظت شيماء في الصباح وقد هدأت نفسها وتخلصت تماماً من وساوسها، قالت لنفسها: " هذه رؤية صادقة من ربنا سبحانه وتعالى ليثبت قلبي في مهمتي الصعبة". (صفحة 18، 19

كلما تذكرت هذا المشهد تنتابني نوبة من الضحك اللا إرادي.. فكل ما حصل مع شيماء خلال الرواية يُنبأ عن أن هذا الحلم لم يكن رؤيا من الله كما ادعى ويتضح، بل يُهيئ لي أنه كان كابوساً من الشيطان، اضطر إلى تسريبه لها في منامها، حتى يُمكنه خداعها في موطن الآثام، ولكي ترتع في وحل السقطات والخطايا كما يحلوا لها بتزيين الشيطان الرجيم، ولقد نجح..

وإلا هل نتصور أن تكون الرؤية صادقة ويحدث ما حدث مع شيماء وطارق من غرام وكلام وممارسات جنسية محمومة تمت في المطبخ وعلى الفراش في حجرتها..

هل تكون الرؤية صادقة ويكون مع كل هذه السقطات المُخجلة حضور لوالدها الذي وعدها في الرؤية المزعومة أنه لن يتركها أبداً؟!..

وإن كان هذا يدل على شيء، فهو يدل على نقص حبكة، أو ثغرة موجودة ضمن الثغرات الأخرى في الرواية..

اقتباس:

- ( كانت تؤمن بأن الموتى يعيشون معنا لكننا لا نراهم.. ) (صفحة 19

خطأ اعتقادي برغم التزام شيماء، وفهمها لإشارات الله، فببساطة..  
الدنيا مرحلة في خلق الإنسان يعيش ويحيا فيها، والموت لا حياة فيه ولا  
عيش، مرحلة فاصلة في خلق الإنسان..  
والموتى لا حياة لهم، ولا روح فيهم..  
انتهت حياتهم الأولى، ولم تحن لهم بعد الحياة الثانية في الآخرة..  
أما بالنسبة للروح.. فإنما هي من أمر ربي.. يمسك بتلابيبها، في قدرته  
التحكم فيها.. لا يستدعيها أو يصرفها إلا هو..

#### اقتباس:

- ( أحست براحة عميقة لأنها استقرت على رأي، وقررت أن تحتفل بذلك. كانت  
لها طقوس تعودت أن تمارسها مع أختيها في المناسبات السعيدة: بدأت بصنع  
الخلطة الشهيرة من السكر والليمون على النار، ثم دخلت إلى الحمام، خلعت  
ملابسها تماماً وجلست عارية على حافة البانيو وبدأت تنتزع الشعر الزائد عن  
جسدها. كانت تستمتع بذلك الألم الخاطف اللذيذ المتكرر الذي يحدثه انتزاع الشعر  
من الجلد، وأعقت ذلك بحمام دافئ طويل اعتنت خلاله بدعك جسدها جزءاً جزءاً  
حتى شعرت بانتعاش وتحرق )صفحة 19

لا أعرف ما مناسبة هذا المشهد؟!.. إلى أي شيء يُدلل..  
ولا أظن أبداً أنه مهما كانت المرأة ساقطة أن تقبل أن يعلن وصف حالة  
خاصة لها في الحمام، وانتهاك خصوصية معينة تعتدي على حرمتها  
وخلوتها..، ناهيك عن تقبل فتاة مثل شيماء متدينة على حد زعم المؤلف،  
ولا تعرف شيئاً عن الأنوثة ولا حتى كيفية التعبير عنها أن يُعرض لها  
تقليد شديد السرية بهذا الشكل في رواية..  
صراحةً لا أجد مناسبة قط لهذا المشهد، سوى أمر واحد فقط.. أنها  
تستعد لمقابلة عاشق.. تستعد لمقابلة الرجال الأميركيين المتحررين.. أو..  
تستعد لمقابلة طارق حسيب!!.. ذاك الذي يعشق ممارسة الجنس..  
يبدو المشهد مناسباً للغاية لهذا الهدف، وهذا المسار القصصي في  
الرواية..

### اقتباس:

- ( وعندما سأل كاظم حبيبته "أين أتيت وكيف أتيت وكيف عصفت بوجداني؟!"، استبد بها الطرب وانجلت وخطر لها أن تؤدي حركة راقصة طالما انتزعت إعجاب صديقاتها في طنطا: نزلت فجأة على ركبتيها ورفعت ذراعيها، ثم أخذت تنهض ببطء وهي تهز وسطها وترج ثدييها.. ) (صفحة 20)

إذاً فهي تسمع الأغاني الرومانسية أيضاً، من مخضرم في مجال الغناء المتعلق بالحب والنساء..

وأيضاً كان لديها صديقات.. تجد فساتين من الوقت لقضاء الوقت معهن، بل إنهن يُشجعنها على ممارسة بعض الحركات الراقصة التي تُثير الإعجاب، تهز فيها جسدها بشكل يدل على إجادتها التعبير عن مواطن أنوثتها؟!..

إذاً فلما التعليق من البدء من أنها لا تُجيد التعبير عن أنوثتها، وأنها متدينة، ومُصلية، وخجولة، ومنعزلة، ومتفوقة وخارقة في الذكاء العلمي والدراسي.. مع أنني أجد كل هذا يتعارض لحد ما مع بعضه بعض..

### اقتباس:

- ( يعيش طارق حسيب مثل عقرب الساعة، وحيداً نحيفاً منضبطاً متوتراً.. ومنذفعاً إلى الأمام بإيقاع ثابت لا يتغير.. ) (صفحة 31)

لا أدري كيف يُمكن أن يكون المرء منضبطاً ومتوتراً ومنذفعاً إلى الأمام بإيقاع ثابت لا يتغير في ذات الوقت؟!..!!!

أعتقد أن الانضباط يتضاد مع التوتر.. وكذلك الاندفاع إلى الأمام بإيقاع ثابت لا يتغير يتنافى مع التوتر..

هذا شيء بديهي..

كيف يُمكن أن يتفق الانضباط والنجاح والتفوق مع شخصية متوترة؟!..!!!

أعتقد أن تلك الجملة مُتناقضة تماماً..

أعتقد كذلك أن شخصية طارق حسيب مُناقضة للذروة.. مثله مثل شيماء محمدي.. مثلها مثل ناجي عبد الصمد..

- شعرت في هذه الرواية، والسابقة "عمارة يعقوبيان" أن المصريين فقط هم من يسعون للذة الجنسية، حتى أن أول شخصيتين مصريتين فيها هما من كانا يمارسان العادة السرية، أو يسعيان للذة جنسية بشكل عام..

وبإمكاننا إضافة الشخصية السابعة المصرية "ناجي عبد الصمد" إليهم، حيث سعى في أول ساعات وصوله لأمريكا؛ لممارسة الجنس مع مومس تعمل في خدمة العُهر.. وعلى فصول الرواية نتبين أنه عريب وزير نساء يسعى ويدعو إلى الانفتاح السلبي، والترف المطلق الذي يستحقه كمواطن وكإنسان ذي جسد مادي فحسب..

لا أعرف لماذا تستهوي الكاتب دائماً الكتابة عن الشخصيات المريضة بالشهوة، والمفتونة بالجنس وجسد المرأة، وأعضاء الجسد الحساسة...!!؟

في التعريف بمُتع طارق حسيب الصغيرة تجد مُتعة الثانية التي يقوم بها كل ليلة، في النص التالي:

اقتباس:

- ( وبعد انقضاء بهجة المُصارعة تحين لحظة الفنتازيا: المتعة السرية اللذيذة التي يتحرق شوقاً إليها حتى يلهث ويحس بدقات قلبه تهزه هزاً عندما يُخرج القرص المضغوط من مخبئه في الدرج الأسفل للمكتب ثم يضعه في الكمبيوتر، وسُرعان ما يتبدى له عالم سحري بالغ الجمال: نساء فانتات رشيقات شقراوات لهن سيقان وأفخاذ ناعمة لذيدة، وأثناء من أحجام متنوعة غاية في الروعة ولهن جميعاً حَلَمَات مُهتاجة نافرة يُصيبه مرآها بالجنون.. ثم يظهر رجال عتاولة مفتولو العضلات ذوو أعضاء طويلة منتفشة منتصبه مصقولة وكأنها مطارق فولاذية جبارة مخروطة بعناية.. ولا يلبث النساء والرجال أن يتناكحوا بمنتهى الانسجام، فتعلو أصوات الغنج والشخير والتأوهات الخليعة، وتتركز الكاميرا على وجه المرأة وهي تصرخ من فرط اللذة وتعض شفتيها السفلية.. ولا يستطيع طارق أن يتحمل كل هذه الإثارة أكثر من دقائق معدودة، يندفع بعدها عُدواً إلى الحمام وكأنه يجتاز سباقاً أو يُطفئ حريقاً، يقف أمام الحوض ويُفرغ لذته، وشيئاً فشيئاً يهدأ ويستعيد توازنه، ثم يأخذ حماماً ساخناً ويتوضأ ويصلي العشاء والشفع والوتر، وأخيراً.. يشد على رأسه الجورب الحريري الذي أحضره معه من مصر، ليجد شعره في

الصباح ناعماً مسترسلاً، فيُغطي بقدر الإمكان - صلغته التي تتسع للأسف باطراد.. عندئذ، يكون يوم من حياة طارق حسيب قد انقضى.. فيُطفئ النور ويستلقي في الفراش على جانبه الأيمن، سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يهمس بصوتٍ خاشع: " اللهم أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى إلا إليك، آمنت بكتابك الذي أنزلت، ونبيك الذي أرسلت" .. وينام. ( صفحة 33، 34.

بعد هذا النص الطويل.. بدون تعليق قد يقع القارئ في حيرة من التناقض الرهيب في تلك الشخصية الغريبة طارق حسيب..  
ما الحاجة لكل هذا الوصف الفج في هذا المشهد؟!..

هل هي محاولة لتعريف القارئ بأفلام الجنس، أو إثارته وتشويقه لها.. أم هي محاولة لكتابة فيلم جنسي بطريقة أدبية تُنبئ عن مقدرة أدبية فذة يمتلكها الكاتب، حتى لو نسج نصاً يحكي عن حالة جنسية منحلة وقذرة، يعبر عنها بدقائقها وتفاصيلها..

والحيرة التي تنتابني عندما أجد شخصية تتشعب التناقضات الرهيبة فيها بهذا الشكل المنفر.. فيجعل الطالب المتفوق يُشاهد كل ليلة فيلماً جنسياً فاضحاً.. وهذا يتناقض بشدة مع العلم والتفوق.. فكثير من العلماء المسلمين بينوا ذلك في كتبهم..

فذكر أن من أثار الذنوب والمعاصي حرمان العلم، فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور.

- لما جلس الشافعي بين يدي مالك، وقرأ عليه أعجبه ما رأى من وفور فطنته، وتوقد ذكائه، وكمال فهمه، فقال: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً، فلا تطفئه بظلمة المعصية".

- وقال الشافعي - رحمه الله -:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي \*\*\* فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور \*\*\* ونور الله لا يهدى لعاصي

- قال الضحاك بن مزاحم - رحمه الله -: "ما من أحد تعلم القرآن ثم نسيه، إلا بذنب يحدثه؛ وذلك بأن الله - تعالى - يقول: (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير)، ونسيان القرآن من أعظم المصائب" 5

### - قال الهلالي:

واعلم بأن كَدَرَ الذنوب \*\*\* يكسِف نور العلم في القلوب  
أما ترى الدُّبَال في المصباح \*\*\* إذا صفا أرضاك في استصباح  
وإن يكُ بوسَخٍ ملطخا \*\*\* كسف نوره لذلك الطَّخَا  
واحذر على النور الذي وهبت \*\*\* وإن تضع نور الإله خبتَ

كما أن المعاصي والعلم لا يجتمعان أبداً، فالنور والظلام لا يجتمعان قال تعالى: (( إن الله لا يُصلح عمل المفسدين ))، ويقول عز من قائل: (( وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ {20} وَلَا الظُّلُّ وَلَا الْحَرُورُ {21} وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ.. ))<sup>6</sup>

ولماذا وصف المؤلف ما في الفيلم من أنه عالم سحري بالغ الجمال..  
وكان ذلك إحياء للقارئ بأنه بالفعل عالم سحري بالغ الجمال يتساوى مع  
عالم ديزني وجمال رسومه وحركاته، أو عالم الخيال وروائعه المبهرة، أو  
أنها الجنة ونعيمها !!..  
هل هو كذلك فعلاً؟..

لماذا لم يضع قرينة تكشف للقارئ أنه مع قُبْح ما يفعله طارق حسيب  
فإن هذا بالنسبة له عالم سحري وبالغ الجمال...  
لكن حتى هذا لا يتواءم مع فكر الشخصية وتفوقها ونجاحها وامتيازها،  
وتدينها، وإسلامها، ومصريتها، وشرقيتها...  
أليس من المُخجل لفتاة أن تقرأ مثل هذا الوصف المقيت الخادش  
للحياء في رواية يرجوا صاحبها أن يتناولها الذكور والإناث سواء، بدون  
خجل، أو منع من أبوين... !!؟

### اقتباس:

- ( وبعد أحداث 11 سبتمبر، كان رأفت ثابت يُجاهر بآراء ضد العرب

والمسلمين قد يتخرج منها أكثر الأمريكيين تعصباً.. كأن يقول مثلاً:  
- من حق الولايات المتحدة أن تمنع أي شخص عربي من دخول أراضيها حتى  
تتأكد من أنه شخص متحضر.. لا يعتبر القتل فرضاً دينياً. (صفحة 45)

في الحقيقة هذه الفقرة فيها عدة نقاط غريبة:

1- هو يتحدث عن المسلمين بلا شك.. لأن القتل الذي يعتبرونه فرضاً  
دينياً هو ( الجهاد )..

2- هو يعتبر أن الجهاد ما هو إلا قتل، يصبغه صبغة غير شرعية، أو  
يكسبه صبغة إجرامية متعلقة بالدين..

3- هو يتهم الدين الإسلامي بالتخلف لأن الجهاد من شرائع الإسلام،  
المعروفة والمشهورة، لكل البلاد التي وصلتهم أنباء الإرهاب.. وكأنه  
يُحاول أن ينفي الجهاد عن شرع الإسلام..

4- أن رأفت نفسه يبعد كونه مسلماً.. فإذا كان مسلماً فأعتقد أن قوله  
يُخرجه من ملة الإسلام، ولو أنه غير ذلك فهو تعصباً خالصاً وكُرهاً  
صِرفاً..

لكني على يقين أنه مُرتد عمداً - إذا كان مسلماً - عن ملة الإسلام  
بإصراره على التأمرك الخالص، وأمريكا بلد نصراني، يبيع الخمر..  
ورأفت أستاذ في شرب الخمر، يكره كل ما يمت للعرب أو دينهم بصلة..  
ويتعمد أن يُخالف عروبه ومصريته بشكل مُبالغ فيه جداً..

اقتباس:

- ( ملامحه مصرية ريفية، وزببية الصلاة المثلثة تتوسط جبهته، ) ، ( المسبحة  
لا تُفارق يده، وبدلته الكاملة صيفاً وشتاءً صنع المحلة، يستحضرها من مصر مع  
خراطيش سجاجير الكليوباترا السوبر قليلاً للنفقات ) صفحة 66

أليس هذا تناقضاً في شخصية أحمد دنانة بين تدينه وصلاته وبين  
تدخينه للسجائر، وأشياء الأخرى، مثل تنظيمه حفل للمغني "عمرو  
دياب"؟

بما أنه متدين، ويعرف محرمات الإسلام، وفتاوى علماءه في بدع العصر ومحرماته ألا يعلم هذا الحديث؟<sup>7</sup> عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ « مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الْبَقْلَةِ الثُّومِ - وَقَالَ مَرَّةً مَنْ أَكَلَ الْبَصَلَ وَالثُّومَ وَالْكُرَّاثَ - فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَى مِمَّا يَتَأَذَى مِنْهُ بَنُو آدَمَ ». .  
تناقض عجيب !!..

تبدو لي جرأة غير اعتيادية إقحام الرئيس في الرواية بشكل صريح، هذه المرة، بعد إقحامه بشكل تمويهي في الرواية السابقة عمارة يعقوبيان..

#### اقتباس:

- ( ماذا أفعل لكي أقتكما بأنني أقبّل فكرة أن تتخذ ابنتي صديقاً؟، أرجو0 أن تُصدق مرة واحدة وإلى الأبد هذه الحقيقة: أنا أمريكي، وقد ربّيت ابنتي على القيم الأمريكية.. تخلصت إلى الأبد من التخلف الشرقي.. لم أعد أربط شرف الإنسان بأعضائه التناسلية! )صفحة 77، 78.

هذا ما قاله رأفت ثابت لمحمد صلاح في نوبة غضب..

وهو مفهوم خاطئ لحدٍ ما..

لكن لي تعليق: فرط في شرف أعضائك التناسلية، يسهل عليك بعد ذلك التفريط في شرف كل شيء لديك..

وهذا ليس مربوطاً بثقافة معينة، تلك فطرة إنسانية تنطبق على الجميع، في الشرق والغرب، ولو احتكنا لهذه القاعدة الفطرية وقسنا عليها إنسان الشرق وإنسان الغرب، لكان إنسان الشرق أشرف من إنسان الغرب بكثير، وتلك هي الحقيقة، وهذا هو الواقع فعلاً، فالفساد يتواجد بوفرة بدول الغرب أكثر من تواجده في الشرق، بحكم انحلالهم وتحريفهم

لدينهم، واعتناق المذاهب المادية بما يتواءم مع جمود دينهم، وإتباع أهوائهم..

ولعل هذا ما يؤكد المفهوم الخاطئ لدى المؤلف، فإني لم أجد ما يدحضه، أو يرده إلى الصحيح فيه.. لكني شعرت أنها مُغالطة شنيعة في حق العرب أو المسلمين.. أن يُنسب إليهم ذلك الأسلوب الساخر والمُستهجن، وكأن من الجهل والتخلف نسب الشرف إلى الأعضاء التناسلية.. وأن من المعرفة والعلم أن الشرف له ارتباط بروحه وبكلمته وبعمله واجتهاده وكده.. مع أن هذا صحيح أيضاً..

هذا أسلوب المؤلف، غير أن الجملة معنى مستقيم من زاوية أخرى.. وهو أن الشرف قيمة روحية، والأعضاء التناسلية قيمة مادية.. والمعنى أنهما إذا اتحدا فقد جمعا الإيمان قلباً وقالباً، نيةً وعملاً، روحاً وجسداً..

فيا له من معنى..

أن يحافظ الإنسان على شرفه من مبدأ جسده الذي ابتلاه الله به، وأن يتسجد الروح على الجسد، لا أن يتسجد الجسد على الروح، فيزل الإنسان نفسه قلباً.. وقالباً..

إنما الروح هي أصل الحياة، وهي صلة الإنسان بالحياة.. هي الصلة بين العبد وربّه.. هي الكرامة التي ميز الله بها الإنسان.. جعل جسده متكرماً بتلك الروح العظيمة.. فإن تخل هو عن سيادة روحه ونقائها.. أصبح الجسد ميتاً، ولو كان سليماً قوياً..

ولا أدري.. كأن في أمريكا لا يتواجد شرف مرتبطاً بالأعضاء التناسلية.. وكأنه لا يوجد إلا الشرف بمعناه المعنوي فحسب... مع احترامي، فالكل لديه فكرة عن أمريكا أنه ليس فيها إلا الأعضاء التناسلية..

لا أدري ما هي حكاية زرع ناجي وطارق لشقتهما ذهاباً وإياباً وهما بملابسهما الداخلية!!

### اقتباس:

- ( إن ما يجذبه إليها يحس به ولا يستطيع وصفه.. شيء مصري صرف مثل الفول والطعمية والبصارة والضحكة المجلجة والرقص الشرقي وصوت الشيخ رفعت في رمضان، ودعاء أمه بعد صلاة الفجر..)صفحة 87.

كان هذا تفكير طارق حسيب في شيماء محمدي..

لماذا الدمج بين الفساد والمظاهر المصرية؟..

لماذا يصر الكاتب على دمج الخلاعة بقيمنا وعاداتنا؟..

ثم لماذا يريد أن يدمج شيئا سيئا ليس من شيمنا ويفرض خلاعة المرأة وتعريضها وتحريكها لجسمها للإثارة والشهوة أنه من ضمن مصريتنا؟..

هذا امتهان للمواطن المصري، واتهامه بالغفلة والبلاهة والعيش على مظهر سيء فيه من الشهوة وعدم الحياء، وعدم التدين..

إن كان قلة من الناس يقبلون أن يعيشوا في هذا التناقض الرهيب بالرقص الشرقي وسماع صوت الشيخ رفعت، فإن شريحة الشعب المصري معظمهم لا يقبلون هذا التناقض.. وأنا أرفض هذا المزج المشين بعبادات نقية وبين مظاهر دخيلة خليعة، وفرضها على الشعب المصري كأنها منه ضمن عاداته وتقاليده..

وكفى بالكاتب ازدراء بالشعب المصري وبعقليته، وليكف عن احتقاره وامتهان غريزته والادعاء عليها زوراً وكذباً وبهتاناً عظيماً..

وكون الكاتب من هذه الأقلية السيئة المتناقضة الفاقدة للحياء والشهوانية، مع كونه مصري فلا يحق له وصف المصريين وتعميم مظاهره الفاحشة عليهم، بل ودمجها بين مظاهر متأصلة فيه، ليفتن الناس في أصولهم وعاداتهم..

الرقص الشرقي الذي تقوم به امرأة شبه عارية تهز جسمها ومفاتها بشكل مثير لأي رجل، ويحضه على الفحشاء والزنا، وصوت الشيخ رفعت في رمضان الذي يقرأ القرآن الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر !!!

أي تناقض وافتراء وتحريف ومزج شيطاني ذاك..

المؤلف يفعل ما يحاول الإعلام المصري أن يفعله منذ زمن بعيد، من أن يجعل الرقص الشرقي أو المصري جزء وثيق من مصر أو من هويتها أو من ملامحها.. فكأنه يُثبت خطاه، أو يُرسخه في نفوس أبناء مصر..

#### اقتباس:

( - ألا يعتبر هذا نوعاً من الخداع.. أن تشتري البدلة وتتزوج بها ثم ترجعها إلى المحل؟  
- شركات الملابس في أمريكا عملاقة، وميزانياتها بالملايين لن يؤثر فيها ثمن بدلة.. كما أننا لسنا في بلد مسلم.. لقد استشرت علماء دين ثقات فأكدوا لي أن أمريكا من الناحية الشرعية تعتبر دار كفر وليست دار إسلام، وهناك قاعدة فقهية معروفة أن الضرورات تبيح المحظورات.. وبالتالي فإن احتياجي لثمن البدلة يبيح لي شرعاً أن أرجعها للمحل!  
استغربت مروءة جداً من تفكيره وكادت تسأله: " من قال لك إن الإسلام يأمرنا بسرقة غير المسلمين؟" (صفحة 100.

قد تشفع تلك الجملة الأخيرة للمؤلف في شخصية دنانة المتناقضة.. أنه شخص يتخذ من الدين ذريعة وستاراً لنشاطه مع (أمن الدولة) سراً، يتذرع بذرائع شرعية مغالطة وضعيفة من أجل أهواءه الشخصية وأطماعه، والوصول لمناصب ومكانة عالية (والحمد لله أنه نسب انتمائه للحزب الحاكم، وليس إلى الإخوان المسلمون)..

لقد نثر المؤلف الكلام الفاسد والمغالط، ثم أتبعه بعلامة تعجب، ومن ثم أدرج في تفكير مروءة جملة تميط اللثام عن أي تثبيت لمغالطة ما لدى القراء..

ويا ليتة يضع مثل تلك الجمل بعد الأفكار المشوهة في الرواية حتى تتضح الصورة، ولا يُفتتن القارئ السطحي..

فعل ذلك أيضاً في صفحة 104:

#### اقتباس:

( - اتقي الله يا مروءة.. أحذرك من عقاب الله سبحانه وتعالى.. إن ما تفعلينه حرام شرعاً بإجماع جمهور العلماء.. لقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قوله: إن المرأة التي ترفض زوجها في الفراش تبيت والملائكة تلعنها !  
كان مُسجى أمامها على الفراش وهي واقفة بثياب النوم، استبد بها الغضب  
ورمقته بنظرة كارهة مستهزئة، كادت ترد عليه بأن الإسلام لا يُمكن أن يُكره المرأة  
على معاشرة زوج منفر مثله، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بتطبيق  
سيده من زوجها لمجرد أنها لا تستريح إليه..).

يا ليته يتبع ذلك الأسلوب في كل مغالطته، إلا إذا كانت بعض  
المغالطات - التي لم يُزيلها برد أو بتصحيح متداخل بشكل فني مع الأحداث  
- من ضمن أرائه الخاصة المقتنع بها، والتي يعرضها على جموع طوائف  
الناس..

#### اقتباس:

( - ما الضرر في أن يُوجه لها، من حين لآخر، صفة واحدة متوسطة القوة  
تُعيدها إلى الصواب ؟.. ألم يسمح الشرع الحنيف للرجل بضرب زوجته بغرض  
التأديب ؟.. وما العيب في أن يقتض مالا من أبيها ؟.. أليس من واجب الزوجة  
مُساندة زوجها ؟.. ألم تُساعد السيدة خديجة - رضى الله عنها - زوجها بالمال وهو  
أشرف الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم ؟.. ) صفحة 151

في هذا المقطع جزئيتين، ينبغي أن يُعالجوا نقداً فكرياً، وشرعياً..  
الجزئية الأولى وهي ضرب الرجل بغرض التأديب.. وفيها نقطتان..  
الأولى.. ألا يُلاحظ المؤلف أنه يتحدث عن زوجين يمكثان في أمريكا..  
بلد الحرية، وبلد حقوق الإنسان.. ألم يُلاحظ "دنانة" أنه مُقيم في أمريكا  
؟.. ألم يتوجس من اضطرار زوجته للاتصال بالشرطة لحمايتها من زوجها  
الذي يضربها، وساعتها ستكون العواقب عليه وخيمة.. مثل السجن والمنع  
من دخول البيت، وإلى ما هنالك..  
تلك في نظري ثغرة..

الثانية وهي الأهم.. وهي تختص بتشويه الدين في قضية ضرب  
الزوجة.. فهو يتكلم على لسان الشخصية، وكأنه أمر مُسلم به..  
أولاً الإسلام لم يسمح بضرب الرجل للمرأة من أجل مجرد تأديب.. بل  
في حالة العصيان الشديد.. يقول المولى تعالى:

((الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ))..

ونشوز الزوجة: هو المخالفة والمعارضة الشديدة، والعصيان، والغلظة الشديدة، والمعاملة السيئة، والبعد عن الطاعة، وهدر الحقوق، وتجاوز الحد..

ولعل الآيات التالية تُقربنا إلى معنى النشوز في القرآن الكريم، وتعطينا معاني للنشوز متقاربة، وتضعه في مرتبة قاصية لإباحة الضرب ردعاً للزوجة عن انتهاك الفواحش، واقترافها:

- {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لَتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} <sup>8</sup>

- {وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ فَاَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ فَإِنْ أُتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} <sup>9</sup>

- {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنِ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} <sup>10</sup>

- {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا} <sup>11</sup>

هناك ثلاث حلول.. في الآية..

8 النساء: 19

9 النساء: 25

10 الأحزاب: 30

11 الطلاق: 1

1- أولها الموعظة، وهي تكون بالحكمة وبالحسنى.. انطلاقاً من الآية: ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ))<sup>12</sup>.. وحتى لو كان بالتهديد.. فهذا يبعد العنف عن الرجل، لأنه لا يجوز أن يعيش الرجل مع زوجة ناشز لا تطيعه، ولا تؤدي حقوقه الشرعية.. كم أن العظة فيها تُشعرك أن هناك جلسة حوار، وحديث بين الطرفين..

2- الحل الثاني في الآية بالترتيب: بالهجر في المضاجع.. تفسير الآية ظاهرياً هو أن يعتزل الرجل المرأة في حجرة أخرى بعيداً عنها.. لكن هذا ليس بشكل دقيق، فالله قال اهجروهن في المضاجع، ولم يقل اهجروهن عن المضاجع.. مثل آية ((تَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ))<sup>13</sup>، أي يبتعدون عن فراش النوم إلى ساحة الصلاة، يقيمون الليل..

لكن في الآية التي تهمنا الآن.. الهجر في المضجع.. بمعنى أن يهجر الرجل المرأة بجسده، ينام على نفس الفراش، لكن يوليها ظهره، وينأى عنها في نفس الفراش، بطريقة الغاضب منها أو المتضايق منها، المستاء من معاملتها أو تجنب مواجهتها..

3- الحل الثالث والأخير في الآية هو الضرب.. وليس المقصود به التعنيف، بل الأصل أن يكون الزوج مع زوجته لطيفاً سهلاً ليناً.. وهناك كثير من الأحاديث الشريفة التي تحض على ذلك وتثبته مهما حصل من الزوجة..

فالضرب ليس مباحاً إلا في مرتبة معينة، وعند حالة خاصة غير اعتيادية، حتى أن هناك من العلماء من وصف النشوز بأنه الزنا أو ارتكاب الكبائر..

والضرب ليس خياراً متروكاً للزوج، يفعله بمزاجه أو في حالة عصبية أو نفسية، فالضرب مشروع ضمن حدود ضيقة وضوابط شرعية، تجرم من تجاوزها أو التعدي عليها..

وصفة الضرب شرعاً بسيطة جداً، ويكفي أن المشهور عن النبي والصحابة أنهم كانوا يستعملون السواك، وهو كان أقرب شيء إلى أيديهم للتقريع..

وإنني هنا لأضيف حل ثالث بين الهجر والضرب، وبذلك يصبح الضرب الحل الرابع.. لقد قال الله عز وجل بعد الآية الكريمة: ((الرِّجَالُ قَوَّامُونَ

[النحل:125]

[السجدة:16]

عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ  
فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ  
فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا  
عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ((14..

قال في الآية التالية: ((إِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ  
وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا  
خَبِيرًا))15..

وكان المعنى يقول.. وإن خفتم الشقاق الذي يحدث نتيجة حل الضرب  
فاستقدموا إليهما حكماً عدلاً من أهله وحكماً عدلاً من أهلها سعياً ورغبة  
في الإصلاح والتوفيق بينهما.. وهنا يجتمع الحكمين ليقررا بعد الاستماع  
والمداولة أي الحلول أصلح.. التوفيق أم التفريق.. و((أَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ  
أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ))16

لكن هناك أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تضع ضوابط للضرب  
مثل:

((17 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَجَنَّبِ الْوَجْهَ (وفي  
لفظ آخر: فليتنق الوجه)، وَلَا تَقُلْ قَبَّحَ اللَّهُ وَجْهَكَ وَوَجْهَ مَنْ أَشْبَهَ وَجْهَكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى  
خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ))

وعن حَكِيم بن مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ عن أبيه - رضي الله عنه - قال: قلت: يا رَسُولَ  
اللَّهِ مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قال: ((أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، أَوْ  
اِكْتَسَبْتَ، وَلَا تُضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ)).

فلا يجوز ضرب الوجه، ولا تقبيحه.. وفي حل الهجر يُثبت كلامي عن أن الهجر  
في الآية يعني الهجر في نفس الفراش..

وأقتبس هنا في هذه المسألة جزء من مقالة للكاتب عبد الرحمن جمال المراكبي  
في مجلة المختار الإسلامي إذ يقول:

((المقصود بالضرب هو إصلاح حال المرأة، فالضرب علاج لمرض، فإذا ذهب  
المرض فلا حاجة للعلاج أصلاً، وقد جعل القرآن الكريم الضرب آخر الوسائل  
الإصلاحية التي يملكها الرجل، وبذلك كان كالدواء الأخير الذي لا يلجأ إليه إلا عند  
الضرورة، ويجب ألا يكون الضرب مبرحاً لقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "   
فاضربوهن إذا عصيكن في المعروف ضرباً غير مبرح"، وذلك بأن يضربها بسواك،

[14] النساء: 34

[15] النساء: 35

[16] الطلاق: 2

17 عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه مسلم

أو منديل، أو نحوه، وقد سئل ابن عباس: ما الضرب غير المبرح؟ قال: السواك وشبهه يضربها به.<sup>18</sup>

ويحرم عليه ضرب الوجه ولا يحل له أن يضربها أكثر من عشر ضربات بحال من الأحوال؛ لحديث أبي بُرْدَةَ الْأَنْصَارِيِّ - رضي الله عنه - قال سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: (( لَا تَجْلِدُوا فَوْقَ عَشْرَةِ أَسْوَاطٍ إِلَّا فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللَّهِ ))<sup>19</sup> ولا شك أن الترفع عن الضرب أفضل وأكمل إبقاء للمودة والألفة بين الزوجين، فخير الرجال لا يضربون نساءهم، ويحضرني هنا قول شريح القاضي - رحمه الله تعالى - وقد تزوج من امرأة من بني تميم يقال لها زينب:

رأيت رجلاً يضربون نساءهم \*\*\* فشلت يميني حين أضرب زينبا  
أضربها من غير ذنب أتت به \*\*\* فما العدل مني ضرب من ليس مذنباً<sup>20</sup>

ولنا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أسوة حسنة فإنه بأبي هو وأمي، ما ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما ضرب امرأة ولا خادماً قط<sup>21</sup>

بل إنه لما طلب نساؤه منه زيادة النفقة جلس - صلى الله عليه وسلم - مهموماً غاضباً، فلما دخل عليه أبو بكر وعمر - رضي الله عنهما - ورأوه على هذا الحال وعرفا سبب غضبه - صلى الله عليه وسلم - قام أبو بكر - رضي الله عنه - إلى عائشة ليضربها، وقام عمر - رضي الله عنه - إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي - صلى الله عليه وسلم - ما ليس عنده. فنهاهما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ضربهما.

وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر - رضي الله عنه - يشكو خلق زوجته فوقف على باب عمر ينتظر خروجه فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها فأنصرف الرجل راجعاً وقال: إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته - وهو أمير المؤمنين - فكيف حالي؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال: ما حاجتك يا رجل؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو إليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت: إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي؟ فقال عمر: يا أخي إنني احتملتها لحقوق لها علي: إنها طبخة لطعامي، خبازة لخبزي، غسالة لثيابي، مرضعة لولدي، وليس ذلك كله بواجب عليها، ويسكن قلبي بها عن الحرام، فأنا احتملتها لذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر: فاحتملها يا أخي فإنما هي مدة يسيرة. ((

18 [رواه ابن جرير 68/5]  
19 [البخاري: 6458 - مسلم: 1708]

20 [تاريخ دمشق 52/23]  
21 [البخاري: 4658]

ويكفي أن هناك أحاديث وآيات كثيرة تُعلي من حقوق المرأة، وتمنحها الكرامة الإنسانية الرفيعة، منها:

ديننا الإسلامي الحنيف دين يحث على الألفة، والمحبة، والعشرة بالمعروف، والآيات والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة، منها قوله - تعالى - :

(وَاعْشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا) <sup>22</sup>

وقوله - عز وجل - : (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ) <sup>23</sup>

وقد أوصانا النبي - صلى الله عليه وسلم - بالرفق بالنساء، والإحسان إليهن، والصبر على عوجهن، فقال <sup>24</sup>:- ((اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرَتْهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا))

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : (( لَا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ )) [مسلم: 1469].

وفي حجة الوداع قال - صلى الله عليه وسلم - : (( اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَخْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئَنَّ فُرْشَكُمْ أَحَدًا تَكَرَّهُوْنَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرَحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ )) <sup>25</sup>

وقال - صلى الله عليه وسلم - : ((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)).

وقال ابن عباس - رضي الله عنهما - " إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن تزين لي لأن الله - عز وجل - يقول: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ

22 [النساء: 19].

23 [البقرة: 228]

24 في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه، [البخاري: 4890 ومسلم: 1468]

25 [مسلم: 1218]

**بِالْمَعْرُوفِ) وما أحب أن أستوفي جميع حقي عليها؛ لأن الله - عز وجل - يقول: (وَالرِّجَالُ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ)<sup>26</sup>.**

### **وأحب أن أدرج موضوعاً قيماً مفيداً في تلك المسألة:**

((وقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في حجة الوداع: (ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنما هن عوانٌ عندكم ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً فأماً حَقُّكُمْ على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهوه ولا يَأْدَنَّ في بيوتكم لمن تكرهوه ألا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ)<sup>27</sup>)  
وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ( لَا يَجْلِدُ أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يَجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ)<sup>28</sup>

وعن عائشة - رضي الله عنه - قالت: ما ضَرَبَ رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً قط بيده ولا امرأة ولا خادماً إلا أن يجاهد في سبيل الله وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله فينتقم لله عز وجل.<sup>29</sup>

قال النووي - رحمه الله تعالى " : -فيه أن ضرب الزوجة والخادم والدابة وإن كان مباحاً للأدب فتركه أفضل " اهـ

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ( : مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِي جَارَهُ وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ خُلُقْنَ مِنْ ضِلَعٍ وَإِنْ أَعَوْجَ شَيْءٌ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ فَإِنْ ذَهَبَتْ نَفْسُهُ كَسَرَتْهُ وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعَوْجَ فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا )<sup>30</sup>

قال النووي - رحمه الله تعالى " : -فيه الحث على الرفق بالنساء والإحسان إليهن والصبر على عوج أخلاقهن واحتمال ضعف عقولهن وكراهة طلاقهن بلا سبب وإنه لا مطمع في استقامتهن " اهـ

قال الشافعي - رحمه الله تعالى " : -وجماع المعروف بين الزوجين كف المكروه وإعفاء صاحب الحق من المؤنة في طلبه لا بإظهار الكراهية في تأديته فأيهما مطل بتأخيرها فمطل الغني ظلم " اهـ

وقال الطبري - رحمه الله تعالى " : - يعني جل ثناؤه بقوله ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن ( بِالْمَعْرُوفِ ) يعني بما أمرتم به من المصاحبة وذلك إمساكنهن بأداء حقوقهن التي فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم إليهن أو تسريح منكم لهن بإحسان " اهـ

26 [رواه البيهقي 295/7].

27 رواه ابن أبي شيبة و النسائي وابن ماجه والترمذي وقال : حسن صحيح.

28 عن عبد الله بن زُمعة - رضي الله عنه - رواه البخاري

29 رواه مسلم

30 رواه البخاري ومسلم

وقال الذهبي - رحمه الله تعالى " : - وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه فالزوج أيضا مأمور بالإحسان إليها واللفظ بها والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره وإيصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى ( وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ) (١) هـ

وعليه فإنه يحرم على الزوج ضرب زوجته ظلما بلا سبب ولو كان الضرب يسيرا فالظلم ظلما يوم القيامة.

قال ابن جرير - رحمه الله تعالى " : - إنه غير جائز لأحد ضرب أحد من الناس ولا أذاه إلا بالحق لقول الله تعالى ( وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ) سواء كان المضروب امرأة وضاربها زوجها أو كان مملوكا أو مملوكة وضاربه مولاه أو كان صغيرا وضاربه والده أو وصي والده وصاه عليه " وقال تعالى ( وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ) فقد نهى الرجل عن الإضرار بمطلقة فكيف بزوجه.

وليُعلم أن الترفع عن الضرب أفضل وأكمل إبقاء للمودة حتى مع وجود الداعي له لحال النبي صلى الله عليه وسلم فإنه ما ضرب خادما ولا امرأة.

ولا بد من الإشارة إلى أنه ينبغي لكلا الزوجين مراعاة جانب الرأفة والرحمة كلا مع الآخر، وأن يتجنبنا الجنوح إلى هذه الحالة ما استطاعا إلى ذلك سبيلا. وأيضا فإنه مما يعين على ذلك التغاضي عن بعض الأخطاء التي لا تخل بأمور الشرع، ولو أن كلا الزوجين تدارسا طرفا من الهدى النبوي في ذلك لكان حسنا، كباب حق الزوج على المرأة، وباب الوصية بالنساء من كتاب رياض الصالحين ((

ولا يبقى أمامي الآن في تفصيل تلك المسألة، إلا أن أفند الحكمة من ضرب المرأة في القرآن:

في رأيي أن الضرب أقل من الجلد في الشريعة.. فالجلد في الكبائر.. وهو الضرب بالسوط، والسوط وحده يصنع الجروح، إنما لا يؤذي العظم، ولا يكسره..

أما الضرب فهو أقل من ذلك بكثير؛ لقوله صلى الله عليه وسلم " لا يزداد فوق عشرة أسواط إلا في حد من حدود الله ".. وكذلك هو الضرب، فما أقل..، لذلك يمكن ضرب الولد الصغير لحضه على طاعة أو فعل حسن، أو إبعاده عن سوء وتصرف خاطئ.. يفعل الأب ذلك بدافع من مسؤوليته عليه، لأنه وصل معه لمرحلة لن يجدي فيها الفهم ولا التصويب.. فيفهم الولد أنه وصل لمرحلة من العصيان شديدة تستوجب الردع؛ لتغيير فعله حفاظاً عليه..

وكذلك النساء، قد يصعب عليهن استيعاب بعض المواقف، وتختلط عليهن الأمور بدافع من عاطفتهم الجياشة.. ولما يصلن لمرحلة الضرب يفهمن أنهن وصلن لحالة تستوجب الردع والكف عن الاستمرار في النشوز، بغض النظر عن فهمهن واقتناعهن.. وإنما يستدعي الأمر ذلك نظراً لأهمية المرأة في الأسرة وبالنسبة للزوج، وللمجتمع.. لأن كثيراً ما تكون المرأة سبب السعادة في البيوت الناجحة أو سبب الشقاء في البيوت التعيسة النكدة، والمرأة الصالحة هي التي تستوعب زوجها، وتتغاضى عن الزلات، وتقبل العثرات.

ذكر الإمام ابن الجوزي أن محمد بن عيسى قال: أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيئ الخلق. فقالت: أسوأ منك من أحوجك لأن تكون سيئ الخلق، فقال: أنت إذاً امرأتي.

و قال أبو بكر ابن العربي الفقيه المالكي: (إذا لم يبعث الله سبحانه للرجل زوجة صالحة وعبدًا مستقيماً فإنه لا يستقيم أمره معها إلا بذهاب جزء من دينه)، ثم عقب قائلاً: (وذلك مشاهد معلوم بالتجربة)

قال الإمام القرطبي: (لم يأمر الله عز وجل في شيء من كتابه بالضرب صراحاً إلا هنا وفي الحدود والعظام، فساوى معصيتهن لأزواجهن بمعصية الكبائر، وولى الأزواج ذلك دون الأئمة وجعله لهم دون القضاة بغير شهود ولا بينات انتماناً من الله تعالى للأزواج على النساء).

إذاً الضرب في الشرع للردع، وليس للعقاب..

وهو في الشرع يأتي آخر الحلول، أو قد لا يأتي بتاتاً، ولا يُطلب مُطلقاً..

وهذا هو الإسلام في حقيقته.. ليس دين قسوة أو عقاب أو عنف.. إنما هو رحمة للعالمين.. فكيف يكون رحمة للعالمين، وفي ذات الوقت يأمر بضرب المسلمين، مع أنه جاء في إحدى الآيات الكريمة: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ))<sup>31</sup>

وهذا ينطبق تماماً على حالة الجهاد.. فالإسلام يحترم الجميع حتى لو لم ينتمون إليه.. هناك آداب الجهاد المعتمدة، فقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي قادة سراياه عند ما كان يبعثها بأمر، ويقول: سيروا باسم الله بالله، وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلو، ولا تمثلوا، ولا

تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبيّاً، ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً إلاّ أن تضطروا إليها. وفي رواية أخرى: ولا تحرقوا النخل، ولا تغرقوه بالماء، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تحرقوا زرعاً، لأنكم لا تدرون لعنكم تحتاجون إليه.<sup>32</sup>

الإسلام لم يدخل معركة ليجبر الناس على الدخول في الإسلام.. ولم يدخل بلداً ليسيّطرها، ويغنم منها، ويفرض الإسلام عليها.. كان القادة يُبلغون رسالة الله إلى قواد العالم، فإن لم يُذعنوا لرسالة الله، لم يكن عليهم من حرج إلا أن يرفضوا نشر الإسلام بين أفراد شعوبهم، فساعتها كان المسلمين المجاهدين يدخلون لكي يفتحوا البلاد، ليدخل فيها الإسلام بالسلم.. يدخلون بالحرب، لكي يزيلوا الحُكام والملوك الاستبداديين المُعاندِين الذين يسيطرون على شعوبهم، ويُقيدون حرياتهم، ويصدون عنهم شعاع الإسلام المنير.. فينزعونهم من على عروشهم من أجل أن يدخل الإسلام بتعاليمه السمحة، ومناهجه المتسمة بالعدل والحب واليسر والسلام إلى الشعوب، فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر..

إنّ فالحرب أو الجهاد بالمسمى الشرعي والمعنى الدقيق في الإسلام يُسمى ردع ودفع، وليس قسوة وجبروت.. نفس معنى الضرب أيضاً في الشرع مع المرأة الناشز.. إذ المعنى ردع المرأة أو الطفل (ذكر أو أنثى) ودفعهم عن الاستمرار في الغناد والنشوز والاعتراض.. فالردع هو دفع عن الضرر..

أنا أحاول الرد على التُّرهات ونقدها، حتى لا تختلط على أفهام الناس.. في الرواية تحدث المؤلف عن ضرب النساء، وكأنه شيء مُسلم به، في عقلية الرجل الشرقي أو المسلم.. وإنما الحقيقية غير ذلك.. لو الناس يحتكمون للإسلام ما قاموا بضرب نساءهم.. لأن الإسلام يضبط كل صغيرة وكبيرة في الحياة.. والمؤلف مزج رجلاً متزمتاً متديناً بتلك السلبيات والسلوكيات.. ولم يأت بإيجابية ترد على تلك السلبية.. كتب السلبيات فقط، بدون تصحيح لها.. وأنا لا أعجبنني هذا النوع من الأدب.. لأنه يخلط الأفكار، ويشوش الحقائق.. فما هي الفائدة من أدب وإبداع وفن، يُشوه التاريخ، ويخلط بين الحقائق؟..

الجزئية الثانية.. وهي المتعلقة بمساعدة السيدة خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم.. إن كان المؤلف يقصد مساعدتها بالتجارة.. فإن الرسول كان فقط مجرد مدير يُدير تجارة زوجته، وكان يأكل مما عمل به..

وإذا كان يقصد الأموال التي صرفتها خلال سنوات التبليغ، فلم تكن مساعدة له شخصياً، بل كانت بذل وإنفاق من قبلها في سبيل نشر الدعوة، تتساوى فيه مع الصحابة الذين أنفقوا من مالهم الخاص جهاداً في سبيل الله عز وجل، ونشر دينه، قياساً على أي مُنفق في سبيل الله تعالى سواء بالمال أو بالجهد أو بالنفس...

#### اقتباس:

( - أما شكواها من لقائهما الجنسي، فهو يعتبر ذلك، باطمئنان كامل، نوعاً من دلال المرأة لا أكثر ولا أقل!.. إن اللذة والألم عند المرأة مرتبطان ويختلطان لدرجة أنها في أوج لذتها تصرخ كأن أحداً يضربها بعنف.. وبالتالي فكل ما تشكو منه المرأة في الجنس غالباً ما يكون، في الحقيقة، من أسباب سعادتها.. ولقد سمع دنانة مرة من أحد أصدقائه رأياً اقتنع به، مفاده أن الرغبة الدفينة لدى كل امرأة تتلخص في أن يتم اغتصابها بعنف.. هذا فعلاً ما تريده المرأة، وإن تظاهرت بالعكس.. فيالها من كائن غامض مُتناقض مُستعص على الفهم، تتظاهر بعكس مشاعرها، تقول لا، وهي تقصد نعم... ألم يقل الشاعر القديم:

"يتمنعن وهن الراغبات"؟! حقاً.. إن النساء ناقصات عقل ودين، والرجل الجدير بهذا الاسم يجب أن يُخضع المرأة في الحياة كما يُخضعها في الفراش، يجب أن يُسيطر عليها ويقودها، وفي نفس الوقت لا يمنحها ثقته الكاملة أبداً.. ولقد تواترت عن السلف الصالح مآثورات عديدة في هذا المعنى:

"استشيروا النساء ثم خالفوهن"..

"علامات الأحق ثلاث: ملاعبة السباع، وشرب السم على سبيل التجربة، وانتمان النساء على الأسرار"..

"تجنبوا شرار النساء، وكونوا من خيارهن على حذر".... (صفحة 151، 152

طبعاً قد يكون هذا الكلام مجرد رأي لأحد الشخصيات في الرواية، ولا يدل على رأي الكاتب.. وإن كنت أرى أن المؤلف لم يبرأ من وضع المرأة بذلك الاعتبار الذي يعتبره دناءة على مدار الرواية وتلبيسه على كل امرأة فيها..

فكان هذا ما حصل مع شيماء وطارق فعلاً..  
وناجي وعاهراته..

وكارول وبيعها لجسدها بهذا المنطق، وإن حسنت نيتها، وليس رغبة في التعري والإباحية وتسليم أجسادهن للرجال يعبثن بها كيفما يشاءون..

من وجهة نظري في هذه الجزئية من الاقتباس غريباً ومُحيراً.. أهذا فكر الراوي، أم الشخصية.. لكن لما تجد أن هذا القانون وهذا الفكر ساري في كل أنحاء الرواية فهذا ما يُوجه النظر إلى الهدف الحقيقي من الرواية.. دعك من هذا.. فالراوي لم يضع قرائن تدل على عدم صحة هذا الكلام، وترده بطريقة فنية أخرى.. فمثلما الفنان مسئول أن يُبدع فناً، مسئول أيضاً عن فكر وفنون عرض لا تلتبس على المُتلقي..

الشيء الذي يُحيرني أن تُعجب كثيرات من الناقدات والكاتبات بالرواية وهي تحمل مثل هذا الفكر المنحرف، والعرض المُرّي لحقيقة المرأة افتراءً..

وهناك عدة ملحوظات ينبغي مُعالجتهن نقداً فكرياً..

المُلاحظة الأولى.. أنه ليس كل تفكير الرجال بهذه الصورة الجنسية المُقززة، التي تُعشش في خيال أحمد دناءة أحد شخصيات الرواية، وليست بتلك القناعة المتشابكة تشابك بيت العنكبوت في رؤوس كل الرجال، والتي تُعتبر مبدأ ومحور في رؤوس كل شخصيات الرواية، إن لم يكن المؤلف معهم أيضاً.. والذي لميُحاول أن يُحسنها في نطاق الرواية، أو يرفقها بقرينة تدل على غير ذلك..

الملاحظة الثانية.. حديث (النساء ناقصات عقل ودين)، وتخرجه كالتالي:

(( خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أضحي، أو فطر، إلى المصلّى، فمر على النساء، فقال: يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن

أكثر أهل النار. فقلن: وبم يا رسول الله؟ قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل. قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان عقلها، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم. قلن: بلى، قال: فذلك من نقصان دينها. 33))

أما عن شرح معناه، فقد سئل فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه الله عن معنى أن (النساء ناقصات عقل ودين...) فكانت هذه إجابة فضيلته:

(( ما هو العقل أولاً؟

العقل من العقال، بمعنى أن تمسك الشيء وتربطه، فلا تعمل كل ما تريد.

فالعقل يعني أن تمنع نوازحك من الانفلات، ولا تعمل إلا المطلوب فقط. إذن فالعقل جاء لعرض الآراء، واختيار الرأي الأفضل. وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة، والمرأة تتميز بالعاطفة، لأنها معرضة لحمل الجنين، واحتضان الوليد، الذي لا يستطيع أن يعبر عن حاجته، فالصفة والملكة الغالبة في المرأة هي العاطفة، وهذا يفسد الرأي. ولأن عاطفة المرأة أقوى، فإنها تحكم على الأشياء متأثرة بعاطفتها الطبيعية، وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة.

إذن فالعقل هو الذي يحكم الهوى والعاطفة، وبذلك فالنساء ناقصات عقل، لأن عاطفتهم أزيد، فنحن نجد الأب عندما يقسو على الولد ليحمله على منهج

تربوي فإن الأم تهرع ل تمنعه بحكم طبيعتها. والإنسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم، وإلى العقل من الأب.

وأكبر دليل على عاطفة الأم تحملها لمتاعب الحمل والولادة والسهر على رعاية طفلها، ولا يمكن لرجل أن يتحمل ما تتحمله الأم، ونحن جميعاً نشهد بذلك.

أما ناقصات دين فمعنى ذلك أنها تعفى من أشياء لا يعفى منها الرجل أبداً.

فالرجل لا يُعفى من الصلاة، وهي تُعفى منها في فترات شهرية. .  
والرجل لا يُعفى من الصيام، بينما هي تُعفى كذلك عدة أيام في الشهر. .  
والرجل لا يُعفى من الجهاد والجماعة وصلاة الجمعة. . وبذلك فإن  
مطلوبات المرأة الدينية أقل من المطلوب من الرجل.

وهذا تقدير من الله سبحانه وتعالى لمهمتها وطبيعتها. وليس لنقص  
فيها، ولذلك حكم الله سبحانه وتعالى فقال: { للرجال نصيب مما كسبوا،  
وللنساء نصيب مما اكتسبن }<sup>34</sup>

فلا تقول: إن المرأة غير صائمة لعذر شرعي، فليس ذلك ذماً فيها، لأن  
المُشرع هو الذي طلب عدم صيامها هنا، كذلك أعفاها من الصلاة في تلك  
الفترة..

إذن فهذا ليس نقصاً في المرأة ولا ذماً، لكنه وصف لطبيعتها. ))

فبعد ذلك لا داعي للإيحاء بالتقليل من شأن المرأة، فالله تبارك وتعالى  
رب العالمين، كرمها أيما تكريم..

الملاحظة الثالثة.. ما تواتر عن السلف الصالح: " استشيروا النساء ثم  
خالفوهن"، فلم أجد نصاً يُثبت، لم أعثر له على أثر، إلا ما يؤدي المعنى،  
وفي ذلك يقول الشيخ محمد المنجد:

((بعض الناس يعتقدون أن استشارة النساء من النكبات والمصائب، ويستدلون  
على ذلك بأحاديث: (شاوروهن وخالفوهن) هذا حديث مشهور عند بعض العوام، مع  
أن هذا الحديث لا أصل له مرفوعاً، ومعناه خطأ، وكذلك ما يروى عن عمر: [خالفوا  
النساء فإن في خلافهن البركة] وهذا أيضاً إسناده ضعيف ولا يثبت، والحديث  
الموضوع الآخر: "طاعة المرأة ندامة"، لأن النساء صحيح أنهن أقل عقلاً، لكن بعض  
النساء قد تأتي برأي لا يأتي به أكابر الرجال. مثال ذلك: في حادثة الحديبية أمر  
الرسول صلى الله عليه وسلم الناس أن يحلقوا وينحروا بعد أن عقد الاتفاقية مع  
قريش، ومن الغم ماذا فعل الصحابة؟ لم ينفذوا الأمر، فمن الذي حل المشكلة؟ أم سلمة  
رضي الله عنها، دخل الرسول صلى الله عليه وسلم عليها مكروباً، كيف يأمر

الصحابية ولا ينفذوا؟! شيء عظيم، فقالت أم سلمة: [يا رسول الله! احلق رأسك أمامهم وانحر هديك وسوف سيتابعوك]. وفعلاً خرج الرسول صلى الله عليه وسلم وأخذ برأي أم سلمة فحلق الصحابة رءوسهم ونحروا هديهم، وكان الذي أتى بالرأي الذي حل هذا الإشكال العظيم أم سلمة، امرأة لكن ليست كأى امرأة، وهذا يبين لنا أن النساء لسن محتقرات الرأي في الإسلام، ولكن لا يعني الأمر هذا أن الرجل يفلت الزمام للمرأة فتكون هي التي تشير وهو الذي ينفذ، فلا إفراط ولا تفريط، لا احتقار ولا إهانة. ويروى أن رجلاً كان دائماً يشاور زوجته ويخالفها، فتضايقت منه جداً، وفي يوم من الأيام شاورها في شيء ثم خالفها؛ فثارت في وجهه، فقال: إنما أفعل هذا ديانة، لحديث: (شاوروهن وخالفوهن) لماذا تلوميني؟ فعندما ذهب وسأل تبين له أن الحديث ليس بثابت، وأنه لا يثبت مرفوعاً، فهذه قضية اجتماعية - شرخ في البيت - بسبب هذا الحديث الضعيف أو الموضوع. ((

وكيف يقول الإسلام بذلك وهناك آيات قرآنية عظيمة تتحدث لجموع المسلمين رجالاً ونساءك ( فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ <sup>35</sup> )

و ( وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ \* وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ \* وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ <sup>36</sup> )

- وما ورد عن الرسول صلى الله عليه وسلم لما أمر بتخيير نسائه بين أن يبقين معه على ما عنده، أو يمتعهن ويسرحهن سراحاً جميلاً، عن عائشة قالت: (أتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني سأعرض عليك أمراً فلا عليك ألا تعجلي فيه حتى تشاوري أبويك، فقلت: وما هذا الأمر؟ قالت: فتلا علي: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً \* وَإِنْ كُنْتُمْ تُرَدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْراً عَظِيماً <sup>37</sup>، فقالت عائشة: وفي أي شيء تأمرني أن أشاور أبواي؟! بل أريد الله ورسوله والدار الآخرة <sup>38</sup>)

35 [آل عمران: 159]

36 [الشورى: 36-38].

37 [الأحزاب: 28-29]

38 رواية البخاري.

فهذا كله دليل على أن الرواية تُلقى الأحاديث لتعطي دلالات مُشوّهة،  
وتُثبت في الأذهان أفكاراً مُشوّهة عن الصحابة والإسلام بوجه عام.. وهذا  
خطأ طبعاً..

بعد هذا كله، لا يفوتني أن أصرح بأن كل شخصيات الرواية قد مارسوا  
الجنس، فضلاً عن البغاء مع مومسات أو خادِمات أو أجيرات، حتى أحمد  
دنانة نفسه فعل مع فلاحات..

وهذا تلميح لتشويه الفلاحين.. برغم أن الفلاحات من أكثر النساء عفة  
وصيانة لشرفهن، نظراً لبعدهم عن أضرار المدنية، وتعرية المرأة وعبث  
العابثين، فالريف أكثر نقاءاً، وأقوى أصالة، وأقرب إلى الفطرة السليمة..

أعجبني المشهدين اللذين خاضهما الدكتور محمد صلاح.. المشهد مع  
حبيبته القديمة زينب، والمشهد الذي كان مستلقياً فيه أمام الطبيب النفسي،  
والحوار الغني بينهما..

إنما تعجبت من أن كل مشكلة في الرواية يُعبر عنها بشكل جنسي..  
أعني أنه حتى لو كان لدى الدكتور صلاح مشكلة نفسية، فلماذا تكون  
جنسية بالتحديد؟.. لما لا تكون رفض للشخصية التي تزوجها، وكُره لها،  
وانتقاص أسلوبها، وطريقة حديثها مثلاً، أو اختلافهما دوماً بما يؤدي  
لمشاجرات بينهما..

صحيح أن المصريين يواجهون ميراثاً بيروقراطياً، وعادات وتقاليد  
وأعراف غريبة، لكني مقتنع تماماً أن أسلوب علاجها ليس باحتقار أهلها  
والتصغير من شأنهم، وتسفيه سلوكياتهم.. إنما بروايات تعتمد على تنمية  
الذوق العالي، والسلوك القويم، والأخلاق الحميدة، والألفاظ المحتشمة  
والمُعبرة، والمشاهد المُنتقاة الخالية من خدش الحياء..

كأن المؤلف يُثبت أنه نابع من تلك البيئة، ويدلل على أنه أيضاً مصري،  
مثل المصريين الذين يُلاقون الشتائم على لسان شخصيات الرواية التي  
يكتبها..

- لا أعرف ما التناقض الوفير الذي تمتلئ به الرواية، والأفكار الغريبة المتناقضة التي تتصف به كل شخصية من شخصياتها في أحاديثها وتصرفاتها..

شيماء عندما وصفت بأنها ملتزمة ومتدينة، ومتفوقة في دراستها لحد الانكفاء، ثم إذا بها تختلي بلذتها، وتستمتع للأغاني وترقص كما الساقطات، ما هذا التناقض الغريب؟!.. الوصفين الأولين يحيلوها لحياة العزلة والتجرد فقط للعبادة والدراسة والعلم، ولا تفكر في سواهم بما أنها تتلذذ بالمذاكرة لحد الوله، ثم يصفها الكاتب بأنها لا تفقه شيء في أساليب الأنثى الطبيعية في الإغراء!! أراه تناقض مقيت..

وأفكارها المتناقضة مع التزامها، واستعدادها للفاحشة، حيث ارتدت الزبي على جسمها عارياً.. وخوضها مع طارق في الممارسة.....

ثم طارق الملتزم الذي وقته كله عبارة عن أرقام وإحصاء، ولا يُماريه أحد أو يُضاهيه في العلم والاجتهاد والمعرفة في مجال تخصصه، ثم تجده يُشاهد الأفلام الإباحية، ومعروف أن هذه الأشياء تفقد التركيز، وتُشتت الذهن، والتزامه الذي ذكره المؤلف في البدء المفروض يدرأه عن مثلها؛ لأنها حرام، وتجده ينام بعدها قرير العين، وهو يتلهج بأذكار النوم بخشوع المتعبد الورع!..

شخص آخر لن تجده يفعل ذلك، أو على الأقل سينام نادماً تطوف في عقله الأجساد العارية، وتصيح في أذنه أصوات التآوه والتناغي والشخير على حد تعبير المؤلف، فضلاً عن أنه سيستيقظ كسولاً أرقاً مشتت الذهن وغير مستعد لمجابهة دروسه، وواجباته..

وأكبر التناقض هذا السياسي المصري الشاب المتحمس والمتعصب للعمل الإصلاحي، الذي تجده ما أن يصل شيكاغو تجتاحه رغبة جنسية عارمة، قد أتفهم ذلك لحد ما، لكن أن يطلب مومس ببساطة، وكأنه معتاد على ذلك في مصر، فهذا ما أراه مُتناقضاً للغاية مع تلك الشخصية..

وهذا تلميح من الكاتب غير مباشر، وخبيث ومُغرض وكأنه يُشير إلى وجود تجارة الدعارة في مصر، وإلى أنه نفسه كان يتعامل معها..

#### اقتباس:

- ( كنت أعرف أن الدعارة ممنوعة في شيكاغو، وسرعان ما اكتشفت أنها تتخذ اسماً آخر!.. وجدت في الدليل إعلانات عن سيدات جميلات متخصصات في "التدليك الخاص".. قلت لنفسي: هذا بالضبط ما أريده!..)صفحة 61.

يبدو أن ناجي عبد الصمد لديه إلمام بكل ما يتصل بالدعارة في جميع أنحاء العالم.. وأيضاً لديه نبوغ في اكتشاف تمويهات الدعارة.. يا له من نابه فيما يختص بعالم الجنس..

#### اقتباس:

- ( أخذت حماماً جديداً اعتنيت خلاله بتنظيف جسدي.. ثم ارتديت روباً حريراً على جسدي العاري، مثل زير النساء في الأفلام المصرية..)صفحة 64.

ويبدو أن الكاتب أو شخصية ناجي مبهورة ومُتيممة ومتأثرة جداً بزير النساء في الأفلام المصرية (وكان زير النساء لا يظهر إلا مصري)، ويعتبره كبطل أسطوري بارع، وظريف ومحبوب، ومرح يحب المتع، ولا يحرم نفسه منها..

ولاحظ التسمية: "زير نساء"، وليس "عاهر" أو "زاني" أو "مرتكب فواحش"..

وصراحةً لم أصادف سياسياً مُتعصباً مشاغب للحكومة من هذا الطراز الغريب الذي ينتمي إليه ناجي، ولم أسمع حتى عنه..

وتجده أيضاً يشرب الخمر بدون وازع يردعه، وكأنه من المبيحات، أو المندوبات..

يجلب زجاجة نبيذ معه، وكأنه جلب زجاجة عصير مانجو مثلاً..

في أول فصول مذكراته يقول:

اقتباس:

- ( أكتب الآن وأنا أعب النبيذ (كما يقول العرب) )صفحة 64.

هو يعب النبيذ ويتجرعه، ويشرب بغزارة.. والنصارى أكثرهم يفعلون  
أيضاً، وأكثر منهم الأوروبيين وكذلك الأمريكيين..

ما يدهشني هو لماذا حصر عب الخمر في العرب فقط؟!..

ألم يسمع غيرهم يقولون تلك الجملة؟..

العرب فقط هم الثمالي والمخمورين والمترنحين؟..

العرب هم الفاسدين فقط أم أن هناك من هم أفسد منهم؟..

اقتباس:

- ( وبدت هي فجأة وكأنها جنت، فأمسكت بكم الروب وأخذت تهزني بعنف:  
يجب أن تتعلم كيف تُعامل النساء في أمريكا.. فاهم يا عربي؟.. المرأة هنا  
مواطنة محترمة وليست مخلوقاً بلا كرامة كما تعتبرونها في الصحراء التي أتيت  
منها!

- أنا أحترم المرأة، لكني لا أحترم الساقطات ! )صفحة 91.

ذلك المقطع يبدو لي غريباً جداً.. هذا ما حدث بين العاهرة "دونا"  
وبين ناجي عبد الصمد..

كيف تكون المرأة محترمة في أمريكا، وهل تُزاوِل مهنة الدعارة، التي  
هي أحقر المهن في أمريكا، بل وفي العالم، بل وفي عُرف الفِطْرة الإنسانية  
التي جبلها الله سبحانه في ذرية أبو البشر آدم عليه السلام..

هل الكرامة في عرفهم هي أيضاً الشرف الذي لا يتعلق بالأعضاء  
التناسلية؟!..

وهل أمريكا تحترم الساقطات فعلاً، حتى لو كانت بيوت الدعارة تدفع  
ضرائبها؟

وهل ترضى المرأة في أمريكا أن تزاول الدعارة برضاها، ولا تكون مواطنة مكفول لها في بلادها العيش الذي يضمن لها الكرامة ويسد حاجتها..

النساء في أمريكا لا يُزاولن تلك المهنة الحقيرة إلا عن فاقة وعوز أو إكراه وتحكم، ولأنهن ببساطة لم يجدن عملاً آخر أو عن جشع غير مُتناهي، وساعتها ستعرض للذل والمهانة والاحتقار..

والغريب أن يلح رجل على امرأة في أن ينام معها، في حين يزدريها ويحتقرها في ذات نفسه..

رأيي الخاص أنه إذا لم يكن يحترمها فهو شخصياً أحقر منها؛ لأنها مضطرة لأن تُسلم له نفسها مضطرة كمبادلة أو معاوضة تأخذ في مقابلها مالا يُساعدُها على مجرد العيش..

ولا أدري هل عدم احترامه لها بسبب خيبة أمله في شكلها وسوادها وقبحها وكبر سنّها فيكون بذلك عنصرياً، أم لأنها ساقطة من الساقطات اللاتي لا يحترمن بالكلية؟

وهل تتساوى تلك الساقطة القبيحة المضطرة والمحتاجة مع امرأة جميلة تسلم جسدها للغرباء طوعاً يعبثون به من أجل متعتها الشخصية أم أنه حينئذ ينفي عنها صفة الفجور والحقارة، ويُرخي عليها أسمى آيات التبجيل والاحترام والشرف؟؟..

الغريب في شخصية ناجي أنه دائماً يتفوه بأفكار غريبة وعجيبة، وكأنه لا ينتمي إلى مصر، أو إلى أمة مسلمة هو منها.. احترت كثيراً فيما يقصده من تلك الجملة صفحة 129:

اقتباس:

- ( المبعوثون نحو عشرين طالباً وثلاث طالبات محجبات، صافحتهم وتعرفت إليهم.. ولما بدأ الاجتماع رُحّت أتأملهم، كانوا جميعاً شبّاناً متفوقين مجتهدين مثل مئات غيرهم من أعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية، لا أظن أحداً منهم يهتم في الدنيا إلا بدروسه ومستقبله العلمي وزيادة دخله. معظمهم متدينون، على وجوههم علامات الصلاة وبعضهم مُلتح.. إنهم في الغالب يفهمون الدين على أنه صلاة وصوم وحجاب. )

وهل هناك في الدنيا أكثر من ذلك التدين والتفوق ، الاجتهاد الذي  
يشرف المرء ووطنه؟!..

لا أفهم ما يقصده..

وهل يقصد أن الدين ليس صلاة وصوما وحجابا فقط، هذا صحيح.. إنه  
أيضاً علم وعمل ونجاح وتفوق..

لكنهم كذلك فعلاً هؤلاء الطلاب الذين يتحدث عنهم ناجي..

وما هو الدين من مفهومه هو بالضبط؟..

هل الدين في مفهومه يستقر في القلب، ولا يتعلق بسلوك معوج كشرب  
الخمر ومضاجعة النساء؟..

هل هو المثال الذي يُحتذى به في التدين، لا يصلي ولا يصوم ويستغرب  
للمحجبات، لكنه رجل إصلاحي يعمل من أجل حرية الوطن وتخليصه من  
العادات، التي لا يحبها من وجهة نظره، حتى لو كانت هذه العادات لا تمثل  
ضرراً لأحد أبداً..

فلأي شيء يُنادي للإصلاح، وعن أي شيء يُناضل؟!!!..

أهي الحرية التي يفتقدها الشعب المصري كله ؟

حتى لو كان كذلك.. فإن الحرية تعني أن يُمارس الناس دينهم كما أمر  
الله بدون قيود من أحد، أو ضغط على أحد..

فأي حرية يبغيها ناجي عبد الصمد، وأي إصلاح يناضل من أجله..

أعتقد أن هذا المشهد الذي يصفه يُعبر لي على أن هؤلاء الطلاب قد  
وجدوا ملاذهم في الحرية التي تتمتع بها أمريكا، وتحرمهم منها بلادهم..

لذلك قد وجد معظمهم مُلتحين، في أمريكا، لأنهم وجدوا الحرية فيها،  
فلما لا يُطلقوها، وهذا ينطبق على الحجاب أيضاً..

الحجاب الذي يُحارب في البلاد العربية والإسلامية، وتُكفل له الحرية  
في بلاد الغرب..

لحد ما..

لكنه حد أكبر بكثير من الحد المكفول في أوطانهم..

في أول مشاهد التقائه مع الأمريكيين في عُقر دارهم، يمضي إلى تشويه التاريخ الإسلامي أمامهم مُتعمداً فيما يتعلق بالخمير:

اقتباس:

(وسألني:  
- ماذا تشرب؟!  
- نبيذ أحمر.  
- أليس الخمر محرماً في الإسلام؟  
هكذا سألت كارول وهي تفتح الزجاجاة.  
- أنا مؤمن بالله في قلبي.. لست متزمتاً.. كما أن رجال الدين في العراق أثناء حكم الدولة العباسية أباحوا شرب النبيذ.  
عقب جراهام قائلاً:  
- كنت أعتقد أن الدولة العباسية انتهت منذ فترة طويلة!  
- لقد انتهت فعلاً، لكني أحب النبيذ.  
ضحكنا جميعاً..) صفحة 156، 157.

تشملي حيرة بالغة، بخصوص هذا الحوار، وتتصارع في رأسي عنه عدة أسئلة:

هل ناجي مؤمن برجال الدين من زمان، وليس مؤمن برجال الدين في هذا العصر الحالي؟..

وهل هو مؤمن برجال الدين الذين كانوا في العراق، ولا يؤمن برجال الدين الذين كانوا في مصر؟!..

وهل هو مؤمن بالله في قلبه فقط؟!..

وهل يكفي ذلك في حقيقة الأمر؟!، وهو المُتعلّم والواعي، والسياسي البارع..

أليس من الصواب أن يدعم القلب القالب، ويدعم القالب القلب..

وفي رأيي أنها حجج واهية يسوقها ناجي لتبرير حبه المريض للخمير والنبيذ.. فلا داعي لتبرير الإثم على حساب تشويه التاريخ والعبث به..

ومن كلماته التي استفزتني، وجعلتني أشعر بأن المؤلف لا ينتمي لثقافة الشرق أو لدين الإسلام، أو أنه جاهل يردد حكايات الزمن الجميل في الأفلام، قوله على لسان السياسي الثائر:

### اقتباس:

- لا بأس بكأس من النبيذ !  
- ألا تحب الفودكا ؟!  
- لا أشرب سوى النبيذ..  
- عملاً بنصيحة رجال الدين العباسيين ؟!  
- أنا فعلاً أحب العصر العباسي وقد قرأت عنه كثيراً، ربما يكون حبي للنبيذ محاولة لاسترجاع العصر العربي العظيم الذي ضاع. بالمناسبة.. ما رأيك لو تفعل مثل هارون الرشيد؟  
- ماذا فعل؟  
- من مفارقات التاريخ أن هارون الرشيد، بالرغم من قدرته على قطع رأس أي شخص بإيماءة واحدة منه إلى مسرور السيف، كان في نفس الوقت إنساناً خجولاً رقيقاً، حريصاً إلى أبعد حد على مشاعر الآخرين.. وكانت لديه عصا يضعها بجواره إذا جلس يشرب مع أصدقائه، فإذا تعب وأراد منهم أن ينصرفوا، كان يضع العصا على ساقيه فيفهمون عندئذ أن السهرة انتهت.. وبهذه الطريقة لا يخرجهم ولا يثقلون عليه.. (صفحة 159)

يقصد بالعصر العربي العظيم الذي ضاع، العصر العباسي..  
ولدي سؤال.. هل بوصفه عظيماً لأن الخمر كان مستباحاً على حد زعمه؟!!..

أظن أن كلامه لو كان صحيحاً فإن سبب ضياعه فعلاً كان لاستباحة الخمر المحرم شرعاً وإجماعاً..

الغريب أن هذا الكلام يصدر في إطار إقرار وحرية شخصية محضة، وليس في إطار مناقشة يتم فيها الطرح والرد.. لكنه يُبين عن قناعة المؤلف الشخصية عنها، والتي يمررها في روايته لتكون صالحة للأخذ والممارسة من قبل القراء..

ثم الكلام بعد ذلك وقصة هارون الرشيد الطريفة، فأظن جازماً أنها مغالطة وتشويه في شخصية عظيمة بهذا القدر في العصر الإسلامي العظيم..

هل شخصية عظيمة مثل هارون الرشيد تجتمع فيه تلك المتناقضات المُخجلة.. القدرة على قطع الرؤوس.. والخجل والرقّة، أثناء فعل مُنكر...!!

## أي سخف وعبث ذاك؟!!!

لقد شغلني هذا الأمر للغاية، ولم أستطع قبول التشويه في حاكم عظيم مثل الرشيد، وبحثت وسألت، وفي النهاية قام معي بالبحث دارس في التاريخ، شغله ما شغلني، فكلفته بإعداد ملف عن حقيقة العصر وهذه الشخصية، وبالفعل زودني بهم، فجزاه الله عني وعن الإسلام خيراً جزيلاً، وها هو بحثه وإعداده:

### الحقيقة التاريخية حول شخصيه هارون الرشيد<sup>39</sup>

في هذه السطور لن نتحدث عن سياسة هارون الرشيد أو الحروب التي خاضها، ولكننا سنتحدث عن شخصية تاريخية، بل تُعتبر من أشهر شخصيات الخلفاء العباسيين وأكثرهم ذكراً في المصادر الأجنبية كالحوليات الألمانية على عهد الإمبراطور شارلمان التي ذكرته باسم Aron، والحوليات الهندية والصينية في أقصى المشرق التي ذكرته باسم alun، أما المصادر العربية فقد أفاضت الكلام عنه لدرجة أن أخباره امتزجت فيها حقائق التاريخ بخيال القصص: فهو يُصور لنا أحياناً بصورة الخليفة المُسرف في الترف والملذات، ويُصور أحياناً بصورة الخليفة الورع المتدين الذي تسيل عبراته عند سماع الموعظة، والبطل المجاهد الذي أمضى معظم حياته بين حج وغزو، فكان يحج عاماً ويغزو عاماً، وأنه أول خليفة عباسي قاد الغزو بنفسه.

كذلك كان يُصور بصورة الخليفة الحذر الذي يبث عيونه وجواسيسه بين الناس ليعرف أمورهم وأحوالهم، بل كان أحياناً يطوف بنفسه متكرراً في الأسواق والمجالس ليعرف ما يقال فيها.

والواقع أن هذه الصورة المتباينة للرشيد ما هي إلا انعكاس للعصر الذي عاش فيه بمحاسنه ومساوئه، وهو العصر العباسي الأول أو العصر الإسلامي الذهبي حيث الحضارة والعلم والازدهار والبذخ من جهة، والدسائس والمؤامرات من جهة أخرى. فشخصية الرشيد هنا هي شخصية عصر أكبر مما هي شخصية إنسان.

\*\*\*

### نسبه ومولده

هو أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي العباسي، كان مولده بالري حين كان أبوه

39 المصدر: أ.د/ أحمد مختار العبادي، د/ إبراهيم محمد مرجونه: تاريخ الدولة العباسية.

أميراً عليها وعلى خراسان في سنة ثمان وأربعين ومائة، وأمه أم ولد تسمى  
الخيزران وهي أم الهادي وفيها يقول مروان ابن أبي حفصة:

يا خيزران هناك ثم هناك \*\*\* أمسى يسوس العالمين ابنك

أغزاه أبوه بلاد الروم وهو حدث في خلافته.

### توليه الخلافة

ولي الخلافة بعهد معقود له بعد الهادي من أبيهما المهدي في ليلة السبت  
السادس عشر من ربيع الأول سنة سبعين ومائة بعد الهادي، قال الصولي: هذه  
الليلة ولد له فيها عبد الله المأمون ولم يكن في سائر الزمان ليلة مات فيها خليفة  
وقام خليفة وولد خليفة إلا هذه الليلة وكان يكنى أبا موسى فتكنى بأبي جعفر.

وكان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة، وله نظر جيد في الأدب والفقه،  
قيل إنه كان يصلي في خلافته في كل يوم مائة ركعة إلى أن مات لا يتركها إلا لعدة  
ويتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم.. قال الثعالبي في اللطائف قال الصولي  
خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار.

وكان يحب المديح ويُجيز الشعراء ويقول الشعر، أسند عن معاوية بن صالح  
عن أبيه قال أول شعر قاله الرشيد أنه حج سنة ولى الخلافة فدخل داراً، فإذا في  
صدر بيت منها بيت شعر قد كتب على حائط:

ألا أمير المؤمنين أما ترى \*\*\* فديتك هجران الحبيب كبيراً

فدعا بدواة وكتب تحته بخطه:

بلى والهدايا المشعرات وما \*\*\* مشى بمكة مرفوع الأطل حسيراً.

ولداود بن رزين الواسطي فيه:

بهارون لاح النور في كل بلدة \*\*\* وقام به في عدل سيرته النهج

إمام بذات الله أصبح شغله \*\*\* فأكثر ما يعنى به الغزو والحج

تضيق عيون الخلق عن نور وجهه \*\*\* إذا ما بدا للناس منظره البلج

تفسحت الآمال في جود كفه \*\*\* فأعطى الذي يرجوه فوق الذي يرجو

وكان يقتفي آثار جده إلا في الحرص.

وقال محمد بن علي الخرساني الرشيد أول خليفة لعب بالصوالة والكرة ورمى النشاب في البرجاس، وأول خليفة لعب بالشطرنج من بني العباس.

قال الجاحظ اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره وزراؤه البرامكة وقاضيه القاضي أبو يوسف، وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه العباس بن محمد عم والده، وحاجبه الفضل بن الربيع أتيه الناس، ومغنيه إبراهيم الموصلي، وزوجته زبيدة.

\*\*\*

#### خلافة هارون الرشيد

(170 - 193 هـ / 788 - 810 م)

لقد سار الرشيد في إدارته على نهج قويم، وأعاد إلى الخلافة مجدها الذي كان لها على عهد جده المنصور، وما كان مسرفاً ولا بخيلاً، وسمى الناس أيامه "أيام العروس" لنضارتها وكثرة خيرها وخصبها، وكانت دولته من أحسن الدول وأكثرها وقاراً ورونقاً وأوسعها مملكة، واتسعت الدولة الإسلامية في عهد الرشيد، وجاءه الخير من كل مكان، وعين الرشيد يحيى بن خالد البرمكي، وجعله كبير وزرائه، وقال له: قد قلدتك أمر الدولة، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وأمض الأمور على ما ترى. وسلم إليه خاتم الخلافة.

\*\*\*

#### إدارة حكيمة

أما الولايات فقد فوضها إلى أمراء جعل لهم الولاية على جميع أهلها، ينظرون في تدبير الجيوش والأحكام، يعينون القضاة والحكام، ويجبّون الخراج، ويقبضون الصدقات، ويقلدون العمال فيها، ويحمون الدين، ويقيمون حدوده، ويؤمّنون الناس في صلاة الجمعة، الصلوات الأخرى أو يستخلفون عليها، فإذا كانت أقاليمهم ثغراً متاخماً للعدو تولوا جهاده.

وما قسمت أعمال الدولة منذ انتقالها إلى بني العباس تقسيمها في زمن الرشيد، ولذلك كان للخليفة وقت ليحج، ووقت ليغزو، ووقت ليصطاف في الرقة، ويترك قصر الخلد في بغداد.

لقد كان الرشيد على أشد ما يكون من الانتباه لكل ما صغر وكبر من شئون الملك، ومن أشد الملوك بحثاً عن أسرار رعيته، وأكثرهم بها عناية، وأحزمهم فيها أمراً؛ لذلك فما اشتعلت فتنة في أرجاء دولته إلا أطفأها.

وألقى الرشيد العُشْر الذي كان يُؤخذ من الفلاحين والمزارعين بعد النصف، وكان رحمه الله يسدُّ كل خللٍ في مملكته، ويهتمُّ كل الاهتمام بما يخفف عن الفلاحين.

وقد ولَّى الرشيد رجالاً بعض أعمال الخراج، فدخل عليه يودعه، وعنده يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، فقال الرشيد ليحيى وجعفر: أوصياه. فقال له يحيى: وفر وعمر. وقال له جعفر: أنصف وانتصف. فقال له الرشيد: اعدل وأحسن.

وكتب الرشيد إلى أحد عماله: أجر أمورك على ما يكسب الدعاء لنا لا علينا، واعلم أنها مدة تنتهي، وأيام تنقضي، فأما ذكر جميل، وإما خزي طويل. ومما يعد جديداً في تعظيم الحكم أن قاضي الرشيد "أبا يوسف" صاحب أبي حنيفة وتلميذه كان أول من دُعي في الإسلام قاضي القضاة (وزير العدل الآن)، وكان الرشيد لا يبخل بالمال في سبيل الدولة، وقد خلف من المال - على كثرة بذله - ما لم يخلف أحد مثله منذ كانت الخلافة.

قال ابن الأثير: كان الرشيد يطلب العمل بآثار المنصور إلا في بذل المال، فإنه لم يُر خليفة قبله كان أعطى منه للمال، وكان لا يضيع عنده إحسان محسن، ولا يؤخر عنده.

\*\*\*

#### سياسة رشيدة:

وكذلك كان الرشيد حكيماً في سياسته كما كان حكيماً في إدارته، لقد بُيع للرشيد عند موت أخيه الهادي، وكان أبوهما قد عقد لهما بولاية العهد معاً، ويروى أن الهادي قد حدثته نفسه بخلع الرشيد، وجمع الناس على تقليد ابنه العهد بعده، فأجابوه، وأحضر "هرثمة بن أعين"، ف قيل له: تباع يا هرثمة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، يميني مشغولة ببيعتك، ويساري مشغولة ببيعة أخيك، فبأي يد أبيع؟

فقال الهادي لجماعة الحاضرين: شاهت وجوهكم، والله لقد صدقني مولاي، وكذبتُموني، ونصحني فغششتُموني، وسلم إلى الرشيد بحقه في الولاية بعده.

وكانت سياسة الرشيد سياسة رشيدة في الداخل والخارج، غزا الروم حتى وصل إلى "إسكدار" من ضواحي "القسطنطينية" أيام ولايته العهد، وتغلغل مرة ثانية في بلادهم وغزاهم في خلافته بضع غزوات، وأخذ منهم "هرقلية"، وبعث إليه ملكهم بالجزية عن شعبه، واشترط عليه الرشيد ألا يعمر هرقلية، وأن يحمل إليه في السنة ثلاثمائة ألف دينار.

\*\*\*

### العصر الذهبي

وكان "نقفور" قد نقض العهد الذي أعطته الملكة "إريني"، التي كانت تحكم الروم قبله، وأرسل إلى هارون الرشيد رسالة يهدده فيها: "من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب: أما بعد؛ فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرّخ (طائر خرافي يعرف بالقوة)، وأقامت نفسها مقام الببّدق (يعنى مقام الضعيف)، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أضعافه إليها، لكن ذلك لضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا، فاردد ما حصل لك من أموالها، وافد نفسك بما تقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك".

فلما قرأ الرشيد الرسالة غضب غضباً شديداً حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه، فدعا بدواة وكتب إلى نقفور ملك الروم ردّاً على رسالته يقول:

"بسم الله الرحمن الرحيم: من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه، والسلام".

وقاد بنفسه جيوشاً جرارة، ولقّنه درساً لا يُنسى، فعاد إلى أداء الجزية صاغراً، بعد أن خضع أمام قوة المسلمين وعزة نفوسهم.

وجاء في فتوح البلدان للبلاذري: "وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو، ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً، وأقام من الصناعة (الأسطول) ما لم يقم قبله، وقسم الأموال في الثغور والسواحل، وهزم الروم وقمعهم".

وسمي الرشيد "جبار بنى العباس"؛ لأنه أخرج ابنه القاسم للغزو سنة 181هـ، فهزم الروم هزيمة منكرة، أدخلت الرعب في قلوبهم، فصالحه الروم على أن يرحل عنهم في مقابل أن يعيدوا إليه كل من أسروهم من المسلمين قبل ذلك، وكان هذا أول فداء في الإسلام بين المسلمين والروم.

وأرسل "على بن عيسى بن ماهان" لغزو بلاد الترك، ففعل بهم مثلما فعل القاسم بن الرشيد بالروم، وسبى عشرة آلاف، وأسر ملكين منهم. ثم غزا الرشيد نفسه الروم وافتتح هرقلية، وأخذ الجزية من ملك الروم.

وتوطدت الصّلات بينه وبين "شارلمان" ملك فرنسا وجرمانيا وإيطاليا وتبادلا السفراء، والهدايا.

وفى أيامه، خرج "الوليد بن طريف الحروري" من رءوس الخوارج سنة 178هـ/ 795م، فقتل بعد أن استفحل أمره.

لقد كان عصر الرشيد وابنه المأمون أرقى عصور بنى العباس قوة وعظمة وثقافة، وهو العصر الذهبي للدولة العباسية.

\*\*\*

### القضاء على البرامكة

وقد تحدثت الدنيا عن نكبة "البرامكة" الذين كان منهم وزير الرشيد، وكانت لهم الكلمة العليا في البلاد على يديه سنة 187هـ/ 803م، بعدما ظهروا ظهوراً غطى أو قارب أن يغطي على سلطة الرشيد ومكانته، وهو الخليفة.

لقد أصبحوا مركزاً من مراكز القوى في الدولة العباسية، الأمر أمرهم، والكلمة كلمتهم، والأموال في أيديهم، فما منعهم ذلك لأن يفسد حالهم، ويسوء سلوك أكثرهم، حتى إن الرشيد كان لا يمر ببلد أو إقليم أو مزرعة أو بستان إلا قيل: هذا لجعفر بن يحيى بن خالد البرمكي. كما قلده في إنفاق الأموال والعطايا والمنح. وضاق الرشيد بالبرامكة، وعزم على أن يقضي عليهم، وتكون نكبتهم على يديه، ونودي في بغداد: لا أمان للبرامكة إلا محمد بن خالد بن برمك وولده؛ لإخلاصهما للخليفة.

وكان منهم الوزراء والقادة وأصحاب الرأي، وكانوا من أصل فارسي، فلما حدث منهم ما حدث، امتنع الرشيد عن الوثوق بهم، واختار وزراءه ومستشاريه من العرب، وجعل الفضل بن الربيع الذي كان أبوه حاجباً للمنصور والمهدي والهادي وزيراً له.

وكان الفضل بن الربيع شهماً خبيراً بأحوال الملوك وآدابهم، فلما ولى الوزارة جمع إليه أهل العلم والأدب. وما زال الفضل ابن الربيع على وزارته حتى مات الرشيد سنة 193هـ/ 809م.

\*\*\*

### العامّة، وهارون الرشيد

تبقى كلمة لابد من قولها عن هارون الرشيد: فقد ارتبط اسم هارون الرشيد في أذهان العامة بحكايات ألف ليلة وليلة، باللهو والمجون، وما كانت هذه حقيقة الرجل من قريب أو بعيد، وإنما عمد المستشرقون والمستهترون إلى تشويه صورة الرجل، لكي تبدو صورة الخلافة الإسلامية مشوهة، وأن المسلمين قوم لا همّ لهم إلا إشباع غرائزهم، لا يصلحون لقيادة الأمم وعمارة الأرض.

أما حقيقة هارون الرشيد، الذي أعز الله به الإسلام والمسلمين، وأذل به أعداء الدين، فهو مسلم حق، وعابد، ومجاهد بنفسه وماله في سبيل عزة هذا الدين وإعلاء كلمة الله في أرضه.

كان الرشيد يكثر من صلاة النافلة إلى أن فارق الدنيا، وكان يتصدق وينفق على الحجيج من صلب ماله، وكان يحب الشعر والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، ويسرع الرجوع إلى رحاب الحق إذا ذكر. حدث أنه حبس أبا العتاهية الشاعر، ووكل به رجلاً يكون قريباً منه لينظر ما يقول ويصنع، فكتب أبو العتاهية على الحائط:

أما والله إن الظلم لـؤم وما زال المسيء هو الظلوم

إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصوم

فجاء الرجل فأخبر هارون الرشيد، فبكى الرشيد، وأطلق أبا العتاهية واعتذر إليه واسترضاه.

وحج ذات مرة، فرآه الناس وقد تعلق بأستار الكعبة يقول: "يا من يملك حوائج السائلين، ويعلم ضمير الصامتين، صلّ على محمد وعلى آل محمد، واغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا؛ يا من لا تضره الذنوب، ولا تخفى عليه العيوب، ولا تنقصه مغفرة الخطايا، صلّ على محمد وعلى آل محمد، وخره لي في جميع أموري. يا مَنْ خشعت له الأصوات بأنواع اللغات، يسألونه الحاجات، إن من حاجتي إليك أن تغفر لي ذنوبي إذا توفيتني، وصيّرت في لحدي، وتفرق عني أهلي وولوا؛ اللهم لك الحمد حمداً يفضل كل حمد، كفضلك على جميع الخلق؛ اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون له رضا، وصلّ عليه صلاة تكون له ذخراً، واجزه عنا الجزاء الأوفى. اللهم أحيينا سعداء، وتوفنا شهداء، واجعلنا سعداء مرزوقين، ولا تجعلنا أشقياء مرجومين".

هذا هو هارون الرشيد، الصورة المضيئة لخليفة المسلمين. والمسلم المحتذى به في الأمور، ويكفيه شرفاً أنه ما مات حيث مات إلا وهو خارج إلى الرى في موكب الجهاد لنشر الدين وحماية أرض الإسلام، فرحمة الله عليه.

ويأتي بعد عصر الرشيد عصرًا ولديه الأمين والمأمون.

\*\*\*

هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه

هو أكثر من تعرض تاريخه للتشويه والتزوير من خلفاء الإسلام، مع أنه من أكثر خلفاء الدولة العباسية جهاداً وغزواً واهتماماً بالعلم والعلماء، وبالرغم من هذا أشاعوا عنه الأكاذيب وأنه لا هم له سوى الجوارى والخمر والسكر، ونسجوا في ذلك القصص الخرافية ومن هنا كان إنصاف هذا الخليفة واجب على كل مؤرخ مسلم.

ومن المؤرخين الذين أنصفوا الرشيد "أحمد بن خلكان" الذي قال عنه في كتابه وفيات الأعيان: "كان من أنبل الخلفاء وأحشم الملوك ذا حج وجهاد وغزو وشجاعة ورأي"

وكتب التاريخ مليئة بمواقف رائعة للرشيد في نصرة الحق وحب النصيحة وتقريب العلماء لا ينكرها إلا جاحد أو مزور، ويكفيه أنه عُرف بالخليفة الذي يحج عاماً ويغزو عاماً.

\*\*\*

### حبه للعلماء

وكان الرشيد يحب العلماء ويعظم حرمان الدين ويبغض الجدل والكلام، وقال القاضي الفاضل في بعض رسائله ما أعلم أن لملك رحلة قط في طلب العلم إلا للرشيد، فإنه رحل بولديه الأمين والمأمون لسماع الموطأ على مالك رحمه الله.

ولما بلغه موت عبد الله ابن المبارك حزن عليه، وجلس للغزاء فعزاه الأكابر.

قال أبو معاوية الضرير ما ذكرت النبي صلى الله عليه وسلم بين يدي الرشيد إلا قال صلى الله عليه وسلم: "وددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيى ثم أقتل فبكي حتى انتحب"

وعن خرزاذ العابد قال حدث أبو معاوية الرشيد بحديث احتج آدم وموسى، فقال رجل شريف: فأين لقيه، فغضب الرشيد، وقال: النطع والسياف زنديق يطعن في الحديث، فما زال أبو معاوية يسكنه ويقول بادرة منه يا أمير المؤمنين حتى سكن.

وعن أبي معاوية الضرير قال صب على يدي بعد الأكل شخص لا أعرفه، فقال الرشيد: تدري من يصب عليك، قلت: لا. قال: أنا إجلالاً للعلم.

وكان العلماء يبادلونه التقدير، روي عن الفضيل بن عياض أنه قال: ما من نفس تموت أشد علي موتاً من أمير المؤمنين هارون، ولوددت أن الله زاد من عمري في عمره، قال فكبر ذلك علينا، فلما مات هارون وظهرت الفتن وكان من المأمون ما حمل الناس على القول بخلق القرآن قلنا الشيخ كان أعلم بما تكلم.

\*\*\*

### بكاؤه عند سماع الموعظة

قال منصور بن عمار: ما رأيت أغزر دمعاً عند الذكر من ثلاثة: الفضيل بن عياض، والرشيد، وآخر.

وقال عبيد الله القواريري: لما لقي الرشيد الفضيل، قال له: يا حسن الوجه أنت المسئول عن هذه الأمة. وتقطعت بهم الأسباب قال: الوصلة التي كانت بينهم في الدنيا، فجعل هارون يبكي ويشهق.

روى أن ابن السماك دخل على الرشيد يوماً فاستسقى فأتى بكوز، فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين لو منعت هذه الشربة بكم كنت تشتريها، قال: بنصف ملكي، قال: اشرب هناك الله تعالى، فلما شربها قال: أسألك لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها، قال: بجميع ملكي، قال: إن ملكاً قيمته شربة ماء وبوله لجدير أن لا ينافس فيه. فبكى هارون الرشيد بكاءً شديداً.

وقال ابن الجوزي قال الرشيد لشيبيان: عظمي، قال: لأن تصحب من يخوفك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى يدركك الخوف، فقال الرشيد: فسر لي هذا، قال: من يقول لك أنت مسئول عن الرعية فاتق الله أنصح لك ممن يقول أنتم أهل بيت مغفور لكم وأنتم قرابة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم. فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله.

\*\*\*

#### مواقف لا تنسى

في سنة سبع وثمانين ومائة (187) جاء للرشيد كتاب من ملك الروم نقفور بنقض الهدنة التي كانت عُقدت بين المسلمين وبين الملكة ريني ملكة الروم وصورة الكتاب [من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتكم مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيذق فحملت إليك من أموالها أحمالاً وذلك لضعف النساء وحمقهن فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها وإلا فالسيف بيننا وبينك]

فلما قرأ الرشيد الكتاب استشاط غضباً حتى ما تمكن أحد أن ينظر إلى وجهه فضلاً أن يخاطبه وتفرق جلساؤه من الخوف واستعجم الرأي على الوزير، فدعا الرشيد بدواة وكتب على ظهر كتابه: ( بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة والجواب ما تراه لا ما تسمعه ) ثم سار ليومه فلم يزل حتى نزل مدينة هرقل وكانت غزوة مشهورة وفتحاً مبيناً، فطلب نقفور المودعة والتزم بخراج يحمله كل سنة.

وأسند الصولي عن يعقوب بن جعفر قال: خرج الرشيد في السنة التي ولي الخلافة فيها حتى غزا أطراف الروم وانصرف في شعبان فحج بالناس آخر السنة، وفرق بالحرمين مالا كثيراً، وكان رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في النوم، فقال له: إن هذا الأمر صائر إليك في هذا الشهر فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين، ففعل هذا كله.

وأخرج ابن عساكر عن ابن عليّ قال: أخذ هارون الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي؟، قال له: أريح العباد منك. قال فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلها ما فيها حرف نطق به، قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفاً حرفاً.

\*\*\*

### من أعماله في الخلافة

حج غير مرة، وله فتوحات ومواقف مشهودة، ومنها: فتح مدينة هرقلّة، قال المسعودي في "مروج الذهب": رام الرشيد أن يوصل ما بين بحر الروم وبحر القلزم مما يلي الفرما، فقال له يحيى البرمكي: كان يختطف الروم الناس من الحرم وتدخل مراكبهم إلى الحجاز.

وزر له يحيى بن خالد مدة، وأحسن إلى العلوية وحج سنة 173، وعزل عن خراسان جعفر بن أشعث بولده العباس بن جعفر، وحج أيضاً في العام الآتي، وعقد بولاية العهد لولده الأمين صغيراً فكان أقبح وهن تم في الإسلام، وأرضى الأمراء بأموال عظيمة، وتحرك عليه بأرض الديلم يحيى بن عبد الله بن حسن الحسيني وعظم أمره، وبادر إليه الرافضة، فتندك عيش الرشيد واغتم، وجهاز له الفضل بن وزيره في خمسين ألفاً، فخارت قوى يحيى، وطلب الأمان فأجابته ولاطفه، ثم ظفر به وحبسه، ثم تعطل ومات، ويقال ناله من الرشيد أربعمائة ألف دينار.

وفي سنة 175هـ ولي خراسان الغطريف بن عطاء، وولى مصر جعفر البرمكي، واشتدت الحرب بين القيسية واليمانية بالشام، ونشأت بينهم أحقاد وإحن.

وغزا الفضل بن يحيى البرمكي بجيش عظيم ما وراء النهر، ومهد الممالك، وكان بطلاً شجاعاً جواداً، ربما وصل الواحد بألف ألف، وولي بعده خراسان منصور الحميري، وعظم الخطب بابن طريف، ثم سار لحربه يزيد بن يزيد الشيباني، وتحيل عليه حتى بيته وقتله ومزق جموعه.

وفي سنة 179هـ اعتمر الرشيد في رمضان، واستمر على إحرامه إلى أن حج ماشياً من بطن مكة. وغزا الرشيد وتوغل في أرض الروم فافتتح الصفصاف وبلغ جيشه أنقرة. ثم حج سنة ست وثمانين الرشيد بولديه الأمين والمأمون وأغنى أهل الحرمين.

ثم حدثت نكبة البرامكة، إذ قتل الرشيد جعفر بن يحيى البرمكي، وسجن أباه وأقاربه بعد أن كانوا قد بلغوا رتبة لا مزيد عليها.

وفي العام نفسه انتقض الصلح مع الروم وملكوا عليهم نقفور، فيقال إنه من ذرية جفنة الغساني، وبعث يتهدد الرشيد فاستشاط غضباً وسار في جيوشه حتى نازله هرقله، وذلت الروم وكانت غزوة مشهودة، ثم كانت الملحمة العظمى، وقتل من الروم عدد كثير، وجرح النقفور ثلاث جراحات، وتم الفداء حتى لم يبق في أيدي الروم أسير. وبعث إليه نقفور بالجزية ثلاثمائة ألف دينار.

وفي سنة ست وسبعين ومائة فتحت مدينة دبسة على يد الأمير عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح العباسي.

وفي سنة تسع وسبعين ومائة اعتمر الرشيد في رمضان ودام على إحرامه إلى أن حج ومشى من مكة إلى عرفات، وفي سنة ثمانين كانت الزلزلة العظمى وسقط منها رأس منارة الإسكندرية، وفي سنة إحدى وثمانين فتح حصن الصفصاف عنوة وهو الفاتح له، وفي سنة ثلاث وثمانين خرج الخزر على أرمينية فأوقعوا بأهل الإسلام وسفكوا وسبوا أزيد من مائة ألف نسمة، وجرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله مثله.

\*\*\*

#### وفاة الرشيد

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان، ودفن بها في ثالث من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة وصلى عليه ابنه الصالح، قال الصولي: خلف الرشيد مائة ألف ألف دينار، ومن الأثاث والجواهر والورق والدواب ما قيمته ألف ألف دينار وخمسة وعشرون ألف دينار.

وقيل إن الرشيد رأى مناماً أنه يموت بطوس، فبكى وقال احفروا لي قبراً، فحفر له، ثم حُمِلَ في قبة على جمل، وسيق به حتى نظر إلى القبر، فقال: يا ابن آدم تصير إلى هذا، وأمر قوماً فنزلوا فختموا فيه ختماً، وهو في محفة على شفير القبر، ولما مات بُويع لوالده الأمين في العسكر، وهو حينئذ ببغداد، فأتاه الخبر فصلى الناس الجمعة وخطب ونعى الرشيد إلى الناس وبايعوه.

ولأبي الشيص يرثي الرشيد:

غربت في الشرق شمس فلها عيني تدمع

ما رأينا قط شمساً غربت من حيث تطلع

وقال أبو النواس:

جامع بين العزاء والهناء جترت جوار بالسعد والنحس

فنحن في مآتم وفي عرس القلب ضاحكة فنحن في وحشة وفي أنس  
يضحكنا القائم الأمين ويبكىنا وفاة الإمام بالأمس  
بدران بدر أضحى ببغداد في الخلد وبدر بطوس في الرمس

#### المصادر 40

هذا هو إمام المسلمين الخليفة العادل، الذي كان عصره من أعظم  
عصور الإسلام..

فكيف بالله عليكم يكون شارباً للخمر، ويفضح نفسه بين الناس..  
وإن لي رأياً الله يعلم صوابه من خطأه.. وهو أن الرواية التي نثرها  
الراوي في الرواية عن جلسة هارون الرشيد وعصاه هي رواية صحيحة..  
غير أن غير الصحيح هو شربه للخمر هو وأصحابه.. فقد يكون أنه بالفعل  
كان يتعب من مجالستهم، فكانت رواية العصا...  
فعلاً لا يستوعب المرء القصة المُلفقة..

#### اقتباس:

( - أنا خريج طب عين شمس.. لكنني فررت إلى أمريكا هرباً من الاضطهاد !  
اضطهاد؟! )  
- نعم، في أيامي، كان رئيس قسم الجراحة العامة، الدكتور عبد الفتاح بليغ،  
مسلماً مُتشدداً يُجاهر بكراهيته للأقباط.. كان يؤمن بأن تعليم الأقباط الجراحة لا  
يجوز في الإسلام لأنه يُمكن الكفار من التحكم في حياة المسلمين!  
- هذا غريب جداً!  
- لكنه حدث.  
- هل يُمكن أن يُفكر أستاذ جراحة بهذه الطريقة المُتخلفة ؟!  
- ممكن جداً في مصر.  
هكذا قال وهو يُحدق في وجهي بطريقة بدت لي مُستفزة على نحوٍ ما، وتدخل

جراهام قائلاً:

- إلى متى يتعرض الأقباط إلى الاضطهاد وهم أصحاب مصر الأصليون؟  
ساد الصمت لحظة. تطلعت إلى جراهام، وقلت:  
- لقد اختلط العرب بالمصريين منذ 1400 عام، ولا يمكن عملياً أن نتحدث اليوم  
عن أصحاب مصر، كما أن معظم المسلمين المصريين كانوا أقباطاً واعتنقوا  
الإسلام.  
- قصدك أجبروا على اعتناق الإسلام.  
- دكتور جراهام.. الإسلام لم يجبر أحداً على اعتناقه.. وأكبر دولة إسلامية في  
العالم إندونيسيا - لم يفتحها العرب.. وإنما انتشر فيها الإسلام على أيدي التجار  
المسلمين.  
- ألم يتعرض الأقباط إلى مذابح حتى يتحولوا إلى الإسلام؟  
- هذا غير صحيح.. لو أراد العرب ألا يبقى في مصر قبطي واحد لما منعهم أحد  
من ذلك.. لكن الإسلام يأمر أتباعه باحترام عقائد الآخرين.. لا يمكن أن تكون مسلماً  
إلا إذا اعترفت بالأديان الأخرى.  
- أليس غريباً أن تدافع عن الإسلام بهذه الحرارة وأنت سكران؟  
- سُكري موضوع شخصي ليس له علاقة بالمناقشة.. تسامح الإسلام حقيقة  
تاريخية اعترف بها كثير من المُستشرقين الغربيين.  
- لكن الأقباط مضطهدون في مصر !  
- المصريون جميعاً مضطهدون.. النظام في مصر مُستبد وفساد.. وهو يضطهد  
المصريين جميعاً، مسلمين وأقباطاً.. بالطبع تحدث حوادث تعصب فردية هنا وهناك،  
لكنها لا تُشكل ظاهرة في رأيي.. إن التعصب الديني نتيجة مباشرة للكبث السياسي..  
المصريون جميعاً يعانون من التمييز ضدهم ما داموا ليسوا أعضاء في الحزب  
الحاكم.. أنا مثلاً مسلم، لكنهم رفضوا تعييني في جامعة القاهرة بسبب نشاطي  
السياسي... ( صفحة 163، 164.

أعجبني جداً تلك الردود في ذلك المشهد..

لولا الجزء المتعلق بالسُكر بأنه موضوع شخصي، أو أنه حرية  
شخصية..

فالحرية الشخصية أمر يتناقض مع اعتناق المبادئ الدينية.. فالمبادئ  
الدينية في حالة ناجي هي اعتناقه الإسلام، والإسلام له ضوابط وشرائع،  
ومعنى أنه لا يتقيد ببعض تلك الضوابط، فالأمر لا يُعد حرية شخصية، بل  
يسمى ارتكاب كبيرة، ولها كفارات وحدود..

الأمر الذي أدهشني أن يكون النصراني كرم دوس عرف تلقائياً أن  
الأمر مُتناقض للغاية، أن يكون ناجي سكراناً مما يتنافى مع تعاليم الإسلام  
ذات الأهمية القصوى، والحدود المشدد عليها، وهو الأمر الذي لا يُدرکه

ناجي نفسه مع إسلامه.. ومع كلامه عن اعتراف المستشرقين بتسامح الإسلام وعظمته في تعاليمه.. فكأن المستشرقين مع عدم إيمانهم وإسلامهم مقرين ومعترفين بعظمة تعاليم الإسلام، وهو مع أنه مسلم لكنه لا يُقدر تعاليم دينه حق التقدير، بل لا يحترمها، ويؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعضه..

#### اقتباس:

(.. في أغسطس عام 1968 اجتمع الحزب الديمقراطي في شيكاغو من أجل اختيار مُرشحه الجديد لرئاسة الولايات المتحدة، فتظاهر عشرات الألوف من الشباب.. وفي مشهد تاريخي نقلته الكاميرات إلى كل أنحاء العالم، قاموا بإنزال العلم الأمريكي ورفعوا بدلاً منه قميصاً مُلطخاً بالدماء، ثم أحضروا خنزيراً كبيراً، لفوه في علم أمريكا وأجلسوه على منصة عالية وأعلنوا أنهم سينتخبونه كأفضل مُرشح لرئاسة أمريكا!.. وتعاقبت كلمات المديح للمرشح الخنزير من المتظاهرين وسط عاصفة من الهتاف الساخر والصفير والتصفيق. كانت رسالتهم واضحة: إن مؤسسة الحكم نفسها فاسدة من أساسها مَهْمَا تَغير الأشخاص. إن حكام أمريكا يُرسلون أبناء الفقراء إلى الموت في فيتنام حتى تتضاعف أرباحهم بالملايين، على حين يعيش أبناؤهم حياة مُرفهة بعيداً عن الخطر. إن الحلم الأمريكي وهم، سباق بلا نهاية لا يفوز فيه أحد، يندفع خلاله الأمريكيون إلى عمل شاق ومُنافسة ضارية بلا رحمة من أجل الحصول على البيت والسيارة الفارهة والمقر الريفي.. يقضون حياتهم في مُطاردة السراب، ويكتشفون آخر العمر أنهم خُدعوا، وأن نتيجة السباق محسومة قبل أن يبدأ: حفنة من أصحاب الملايين يتحكمون في كل شيء.. نسبتهم إلى عدد السكان لم تزد إطلاقاً خلال خمسين عاماً، على حين أن عدد الفقراء في زيادة مُطرده. كان يوم انتخاب الخنزير تاريخياً بحق، وقد وصلت الرسالة بقوة إلى الرأي العام...)(صفحة 182، 183

أعجبني إبراز المؤلف لزيف الحلم الأمريكي لدى الأمريكيين، والتركيز عليه، لمقارنته بواقع النظام في مصر.. فهو يُظهر زيف الحلم الأمريكي لدى العالم والأمريكيين، وفي الوقت ذاته يقوم بمقارنة بين شعبين وردود أفعالهم إزاء النظام في كلا البلدين..

كما أنه أبرز حقيقة الحروب الأمريكية، وكشف محورها لدى الأمريكيين، وأنها عبارة عن خطة إدارية متسلسلة مهما اختلف الأشخاص في توليها، وسلط الضوء على أن الحروب يكون ضحيتها الفقراء، الجهلة.. لأن أي متظاهر يعف الحقيقة ما كان سيشترك في تلك الحروب، لأنه يفهم الحقيقة، ولن تختلط عليه الشعارات من الواقع المُظلم..

وأن الفقراء لن يخوضوا الحرب إلا لأنهم يُجيدون عملاً يتوافق مع حاجتهم الماسة للعيش.. فهم سواء.. يقاتلون في بلدهم من أجل لقمة العيش، وهم يفعلون نفس الشيء في الميدان..

في حين أن أولاد الأغنياء والمسئولين مُعافين وبعيدين ومُرفهين، ينعمون بزينة الحياة وزهرتها على حساب المجندين الذين يُجابهون الخطر في كل لحظة، ويتعرضون لكل أنواع الأذى بما تفرضه الحرب من قسوة وجفاف وجوع وجروح وخوف وحُتف وهلاك..

#### اقتباس:

(.. وفي عطلة نهاية الأسبوع، تعود جراهام وكارول تلقي تعليقات جارحة من السكرى في الشارع.. من مثل:  
- أبيض وأسود (إشارة إلى نوع الويسكي الشهير) .صفحة 189

هل يفترض المؤلف أننا شعب موسوعي في أنواع الخمر، أم أننا شعب لدينا خبرة في احتساء جميع الخمور بأنواعها المشهورة والنادرة.. وأنها بمجرد تلمیحه سنفهم ذلك الويسكي الشهير لدينا بما أننا شعب يُبيح الخمور ويحتسيه ويتذوقه أيضاً... لا أدري لمن كُتبت هذه الرواية تماماً؟! لأي مجتمع قصد الكتابة له عنه؟!

#### اقتباس:

(- لو كنت أستطيع.. لتزوجتك فوراً!  
- ولماذا لا تستطيع؟  
- مراسم الزواج المدني تذكرني بإجراءات إشهار الشركات التجارية..).صفحة 191

بالطبع هو شخص مُلحد له أفكاره الذي تفوه بتلك العبثيات..  
لو تأملنا، فلن نلبث طويلاً في أن نعترف بأن كل شيء في الدنيا ما هو إلا تجارة، يضم طرفين.. بائع وشاري، طالب ومطلوب، إيجاب وقبول... ناهيك عن أن حتى العلاقة بين الله تعالى وبين العبد هي علاقة تجارة..

يقوم الإنسان بأداء مهمة كلفه الله بها، لغاية اختباره في تحمل الأمانة، ويجزيه الله بعد ذلك بالجنة.. يقول المولى:

((إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {111} ))<sup>41</sup>

ويقول أيضاً:

((إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ {29} لِيُؤْفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ {30} ))<sup>42</sup>

ما فائدة أن يكون للإنسان إذا لم تكن بينهم علاقة تبادلية.. تبادلية بكل صور التبادل، وليس شرطاً إطلاقاً أن تكون العلاقة التبادلية علاقة مادية..

وأعظم صورة للعلاقة التبادلية هي صورة الزوجين.. الذي يتبادلون الحب من أجل الصفاء الروحي، والسعادة الإنسانية، ويتبادلون الجنس، كل طرف يمتع جسده، ويشفي روحه.. يتبادلون المهمات.. هي في بيتها تُراعي الأبناء وتربيهم، وتُجهز الطعام، وتُدخل على البيت الحب والعاطفة والجمال، تستعد لزوجها ترفه عنه، وتهون عليه مشقة الحياة وعنفوانها، وهي خبيرة بفطرتها في ذلك، وهو يخرج ليعمل ويشقى يتبادل بعمله المال الذي يصرف به على زوجته وأولاده ومعيشتهم جميعاً...

علاقات تبادلية متوازنة..

لذلك صدق جورج مايكل عندما وصف تلك الشخصية بأنها فوضوية.. لأن الفوضى تعم الأرض كلها إذا نزعنا تلك العلاقة المتزنة التي تقوم على طرفين يحتاج كل منهما للآخر..

وتلك هي مؤسسة الزواج الرفيعة.. شركة تجارية رفيعة.. حيث يؤدي كل شخص دوره المطلوب منه بانسجام راقٍ.. بدون جور، وبدون تعسف، وبدون إححاف لأي من الطرفين.. فتستقيم الحياة بشكل تجاري ناجح.. يدعم كل طرف فيها الآخر..

41 [التوبة]

42 [فاطر]

المشكلة أن المجتمع الأمريكي يُصنفون التجارة بأنها معاملة مادية واقتصادية بحتة.. ولا يفهمون أنها قانون رباني يسري في الأرض بكل صوره الإيجابية والسلبية في ذات الوقت..

### اقتباس:

( - ألا تزال لديك رغبة في الشراب ؟ أنا مُتعب جداً من سَكْرَةِ الأَمْسِ .  
- وأنا أيضاً .. ولكن كأساً واحدة أو اثنتين ستجعلاني على ما يُرام .. هذه طريقة معروفة للقضاء على صُدَاع الخمر .. أن تشرب قليلاً في اليوم التالي . قال أبو نواس : "وداوني بالتي كانت هي الداء" .  
سحب الدكتور كرم ورقة من على المائدة وأخرج من جيبه قلماً ذهبياً وقال :  
- أليس أبو نواس هو الشاعر الذي اشتهر بالخمر في العصر العباسي ؟  
- بالضبط .  
- هل يمكنك تكرار هذا البيت ؟ أريد أن أكتبه . ) .صفحة 211

وكأنهم يتخذون العبرة والحكمة والقذوة من الصحابي الجليل أبو نواس  
..!!!

### معلومات عن أبو نواس لتصحيح المفاهيم، حتى لا تختلط..

(( كان واحداً من شعراء الطبقة الأولى، ولكنه أكثر في نظم الشعر المتعلق بوصف الخمر، فعرف أبو نواس بشاعر الخمر فكان لا ينافس شاعر آخر في وصفه لها.

وقد أخذ عليه الكثيرون عبثه ومجونه وانصرافه للخمر على الرغم من جودة شعره، إلا أن الخمر قد أذهب عقله فما يكاد يفيق منها حتى يرجع لها مرة أخرى، إلا أنه أتجه إلى الزهد في أواخر حياته فقال البعض انه تاب عما كان فيه وقد أنشد عدد من الأشعار التي تدل على ذلك.

نشأ أبو نواس بالبصرة وفيها تلقى العلم على يد كبار العلماء في اللغة والنحو وغيرها، ثم رحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، وقام بمدح عدد منهم وخرج إلى دمشق وهناك اتصل بعدد من شعرائها، ثم رحل إلى مصر فمدح أميرها، وعاد إلى بغداد مرة أخرى، فأقام بها إلى أن توفي فيها في عام 198هـ - 813 م.

كانت تتسم حياة أبو نواس باللهو والمجون وأكثر شعره كان في وصف الخمر، وقد اتهم بالزندقة وتم حبسه بواسطة الخليفة الأمين، نتيجة لمجونه وفسقه.

قال عنه الجاحظ "أن شعره يصل للقلب دون استئذان"، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله "لولا مجون أبي نواس لأخذت العلم منه"، وقال ابن منظور "كان أبي نواس عالماً بكل فن، وكان الشعر اقل بضاعته".

وعلى الرغم من فجور أبو نواس ومجونه إلا أنه كانت له إحدى القصائد الهامة التي قالها في طوافه بالبيت الحرام أثناء الحج والتي قال فيها:

هَـنَا مَا أَعْدَلُكَ ... مَلِيكَ كُلِّ مَنْ مَلَكَ  
لَبَّيْكَ قَدْ لَبَّيْتُ لَكَ ... لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ  
وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ... مَا خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكَ  
أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَأَلَكَ ... لَوْلَاكَ يَا رَبُّ هَلْكَ  
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ ... وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ  
كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلِكٍ ... وَكُلُّ مَنْ أَهَلَكَ  
وَكُلُّ عَبْدٍ سَأَلَكَ ... سَبَّحَ أَوْ لَبَّى فَلَكَ  
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ ... وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ  
وَاللَّيْلَ لَمَّا أَنْ حَلَكَ ... وَالسَّابِحَاتِ فِي الْفَلَكَ  
عَلَى مَجَارِي الْمُنَسَّلِكَ ... لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ  
وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ ... إِعْمَلْ وَبَادِرْ أَجَلَكَ  
وَاخْتُمْ بِخَيْرِ عَمَلِكَ ... لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكَ  
وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ

وشعر آخر نظمه يدل على ندمه قال فيه:

يَا رَبَّ إِن عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ  
إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَبِمَنْ يَلُودُ وَيَسْتَجِيرُ الْمُجْرِمُ  
أَدْعُوكَ رَبَّ كَمَا أَمَرْتَ تَضَرُّعاً ... فَإِذَا رَدَدْتَ يَدِي فَمَنْ ذَا يَرْحَمُ

مَا لِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَاءُ ... وَجَمِيلُ عَفْوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسْلِمٌ ))

فهذا يدل على أن الهوس بالخمير في العصر العباسي لم يكن عاماً، ولم يكن ممتداً للمسئولين ولا للخلفاء كما يُلَمَح المؤلف.. بل كان محدوداً، وبشكل فردي..

ولا أدري ما هو غرام المؤلف بتفاصيل الخمر بأنواعها وآثارها، وكذا تفاصيل المخمورين في التاريخ على مر العصور في الرواية !!..

اقتباس:

( منذ أنشأت شيكاغو لم تنقطع هجرة الزوج إليها. مئات الألوف هربوا من العبودية في ولايات الجنوب، جاءوا إلى شيكاغو يدفعهم حلم أن يكونوا مواطنين أحراراً لهم كيان وكرامة. التحقوا بالعمل في المصانع، وعملت زوجاتهم خادماً في البيوت وجليسات أطفال، وسُرعان ما اكتشفوا أنهم استبدلوا قيود العبيد الحديدية بقيود أخرى غير مرئية لا تقل قسوة.. فمنذ عام 1900 لم يُسمح قطّ للسود بالحياة إلا في جنوب المدينة، حيث تجمعت السلطات إنشاء المساكن الرخيصة للفقراء، وقد عجز السود عن الانتقال إلى أحياء أفضل لأنهم فقراء، ولأنه لم يُسمح لهم مطلقاً بالخروج من الجيتو؛ فعلى مدى أكثر من مائة عام لم يفتر لحظة ذلك النفور الراسخ كالعقيدة لدى البيض من مساكنة السود، والذي يصفه علم النفس الأمريكي بمصطلح **NEGROPHOBIA** "الخوف من الزوج".. وقد باءت بالفشل كل المحاولات العفوية والمتعمدة لاختراق الحاجز.. ففي يوم 27 يوليو من عام 1919، بلغ الجو في شيكاغو درجة من الحرارة دفعت صبيّاً أسود في السابعة عشرة يُدعى يوجين ويليامز إلى قضاء اليوم على الشاطئ في شارع 29. كان الشاطئ مُنقسماً كأي شيء آخر في المدينة، إلى مكان للبيض وآخر للسود، وقد أحس يوجين بانتعاش رائع وهو يُلقي بجسده في المياه الباردة، وظل يسبح ما يقرب من ساعة.. ثم خطر له، لسوء الحظ، أن يختبر قدرته على الغطس، فبدأ يحتجز الهواء في رنتيه ويغوص تحت السطح.. ولأن الإنسان إذا غطس لا يستطيع تحديد اتجاهه بدقة، أخرج يوجين رأسه من تحت الماء وفتح عينيه فاكشف أنه قد عبر الحاجز وأصبح في المكان المُخصص لسباحة البيض!.. سمع صياحاً غاضباً يتصاعد حوله، وقبل أن يتمكن من الفرار من حيث أتى، أمسك به السباحون البيض وقد أعماه الغضب من جراء تدنيس مياههم الإقليمية.. ظلوا يشتمونه ويضربونه، لكموه في بطنه ووجهه بكل ما أوتوا من قوة، ثم استعمل بعضهم مجاديف خشبية انهالوا بها على رأسه حتى مات، فآلقوا به على الشاطئ.. وازداد الأمر سوءاً عندما رفض رجال البوليس البيض بإصرار أن يُلقوا القبض على القتلة أو حتى يحققوا معهم!.. وشهدت شيكاغو على مدى ستة أيام صراعات عنصرية مروعة بين البيض والسود أدت إلى مقتل 38 شخصاً وإصابة وتشريد المئات.. وظلت ذكرى الصبي يوجين ويليامز بمثابة عبرة قوية لكل من تُسول له نفسه كسر الحاجز. وفي عام 1966، في خضم حركة الحقوق المدنية التي اندلعت ضد العنصرية وحرب فيتنام، وصل إلى شيكاغو الزعيم الأسود الشهير مارتن لوثر كينج وقاد مسيرة كبيرة من عشرات الألوف من السود، اخترق بها أحياء البيض. كان مارتن لوثر كينج يريد أن يبعث برسالة حب وإخاء مسيحية، ويُعلن في نفس الوقت أن الأوضاع العنصرية لم تعد تُحتمل، لكن النتيجة كانت عنيفة وحبطية، فقد تصدى السكان البيض للم مسيرة بوحشية.. ألقوا على المتظاهرين بكل ما وجدوه في متناول أيديهم، بدءاً من البيض النقي والطماطم الفاسدة وحتى الحجارة والهرارات، ثم أطلقوا الرصاص بغزارة مما أدى إلى إصابة الكثيرين من السود.. ولم يلبث الزعيم مارتن لوثر كينج نفسه، بعد ذلك بشهور، أن لقي مصرعه برصاص المتعصبين.

وفي عام 1984 استطاع زوجان من السود أن يحققا ثروة، فاشتريا منزلاً في ضاحية للأثرياء البيض، وجاءتهما الإجابة فوراً.. تحرش بهما البيض وألقوا عليهما الحجارة مما أدى إلى إصابتهما بجروح بالغة، ثم تمادى الجيران الغاضبون فأحرقوا الجراج ثم المنزل الجديد بأكمله مما أدى بالزوجين إلى الفرار. وتكررت نفس الحادثة مع زوجين آخرين من السود في نفس العام، وكانت النتيجة أكثر مأساوية!.. وهكذا، على مدى تاريخ شيكاغو، ظل الحاجز العنصري بمثابة صخرة الحقيقة الصلبة، لا يمكن تجاهلها أو تفاديها.. شمال المدينة يضم أحياء وضواحي راقية تسكنها نخبة من البيض يحققون واحداً من أعلى معدلات الدخل في أمريكا.. أما الجنوب الأسود فيصل فيه الفقر إلى مستويات يصعب تخيل وجودها في أمريكا: تنتشر البطالة والمخدرات وحوادث القتل والسرقة والاغتصاب، وتتدهور مستويات التعليم والصحة، ويتشوه كل شيء حتى مفهوم الأسرة، فينشأ كثير من الأطفال السود في كنف الأم بعد هروب الأب أو قتله أو سجنه...).صفحة 217، 218،

219

### (الفصل 17) من الصفحة 217، إلى الصفحة 219.

أعجبنى للغاية ذكر المؤلف للحوادث العنصرية التي تعرض لها السود في أمريكا المتقدمة خلال المائة سنة الأخيرة، وفيها تظهر عنصرية أمريكا المتمثلة في السكان البيض الذين احتلوا أمريكا وقتلوا سكانها الأصليين، ثم ها هم يتعصبون لجنسهم على أجناس أخرى تحمل بشرة سوداء أو صفراء أو حمراء.. وأنه برغم تقدم أمريكا وحضارتها (المؤقتة) لديها نزعة مقبلة هي العنصرية والغلظة والكبر..

وإن كنت أتمنى عزو تلك القصص التاريخية إلى مصدر موثق، يمكننا التثبت منه.. ولو في الهامش مثلاً..

مشهد الجنس بين جيف وسارة في الصفحة 224-225، حينما كان رأفت والد سارة يُراقبهما من ثغرة من خلال النافذة الخلفية لمنزل جيف..

أعتقد أن المشهد فوق أنه جنس فاضح ومُفصل لسكرانين بطريقة شاذة ومُقرزة للغاية، مشهد طويل جداً ومُبالغ فيه كتابةً.. كيف يُمكن لأب أن يتحمل مُشاهدة ابنته تشم مسحوقاً أبيض، لن يقع في حسابان أي شخص إلا أنه مخدران وهروين وما شابه؟!..

ثم كيف يحتمل بعد ذلك أن يُشاهد ابنته وهذا الوغد يعبث في جسدها ببطء، ثم تميل عليه تعبث في جسده برفق؟.. أليس هذا أطول من اللازم؟..

لن يقع في ظني إلا احتمالين..

إما أن رأفت أثاره المشهد جنسياً، فتاه فيه وسكر مدة من الزمن لم يعيها، ثم انتبه على أن أحد الطرفين هي ابنته..

وإما أن الكاتب أراد أن يُطيل المشهد لعمل جذب غريزي للمتلقي.. وفي هذه الحالة أرى أنه استعمل وسيلة غير شريفة لجذب المتلقي، والاحتيال عليه باستغلال غريزته نحو الجنس.. وهذا أرخص عمل يُمكن أن يفعله كاتب فنان.. للأسف..

اقتباس:

( كانت حركته المفاجئة قد أذهلتها، فاستغرقت لحظة حتى استوعبت وانتفضت مبتعدة عنه، لكن تلك اللحظة دفعت بها إلى مجال لم تطأه من قبل.. منطقة سرية مختلسة محملة بأحاسيس شائكة لذيدة لم تعرفها إلا في أحلامها المحرمة ) .صفحة

226

كيف دفعت بها تلك اللحظة إلى مجال لم تطأه من قبل، المنطقة السرية المختلسة المحملة بالأحاسيس الشائكة اللذيدة التي لم تعرفها إلا في أحلامها المحرمة، وقد ذكر المؤلف في بداية الرواية أن رغباتها الأنثوية تلح عليها حتى تؤلمها وتجعلها متقلبة المزاج سريعة البكاء، ولا يُخفف من توترها إلا أحلامها المحرمة مع كاظم الساهر، ونوبات تلذذها المختلس بجسدها العاري (التي تندم بعدها كل مرة وتصلي ركعتين نوبة نصوحة لله، لكنها لا تلبث أن تعاود) صفحة 15..

تلك ثغرة، وبرغم أنها متناقضة من ضمن تصرفات وسلوكيات شيماء المتناقضة.. إلا أنها تربك القارئ، وتجعله أمام شخصية مهزوزة، مشوشة فنياً..

اقتباس:

( انطلقت في ذهنها فوراً تحذيرات أمها وأنها صفارات الإنذار، كلماتها الصارمة التي سمعتها ألف مرة منذ فاجأتها الدورة الشهرية أثناء حصّة الجغرافيا في الصف الأول الإعدادي :

"الرجال يا شيماء لا يريدون إلا جسد المرأة، وهم يفعلون كل شيء من أجل الحصول عليه.. الشبان يغوون البنات بكلمات معسولة، يُوهمونهن بالحب حتى يقضوا وطرهم منهن.. جسمك شرفك يا شيماء وشرف أبيك، جسمك كرامتنا جميعاً، إذا فرطت فيه سنعيش طوال العمر أذلاء مُنكسي الرؤوس.. جسمك أمانة وضعها ربنا سبحانه وتعالى في يديك لتحافظي عليه سليماً طاهراً حتى تُسلميه لمن يتزوجك على سنة الله ورسوله..). صفحة 227

وكان والد شيماء نفسه ما كان يريد والدتها إلا لقضاء وطره منها، بحكم تعميم الوالدة لمعشر الرجال، واندراج والدها تحت مسمى الرجال.. هذا المقطع في الرواية يبدو رائعاً جداً.. نصيحة أم لابنتها غاية في الحكمة والحصافة..

لكن لي عليه بعض الملاحظات..

أولاً أنها وجهت شرف الفتاة إلى البورة التي تُجيز الحمل، باعتبار أن جسدها وسيلة إليه.. حيث أن جسدها هو هو قبل الدورة الشهرية، وبعدها.. فما الفارق؟..

وكان الدورة الشهرية هي العلامة، التي تُبين للأهل أنها جاهزة للحمل، لذلك الأم حذرتها من الشباب الذين يريدون قضاء وطرهن منها بخلفية جسدها، الذي سيستعمل لذلك، ولن يكثرثوا لحمل بقدر ما يُسبب الحمل للأهل العار والذل..

وكان هذا يعني أنه يتحدث عن الشرف ويحصره في البورة التي تؤدي إلى الحمل، كأن هذه البورة هي الأمانة فقط، وأن جسدها الوسيلة إليها، ولما كان في الماضي قبل مجيء الدورة الشهرية، فإن جسدها مهما كان فائراً وشهياً فلن يكون مهماً أن تتلقى النصيحة لأنه حتى لو تعرضت من أحد الشباب ليقضي وطره منها، فلن يحدث الحمل، وبالتالي لن يحدث العار والذل..

ويعني هذا أنها لم تكن تنصحها بدافع من حمايتها طفلةً وناضجة، وإنما بدافع من الخوف من العار والذل إذا ترتب على دورتها الشهرية حصول الحمل..

ثانياً.. الأ حذرتها من أن الشباب يغوون البنات بكلمات معسولة،  
يُوهمونها بالحب حتى يقضوا وطرهم منهن.. في حين أن هذا يتعارض مع  
هذا المقطع:

اقتباس:

( بعد قليل فكرت بهدوء:  
"بالرغم من أنه ارتكب خطأ فاحشاً وحاول أن يحتضنها، فإنه - من ناحية أخرى  
- قد صارحها بحبه، ومعنى ذلك أنه يحترمها ويريد أن يتزوجها" .. ).صفحة 227

فما أدراها بأنه يريد الزواج منها، فضلاً عن أنه يحترمها؟..  
ما أدراها أن محاولات طارق للتقرب منها ومصارحته لها بالحب هي  
إحدى محاولاته لفعل أي شيء من أجل الحصول على وطره منها؟..  
مَن أدراها أن يُوهمها بالحب - كما حذرتها والدتها - ليقضي وطره منها  
؟.. وهذا ما حصل فعلاً بعد ذلك..  
فلا يعني هذا أنها استعادت قواعد والدتها التي نشأت عليها.. ولا مكان  
لرضاها.. وأن تفكيرها الهادئ بعد ذلك مجرد هُراء غير منطقي، ليتخذ  
مسار الجنس مكانه الصُراح بعد ذلك في الرواية..

وإكمالاً لملاحظاتي على نصيحة والدتها، فلقد قالت الوالدة:

اقتباس:

( اعلمي يا شيماء أن الرجل لا يتزوج أبداً مَن تمنحه أي شيء من جسدها..  
الرجل لا يحترم المرأة السهلة ولا يُمكن أن يَأتمنها على شرفه وأولاده" ).صفحة  
227

إذاً لما أوقفت طارق عند حده عندما هَمَّ بها ليحتضنها، لم يكن هذا  
لأنها فتاة تُدافع عن شرفها، بل لتُبين له من خلال نصيحة والدتها أنها فتاة  
ليست سهلة، وبالتالي تُرغبه في الزواج منها، واحترامها..  
ففعلها حصل من أجل الرغبة في الزواج، وليس رغبةً في الدفاع عن  
شرفها..

وبالطبع في النهاية فرطت شيماء في نصيحة والدتها، وفي مبادئها،  
وفي شرفها بحملها، وليس بقضاء طارق لوطره معها بالخط الأحمر الذي  
وضعه، حتى لا تحمل منه.. باعتبار أن شرف البنت هو فقط هذا الخط

الأحمر المُتمثل في بؤرة الحمل.. وليس مُتمثلاً في اللمس نفسه لجسدها عامةً.. وتبديد قيمة الصيانة لجسمها من الأيدي الشهوانية الغريبة التي تُدنسه، والتفريط في حاسة وجدانها ومشاعرها عندما تعرضها للعبث..

فقيمة الشرف ليست في جسدها، ولا في بؤرة الحمل.. إنما في القيم والمبادئ والثبات عليها، وصون الغريزة من العبث فيها من يد غير مشروعة لها، لا تنبغي لها أن تتأثر بلمساتها شهوانياً..

وعلى خلفية نصيحة والدتها وعلى خلفية مُصارحة طارق لها بالحب، وعلى خلفية حادثة طارق معها، فإن تلك التوليفة تبدو مُناقضة للغاية إذا خرجت بنتيجة:

اقتباس:

( جلست تستذكر وعزمت على التركيز بكل قوتها.. قالت لنفسها: "يجب أن يكون حبنا أنا وطارق دافعاً إضافياً لكي نجتهد حتى نحصل على الشهادة ونعود إلى مصر ونتزوج" .. ).صفحة 227

وكل هذا حصل في صفحة واحدة، وفي مشهد واحد، وفي زمن واحد.. فأين عقلها وتفكيرها المُرتب التي تشتهر به أي طالبة علم متفوقة نابهة؟!..

اقتباس:

(انتهت من الاستذكار، وقامت إلى الحمام، توضأت وأدت صلاة العشاء والشفع والوتر، ثم أغلقت نور الحجرة ودلفت في الظلام إلى فراشها.. ظلت محدقة في الظلمة، وعندئذٍ حدث ما أدهشها: استرجعت ما فعله طارق معها فلم تستنكره ولم تغضب منه، بل جرفها حنان غامر!.. إنه يحبها وأراد أن يحتضنها كما يفعل المحبون، هذا كل ما في الأمر..).صفحة 227، 228

كما يفعل المُحبون بعد الزواج، وليس قبله.. فما يفعله المحبون قبل الزواج هو عين ما حذرتها والدتها منه.. الشُّبان يغوون البنات بكلمات معسولة، يُوهمونهن بالحب حتى يقضوا وطرهم منهن..

## - (الفصل ١٨) صفحة 226.

وبالأخص هذا الجزء:

اقتباس:

( ألا يُمكن أن تكون بالغت في غضبها؟.. عاودتها تحذيرات أمها بشراسة، لكنها وجدت نفسها لأول مرة في حياتها تُعيد النظر فيها:

إذا كان ما تقوله أمها صحيحاً، فالمُفترض أن البنت التي تُفرط في جسدها ولو قليلاً لا يُمكن أن تتزوج أبداً، لكنها تعرف حكايات كثيرة {حكايات شيطانية شاذة} تُثبت عكس ذلك، تعرف بنات تساهلن مع الرجال ثم فزن بزيجات ممتازة.. زميلتها رضوى المُعيدة في قسم الباثولوجي في طب طنطا، رافقت أستاذها وظلت علاقتهما غير البريئة حديث الكلية لفترة طويلة.. وفي النهاية طلق الأستاذ زوجته أم أولاده وتزوج من رضوى وأنجب منها..

ولبنى جارتها في طنطا؟.. ألم تُصاحب أكثر من شاب وحكت لها بنفسها عن علاقات جسدية معهم؟.. قُبلات وأحضان وأكثر من ذلك لا تقوى شيماء حتى على تخيله!.. ماذا حدث في النهاية؟.. هل ضاعت سمعة لبنى وانتهى مستقبلها؟.. هل باءت باللعة والاحتقار إلى الأبد؟.. بالعكس، تزوجت من تامر ابن المليونير فرج البهتيمي صاحب مصانع الحلويات الشهيرة، وهو يتدله في حبها ولا يرفض لها طلباً.. لبنى التي عبث الشبان بجسدها تعيش الآن كأُميرة في فيلا كالقصر على أطراف طنطا، وهي زوجة سعيدة وأم لطفلين!..

ولماذا تذهب بعيداً؟.. هي نفسها.. ألم تُحافظ على جسدها؟.. ألم تتجاوز الثلاثين بغير أن يلمسها رجل؟.. عاشت عمرها ملتزمة ولم تسمح لأحد في الكلية بأن يتجاوز حدود الزمالة، حتى أساتذتها تعودت أن تُعاملهم بكثير من التحفظ.. إن سُمعتها في الحي والجامعة بيضاء من غير سوء، فلماذا تأخر زواجها؟.. لماذا لم يتهافت عليها الخاطبون من أجل أخلاقها العظيمة؟!.. كل هذه الشواهد تُخالف كلام أمها! هل كانت أمها تُبالغ في تحذيرها، أم أنها تتكلم عن أخلاق زمن آخر؟.. ألا يُمكن أن يكون تسامح الفتاة مع حبيبها (في حدود) نوعاً من الشطارة تجتذبه للزواج منها؟.. ألا يُمكن إذا قبلها واحتضنها أن يزداد تعلقه بها؟ إنها بالرغم من دراستها الطبية لا تعرف شيئاً عن أحاسيس الرجل.. ألا يُمكن أن يكون حب الرجل للمرأة يدفعه رغماً عنه التفكير في جسدها؟..

ثم.. إذا كانت كل علاقة خارج الزواج عيباً وحراماً وذنباً عظيماً تحقيق اللعة حتماً بمرتكبيه، فلماذا لا يلعن الله هؤلاء الشبان والفتيات الذين ينتشرون خلال عطلة نهاية الأسبوع في محطات المترو والحدائق.. إنهم يتبادلون القُبلات الحارة علناً ويتمادون أحياناً فيفعلون على الملأ ما تخجل هي من فعله مع زوجها الشرعي في حجرة مُغلقة.. لماذا لا يحقق سخط الله بهؤلاء الفاسقين؟!..

إن الشهور التي قضتها في شيكاغو جعلتها تفكر في حياتها بطريقة مختلفة..

الثوابت التي نشأت على تقديسها بدأت تُساورها شكوك حولها.. هل سيُحاسِبنا الله نحن المسلمين بطريقة ويُحاسب الأمريكيين بطريقة أخرى؟ هؤلاء الأمريكيون يقتربون الكبائر جميعاً.. يزنون ويُمارسون الشذوذ بأنواعه، يلعبون القمار ويحتسون الخمر.. لكن ربنا سبحانه وتعالى لا يبدو غاضباً عليهم.. لأنه بدلاً من عقابهم على المعصية منحهم الثروة والعلم والقوة حتى أصبحوا أكبر وأقوى دولة في العالم.. لماذا يُعاقبنا الله نحن المسلمين عندما نفتقر الذنوب في حين يتساهل مع الأمريكيين؟ ( صفحة 228، 229، 230.

بالطبع هناك كثير من الملحوظات على هذا المقطع الواسع، وسأنتشرها تباعاً..

- بالنسبة للفتيات صديقات شيماء اللاتي زنوا مع بعض الشباب، أو عبث بأجسادهن هؤلاء الشباب.. فقد شرع الله في القرآن أن لا تتزوج الزانية إلا زاني مثلها..

وهناك قاعدة رائعة وضعها القرآن الكريم، تتحدث حتى عن العبث الجنسي كجزء من الخبث:

( الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ {26} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {27} فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ {28} )<sup>43</sup>

لم أستطع منع نفسي من اقتباس الآيات التي بعد ذلك.. وفي الواقع لقد وجدت أن ما قبل الآية وما بعدها كأنه يرد على تلك الأفكار الخبيثة الموجودة في هذا الجزء خاصة، وفي الرواية عامة.. أنصح المؤلف بقراءة سورة النور بتدبر وإمعان...

- لا أعرف من أين أتى المؤلف بتلك الزيجات الممتازة التي تتزوج فيها عابثة، وقد امتدت أيادي كثيرة للعبث بجسدها، أو تلك التي فرطت في شرفها قبل الزواج بأحد أساتذتها ثم تزوجها بعد ذلك راضياً مرضياً، ولم يعبأ بأنها فرطت في شرفها بدون زواج، هل سيستأمنها على شرفه بعد ذلك؟..

وقيمة الشرف ليست أنها أقامت علاقة غير بريئة مع أستاذها قبل الزواج، وإنما القيمة في أنها فعلته بدون صيغة شرعية أو حتى رسمية... من أين أتى بتلك الأمثلة؟..

أهي من خياله.. لو كان كذلك فأوافق، فخياله يعمل بطريقة غريبة تماماً، لا تتوافق مع الطريقة الشرقية أو المصرية نهائياً.. لذلك فكل ذلك هراء في هراء.. ولا يتفق مع الواقع بشيء..

ولو كانت الحقيقة الواقعية، فأعتقد أن الأمر لا يعدو عن شذوذ نادر.. لأن الإحصائيات الرسمية الموجودة تنفي ذلك الفعل تماماً.. فهي تُنبئ عن أن معظم هذه العلاقات فاشلة، أو على الأقل فهي تتسم بالاهتزاز الشديد..

وأظن أن من الجدير في رواية تتكلم عن المصريين بشكل واقعي أن يُنتفى فيها الحديث عن شذوذ وأفراد لا يُعتقد بهم في نطاق الواقع والحقيقة..

فرضوى، ولبنى مثلاً لا يُمكنني الاقتناع أبداً بنهاية قصتيهما.. فإما أن قصتهما حقيقتان، والله عز وجل يُهملهما ولن يهملهم، لا في الدنيا، وإلا في الآخرة سيذوقون عذاباً أليماً.. والله سبحانه يعطيهم نصيب السعادة في الدنيا، حتى إذا كانت الآخرة أخذوا نصيبهم من البؤس والعذاب المهين.. فلا يجتمع أمان ولا خوفان في الدارين للمرء أبداً.. هذا قانون الله تبارك وتعالى وحُكمه.. ولا راد لنا موسى ولا لحُكمه..

وإما أن لُبنى ورضوى قصتان خياليتين لا يتسمان بالواقعية، وفي هذه الحالة لا يكون من المنطقي إدراجهم مع حالة شيماء وشخصيتها، والتي هي في الأساس شخصية غير محبوكة ومضطربة روائياً..

- هل كلامه عن عدم زواج شيماء بهذا الأسلوب طرح لمشكلة الغنوسة في مصر، وتأخر زواجهم.. أعتقد أنه قد فشل في التعبير عن هذه القضية..

لقد طرح الحل.. أن تتعري البنات كي تتزوج.. أن يُفرطن في شرف أجسادهن حتى يتزوجن.. يجب أن يكون للبنات سُمعة سيئة سوداء من غير حُسن لتستطيع الزواج.. إذا حدث ذلك فسيتهافت عليها الخاطبون من كل صوبٍ وحذب.. وستعيش حياة سعيدة بعد ذلك مع زوجها المستقبلي الذي عبثت معه في الماضي.. وربما تتندر بالحياة الآثمة في عهدها القديم..

- وعلى فكر شيماء نفسه يرد سؤالها.. "ألم تحافظ على جسدها؟"..  
وكأنها هنا تحافظ على جسدها ككل، ولا ينبغي لها أن تفعل على كل  
جسدها، بل يكفيها أن تحافظ على جزء معين منه، وهو الذي قد يصنع  
أخطار العار والذل، وانمحاء الشرف.. وبهذا يُمكنها الزواج بسرعة.. لكن  
لأنها تحافظ على جسدها كله بمفهوم الشرف المعنوي، فإن هذا قد يؤخر  
زواجها !!..

- وكأن المشكلة فحسب هي السمعة.. ولا مكان لمكانتها أمام نفسها،  
وأمام الله عز وجل..

- وكل الشواهد تُخالف تحذيرات أمها لأن الحقيقة هو أنه كان عليها أن  
تتعرى وتبرز مفاتها وأسلحتها الأنثوية من أجل أن يتهافت عليها  
الخطابون..

- وكأن زمن الأخلاق قد انتهى، أو كان زمن من الماضي، والآن حلت  
أخلاق جديدة، بغض النظر عن حسن تلك الأخلاق من سوءها، وكأن لكل  
زمن موضة في الأخلاق.. فموضة الأخلاق في هذا الزمن أن تكون البنت  
متعربة متحررة منحلة حتى يتهافت عليها الخطابون..

- لا أدري لماذا لم تُفكر في احتمالية أن المشكلة ليست فيها، وإنما في  
شباب هذا العصر، وفي أزماته.. برغم أن تلك هي المشكلة الأساسية إن  
كنا نبتغي الواقع.. وهذا يتأتى بالضرورة من ملابس شخصية شيماء  
ونشأتها الدينية والعلمية، وعقليتها الفذة التي يتمتع بها كل موهوب  
ومحظوظ يتعلم في جامعة أمريكية عريقة..

- ولماذا تُفكر هي بهذه الطريقة، وهي شرقية نشأت في مجتمع متدين  
وشرقي، لديه عادات وتقاليد، وهي حتى لم تحتك بالمجتمع الأمريكي  
كثيراً، كما أن دراستها تفرض عليها ألا تحتك كثيراً خارج مجال دراستها..  
لأنها مصرية فهي تُفكر بهذه الطريقة الشاذة؟..

كل ما أستطيع أن أقوله وأؤكد عليه هو أن شخصية شيماء في غاية  
التناقض فنياً وروائياً..

- هذا الموقف يُذكرني تماماً بشخصية رئيسية في الرواية السابقة  
"عمارة يعقوبيان".."بثينة"، التي تزوجت برغم ماضيها القذر من زير  
نساء.. وعاشت سعيدة برغم الحياة الدنيئة التي عاشتها من قبل.. ولم  
يُذكر أنها تابت أو ندمت، بل حصل الأمر كأنها ضحية استحقت أن تنال

نهاية سعيدة بعد الشقاء والكد والمثابرة في حياة البغاء.. لقد سلمت جسدها لكل من أراد أن يعيث به، وحافظت فقط (في حدود) على جزء صغير في جسدها، هو بؤرة شرفها.. هكذا هي شريفة وعفيفة، وبرغم كل شيء حافظت على تلك البؤرة من الهتك، فصانت شرفها من الاختراق.. يا لها من بطلة !! هذا هو الشرف ولا بلاش !! ما أعظمها تلك المرأة في هذا العصر التي تترك الشباب يعبثون في جسدها، وبرغم ذلك بقوة وتحدي وإصرار تُشدد على صون بؤرة شرفها من اللمس أو الاقتراب !!.. هذه هي المرأة التي تستحق وسام الشرف والعفاف ..!!!

كيف يضع المؤلف صورة عن أن المرأة أو البنت يجب أن تتعري وتُمارس سلاحها الفتان حتى تتزوج، وفي ذات الوقت يضع في نفس الصورة أنها ضحية، يجب أن تفعل ذلك لكي تتزوج ؟!!..

كأن المرأة في عصرنا ضحية ثقافة سائدة تطغي على الرجال أو الشباب، أنهم يريدون الزواج من متعريات وفاتنات حتى يقيسون استحقاقها بمعايير مادية الزواج وغريزته فقط، ومعايير جسدية بحتة، وأنه لا مكان للعفة ولا للأخلاق..

أعتقد أن هذا قمة التناقض.. هذا التناقض الذي لا يبدو غريباً على أسلوب المؤلف، بل هو أسلوبه ومنهجه الذي يطفر به رغماً عنه، لا أعرف بإرادته أم بعدمها..

وتصوير الشعب المصري بهذا السياق لا ينتهي أبداً طوال الرواية.. سواء عمارة يعقوبيان، أو شيكاغو...

هل ينتقم المؤلف من مصر بأهلها، في الحقيقة شعرت أن شخصيته تشبه رأفت ثابت، وناجي عبد الصمد في شيكاغو، وبثينة في عمارة يعقوبيان..

وأنا لا أذم في المؤلف معاذ الله.. لكن من خلال شخصياته وأسلوبه ومنهجه في الروايتين استطعت تكوين فكرة أو لمحة عن شخصيته... ولقد فهمت من قول سمعته في مكان ما.. أن القارئ يبحث عن المؤلف في شخصيات رواياته..

- (ألا يمكن أن يكون حب الرجل للمرأة يدفعه رغماً عنه التفكير في جسدها؟.. )

هذا سؤال مُراوغ، ويُغالط الحقيقة النفسية للمُحب..

فحب الرجل للمرأة يدفعه رغباً عنه لحمايتها من كل دنس قد يتسلط عليها، يحميها حتى من نفسه، لأنه عندما يحبها تنتابه رغبة مُلحة في الزواج منها، وطبيعة الإنسان والشرقيين عموماً.. تلك الطبيعة الحرة، التي تأنف من الدنس فيما يتوفر الحلال.. تحتم عليه أن يبذل طاقته في الحفاظ عليها طاهرة، لأنها تستحق بمقدار حبه الطهر الذي يوصلها لباب عدلها كما يُقال مُصانة طاهرة أميرة شريفة..

- ( ، لماذا لا يحيق سخط الله بهؤلاء الفاسقين؟! .. )

جيد أنها اعترفت أنهم فاسقين.. إلا إذا كان الفسق لا يستوجب العقاب الإلهي، أو أن الفسق قد يُقبل من أناس ويُمنع على أناس..

ويبدو أن فهم الكاتب لحكمة الله في خلقه محدود جداً، فواحدة ملتزمة متدينة ناضجة مثل شيماء لا تفكر أبداً بهذه الطريقة الجاهلة في الدين، والبعيدة عن آيات القرآن، التي تداوم على قراءتها، ففي أصغر سورة يُمكن لطفل صغير يحفظها أن يجيب ( إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ {13} وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ {14} إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا {15} وَأَكِيدُ كَيْدًا {16} فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمَهُلُهُمْ رُويًا {17} )<sup>44</sup>

ويقول المولى عز وجل في كتابه الكريم: (( وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ {23} نَمَتُّهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ {24} ))<sup>45</sup>

ويقول عز من قائل أيضاً: (( وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا {10} وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهْلُهُمْ قَلِيلًا {11} إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا {12} وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا {13} يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا {14} ))<sup>46</sup>

ويقول أيضاً: (( وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ {60} أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ {61} ))<sup>47</sup>

44 [سورة الطارق]

45 [سورة لقمان]

46 [سورة المزمل]

47 [القصص]

و (( وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ))<sup>48</sup>

و (( وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ {53} يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ {54} يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ {55} ))<sup>49</sup>

و (( وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ))<sup>50</sup> {42}

و (( وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ {178} مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ.. ))<sup>51</sup>

و (( فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ {55} ))<sup>52</sup>

وكثير من الآيات في القرآن الكريم التي تدل على هذا المعنى..

وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم أن الله يُبقي للظالم على ظلمه حتى إذا أخذه لم يفلته.. ونصه: عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) قال: ثم قرأ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ<sup>53</sup>

وعن أبي موسى قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله إنه يشرك به ويجعل له الولد ثم هو يعافيههم ويرزقهم<sup>54</sup>

وفي الأقوال الماثورة أو الأمثال: إن الله يُمهّل ولا يُهمّل.. وإن ربك لبالمرصاد..

48 [النحل، 61]

49 [العنكبوت]

50 [إبراهيم]

51 [178، 179- آل عمران]

52 [التوبة]

53 (متفق عليه)

54 صحيح الإمام مسلم.

- كما فهمت أن شيماء تُداوم على قراءة القرآن، وفكرها عالي (طبيبة، ودارسة دراسة علمية، تعليمها عالي)، بالإضافة إلى أنها وصلت لسن النضج، كيف ستفكر بهذه المنطقية البلهاء السخيفة..

اندماجها في المجتمع الأمريكي أنساها ثوابت من الدين..؟

ثم إنني لم ألاحظ هذا الاندماج المذكور لشيماء، طوال الرواية كانت هي الوحيدة هي وطارق اللذين لم يختلطا بكثير من الشخصيات الأمريكية..

ولماذا لا يقول المؤلف: تفكر أنها تريد أن تتحرر من القيود، برغم عدم قناعتها بذلك التحرر الآثم، بناءً على أن الإنسان يتبع شهوته، فيحجب ضميره وعقله عن إلحاح شهوته وإصرار غرائزه ونزواته؛ لتتم الرغبة المحرمة بدون نكئ الضمير والعقل على نفسه، وحتى لا تُخفف من اللذة المطلوبة، بدون التطرق إلى تساؤلات معروفة، إجابتها نبتت من عقل تدرب على إحصاء أرقام تتبع منطق سليم بالضرورة؛ لينتج إجابة واحدة لا تحتمل غيرها..

وهذه طريقة تفكير فجأة وغير منطقية ومتناقضة، أرى أن الكاتب يريد بها بث أفكار مغرضة وفاسدة في مجتمعا المتدين، وأحذره:

( إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {19} )<sup>55</sup>

- لو كان الله لا يحق لعنته بهؤلاء الفاسقين إذاً فإن معنى ذلك أن الله يندب أفعال هؤلاء الفاسقين، ولا يُجرمهم، لأن ذلك ربما من الحرية، أو من الحقوق البشرية !!!... وهذا معنى تفكير شيماء..

كأن الله تعالى يُبيح لأناس الفسق، فيما يُحرمه على أناس آخرين.. وكأن هذا مُنافٍ للعدل..

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً..

- ( هل سيُحاسِبنا الله نحن المسلمين بطريقة ويُحاسب الأمريكيين بطريقة أخرى؟ )

بالطبع.. لكل فرد طريقة في الحساب..

(( لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ )) {20} 56

و (( قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ )) {100} 57

و (( وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ {20} )) 58

نعم.. سيحاسب الصالحين والمؤمنين والصابرين بطريقة..

وسيحاسب الضالين والمغضوب عليهم والفساق والباغين في الأرض بطريقة أخرى..

أليس هذا واضحاً كفاية؟..

أهو صعب على عقلية مثل عقلية شيماء؟!

- ثم هل هذه طريقة وأسلوب للكلام عن الله سبحانه وتعالى؟..

هل تدخل المؤلف في شأن الله تبارك وتعالى؟، أيسخط على تدبير الله؟..

أيشكك في أن الله يتساهل مع الأمريكيين ويُعاقبنا نحن المسلمين وكأنهم أصحاب الدين الحق، ونحن أصحاب الدين الباطل، أو كأنه يتساهل معهم لأن له مصلحة معهم...

أستغفر الله العظيم..

لا أعرف على وجه الجزم ما نية المؤلف في سياق هذا الحديث الفكري؟..

إنه يطرح أفكار شيطانية، ويبثها بدون أن يرد عليها، وفي النهاية يقول ببساطة أستغفر الله العظيم.. وكأنه بذلك لا يقبل هذه الأفكار.. وما هي إلا دسيسة من دسائس الشيطان وخططه الشيطانية، أن يطرح أفكاره المنحرفة ليدع الناس تُفكر بها بعمق أو يتيهون فيها، أو تؤثر عليهم، أو

56 [الحشر]

57 [المائدة]

58 [فاطر]

تقتنعهم.. كأنه طرح مجرد خواطر، ليس لها داعي، ثم يقول في النهاية إني برئ إني أخاف الله، وأستغفره: ( كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ {16} )<sup>59</sup>

المهم.. والمُشكل في الرواية.. أن شيماء نفذت ما فكرت به.. تساهلت مع طارق.. وهذا يُدلّل أنها ربما تكون كفرت... لأنها من خلال أفكارها الأولى التي تبدلت على أثرها كأنها قد آمنت بكل أحاديث نفسها، والتي زاغت نحو الكفر والجهل والانحراف.. ما دامت أذعنت لجزء من حديث خواطرها نحو تساهلها مع طارق، وخاضت فيها بالفعل، فهذا دليل على اعتناقها بكل خواطرها التي مرت بها، من سخطها على حكمة الله وتدبيره في خلقه، وووو...

لقد جاءها طارق في النهاية، وبدا أن نهايتها ستتغير نحو السعادة.. تدعيماً لكل الحكايات الأثمة في خاطرها والتي نجحت بزيجات ممتازة.. لقد اتخذت نفس تيارهن، وبدا أن نهايتها هي أيضاً ستتخذ نفس النتيجة.. في هذا السياق لتلك النقطة الأخيرة، كأن المؤلف يبيث للقراء أن هذا هو التيار المطلوب والمرجو إتباعه.. ستتعب وستشقيك حياة البغاء والانحراف، لكنك في النهاية ستسعد وستجد حياتك التي ترجوها أخيراً... لا أجد مُبرراً غير ذلك في الحقيقة..

- مما يُحسب للمؤلف أنه يستطيع صنع مفردات وأوصاف خاصة بتوجه الشخصية وانتماءها، أي يحبك الشخصية وبيئتها، بحيث يستطيع صنع شخصية ملتزمة بأوصافها المتعارفة وبتماها ودقائقها، لدرجة أنه يشعر القارئ أنه نفسه ملتزماً محضاً..

وفي ذات الوقت أيضاً يستطيع صنع شخصية منحلة بعناصرها ودقائق انحلالها حتى يشعر القارئ أن الكاتب نفسه مُنحل، إنما للأسف لا يلبث حتى يقع في عدة أخطاء فكرية ودينية وسلوكية وتاريخية فتجعل من الشخصية شخصية متناقضة، تتناقض من أجل السير في الأحداث بطريقة منهجية يتبعها المؤلف في الرواية، وأكثر تلك الانحرافات تأتي من أجل

التوافق مع الجنس والانحراف الذي يستهوي الكاتب تلبسه لكل شخصية  
في الرواية..

#### اقتباس:

(..ولما استيقظت في الصباح كان أول ما فعلته أن اتصلت به. بدا صوته مُرتبكاً  
وكأنه يتوقع أن تؤنبه من جديد، لكنها انطلقت تتحدث معه بمرح لتثبت له أنها  
نسيت الأمر)صفحة 230

لقد وقعت في الفخ.. مرحى يا طارق، الفريسة أكلت الطعم.. هيا إن  
شيماء مستعدة للخطوة التالية.. بل إنها في الواقع تحثك على ذلك بلهفة..  
ويُمكنني التنبؤ بأنها ستساعدك على هذا، بل وستجهز من أجل مرحلة  
أكثر حميمية من مجرد حُضن عابر..

#### اقتباس:

(..ومر الأسبوع بطريقة عادية، لكن علاقتهما صارت أكثر حميمية وكأن ما  
حدث قد قرب بينهما **{جسدياً وليس روحياً}**.. ونشأ بينهما إحساس جديد: صارا إذا  
اقترب جسداهما ولو للحظة واحدة، دون قصد، انتصب بينهما فوراً توتر مشدود  
كقوس السهم، عندئذ يرتبكان ويتلعثمان ويتضرج وجهها وكأنه فتح عليها الباب  
وهي عارية!..)صفحة 230

في الواقع إن ما حصل بعد ذلك يُثبت أنه ليس حباً طاهراً كما تتهيئه  
شيماء.. إنني أعرف الحب الحقيقي..

هو الذي تنتشي الروح به، ويفقد الجسم إحساسه على أثره، ويبرد  
ويشعر بالشلل الكلي، في حين تُحلق الروح عالياً، وتقفز في كل مكان..

عندما تتواصر علاقة الحبيين تنشأ غيرة كاسرة من كلا الطرفين حتى  
من أحدهما على الآخر..

هذا هو الحب الحقيقي.. وليس انتصاب توتر مشدود كقوس السهم  
بينهما ناتج عن اقتراب جسدي لكليهما..

إن الحب الحقيقي لا يفهم حقيقته إلا مَنْ عايشوه وتعمقوا فيه، وأدركوا معانيه وانطباعاته وإحباطاته.. رغبة في وضع الطرف الآخر في نين العين وإسدال رموشه عليه..

إنما هذا الذي في الرواية حب هراء.. ليس له أي صلة بسمو الحب الحقيقي..

### اقتباس:

( - ما رأيك؟ نذهب إلى السينما، ثم أدعوك إلى العشاء في مطعم البيتسا الذي اكتشفته.

لم يند عليها الحماس، وقالت:

- بصراحة.. الجو بارد، وأنا زهقت من ركوب المترو.. اسمع.. سنتعشى عندي في الشقة.. سأعمل ليك بيتسا أحسن من المطعم مائة مرة.. ما رأيك؟) صفحة 231

وكأنني أقرأ رد إحدى الفاسقات المحترفات التي ليست المرة الأولى التي تدعو رجلاً فيها عندها في شقتها..

هذا الأسلوب يجعلها طريحة غرام سابقة، أو امرأة خليعة مُنحلة لا تجد غضاضة من دعوة رجل إلى مسكنها الخاص وحدهما، تمهيداً للاختلاء به خلوة لا تخلو من منكر يستوجب السرعة والحسم والجرأة لإثبات الولاء الكامل لمُقتنصها..

هذا يتنافى تماماً مع تدين، وحياء، وضئالة خبرة شيماء المتناهية في استعمال أسلحة النساء الأنثوية الفتاكة..

حتى أن وجهها لم يتضرج بعدها بحمرة الخجل.. بل بدت امرأة ناضجة واثقة من نفسها، أو لديها رغبة جامحة لاحوحة ترد كل تردد أو توتر أو حيرة..

فأقدمت عليه وحسمت موقفها لتلبي تلك الرغبة، وتُسكنها..

لم يقتعني المشهد أنه صادر من شيماء فعلاً.. في حين أن طارق حسيب بدا لي أنه أفجر منها، لكنه لم يفعل ما فعلته، وطلبتة منه !!..

في الصفحة 231، و232.. وجود شيماء مع طارق في شقة الأولى..  
فكرة أن تكون عباءة شيماء لا تُقحم إلا بسوستة طويلة، وتحتها  
جسدها عارياً يمنحنا ظناً لا ريب فيه أنها كانت تطلب أكثر من حُسن  
بريء بين حبيبين..

وهو ليس بحب حقيقي من أساسه..

ففي المشهد دلالة على انعدام الحب الحقيقي من كلا الطرفين..  
تخطيط شيماء.. الدعوة، والعباءة (التي بجذبة واحدة من سوستها  
تجعلها عارية)

تلبية طارق للدعوة، ورضوخه لها، وإقدامه عليه، ومُسارعتة إليه،  
وخيالاته الجنسية الجامحة بشأن عباءتها وجسدها الذي تحتها عارياً..  
أكبر دليل على أن نقطة تجاذبهما هو شيء واحد.. الجنس، ولا شيء  
سواه..

أعتقد أنه أمر واضح، ولا يحتاج لفلسفات..

الأمر ينبت في صدر الحر كالوردة الشائكة..

يتمتع بجمالها وعطرها، لكنه يتحرى عدم لمسها، حذراً من شوكتها،  
لأنه يعلم أن شوكتها أيضاً هو الذي يُحافظ على رونقها وحياتها من أي  
تدخل مادي..

مشهد ناجي عبد الصمد مع ويندي في شقته صفحة 235، و236،  
وممارستهما للجنس، ووصف المؤلف المُهيج والفاضح، يؤكد على تشابه  
شديد بينه وبين كتاب المنتديات الجنسية في الأسلوب والوصف.. وهو  
أسلوب رخيص يدسه المؤلف بدون داعي نهائياً..

اقتباس:

( .. اسمع يا كرم.. لا تُضيع وقتي.. سأكلمك بصراحة.. لقد تم تعيينك في  
القسم قبل أن أراسه، ولو كان الأمر بيدي لما وافقت على تعيينك.. فكر جيداً فيما  
أقوله ولا تغضب.. أنت لن تكون جراحاً.. أنصحك بتوفير وقتك ومجهودك.. حاول

في قسم آخر وسأوسط لك بنفسى.  
ساد صمت ثقيل، وفجأة صاح كرم بمرارة:  
- سيادتك تظلمني لأنى قبطني! ( صفحة 241

أولاً كلمة (قبطي) لا تعني نصراني.. بل تعني مصري في زمن  
الفراعنة، وقبل دخول الإسلام مصر..

فكلمة (قبطي) مفهوم خاطئ لنصارى مصر.. لكن الحقيقة أن كلمة  
(قبطي) تُطلق على المصري عموماً، أياً كانت ديانتة..

وبالتالى فإننا المصريين سلالة الأقباط.. منا من دخل الإسلام، ومنا من  
كان نصرانياً، وبقي على نصرانيته.. وهناك الأقباط اليهود.. وكانت هناك  
مثل أخرى من الأقباط (المصريين)..  
وهناك روايات أحاديث نوبية تؤكد ذلك، سأدرجها، مُخرجة:

#### الرواية الأولى<sup>60</sup>

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " استوصوا بالقبط خيراً فإن لهم  
ذمةً ورحماً "، قال: ورحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم وأم إبراهيم  
ابن النبي صلى الله عليه وسلم منهم.

#### والرواية الثانية

( إذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً )<sup>61</sup>

(( هذه هي الأحاديث الموثوقة عن النبي صلى الله عليه وسلم التي  
وصى فيها بأهل مصر (( الأقباط ))  
ومن الأحاديث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصى بأهل مصر  
جميعهم..

الوصية خاصة بأهل مصر جميعاً، سواء كانوا مسلمين أو نصارى...

60 في الطبقات الكبرى لابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني معمر، ومحمد بن عبد الله، عن الزهري، عن ابن كعب بن مالك  
61 السلسلة الصحيحة للألباني: ( السلسلة الصحيحة - 3 / 374 )

الحديث عام ويشمل الجميع، خاصة وأن 88 في المائة من سكان مصر من الأسر القبطية القديمة، سواء كانوا وثنيين أو نصارى، اعتنق معظمهم الإسلام..

والدين في مصر القديمة سار بالتدرج الطبيعي من وثنيين، إلى يهود، وإن كانت اليهودية لم تلقى رواجاً بين الشعب المصري، إلى نصارى، وأخيراً مسلمين..

ناهيك عن الاختلاط الكبير، الذي تم بين العرب والمصريين، سواء كانوا مسلمين أو نصارى..

ولك أن تعلم (قبط) لفظ مختصر، ومُشتق من الكلمة اليونانية (إيجيبتوس) (Aegyptos) ومعناها القطر أو الوطن، وتحورت بمرور الزمن إلى "قبط"، إذاً فهي بعيدة عن مسمى الدين أو العقيدة، وهذه الكلمة يُقصدُ بها سُكَّان مصر من أهلها الأصليين، مهما اختلفت ديانتهم، وهو اللفظ الذي أطلقه عمرو بن العاص رضي الله عنه على أهل مصر عامة عند فتحها، واستمرت هذه الكلمة تطلق على المصريين..

- ولو كانت تطلق كلمة قبط على النصارى فقط، لما كانت زوجة الرسول وأم ولده إبراهيم، "السيدة مارية القبطية" رضي الله عنها ظلت على اسمها بعد اعتناقها للإسلام وزواجها من الرسول.. فكان من الأحرى أن يكون اسمها "مارية المسلمة".. وإنما لفظ قبطية يعني مصرية..

- وما يسعى إليه البعض من تخصيص هذا الإطلاق على نصارى مصر، يُخالف الحقيقة التاريخية المُثبتة لما ذكرناه؛ وإنما كان هدفهم من ذلك إثبات أن المسلمين غزاة مُحتلون، اغتصبوا مصر من النصارى.

- ويثبتُ الذي ذكرناه ما تناقلته كُتب اللغة، ومعاجمها المُعتمدة:

قال الفراهيدي في "العين": "القِبط: أهلُ مصرَ وبُنُكُها - أي: أصلُها وخَالِصُها - والنسبةُ إليهم: قِبطيٌّ، وقِبطيَّة" اهـ.

وقال ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة": "القِبط: أهلُ مصرَ، والنسبةُ إليهم قِبطيٌّ" اهـ.

وقال الصَّاحِب بن عَبَّاد في "المحيط في اللغة": "القِبط: هم بُنُكُ مصرَ، والنسبةُ إليهم قِبطيٌّ" اهـ.

وقال ابن دُرَيْد في "جمهرة اللُّغة": "والقِبْطُ: جيلٌ منَ الناسِ معروفٌ". اهـ.

وقال الجوهري في "الصَّحاح": "القِبْطُ: أهل مصر". اهـ.

وقال الأزْهَري في "تهذيب اللغة": "قال اللَّيثُ: القِبْطُ: هم أهل مصر وبُنُكْها، والنَّسْبَةُ إليهم: قِبْطِيٌّ". اهـ.

وفي "لسان العرب": لابن منظور: "والقِبْطُ: جيل بمصر، وقيل: هم أهلُ مصر وبُنُكْها، ورجل قِبْطِيٌّ". اهـ.

هذا هو معنى القبط، أما نَسَبُهم، فكما قال الزَّبيدي<sup>62</sup> "واخْتُلِفَ في نَسَبِ القِبْطِ، فقيل: هو القِبْطُ بنُ حَامِ بنِ نُوحٍ - عليه السلام - وذَكَرَ صاحبُ الشَّجَرَةِ أَنَّ مِصْرَإِيمَ بنَ حَامٍ أَعْقَبَ من لَوْذِيمٍ، وَأَنَّ لَوْذِيمَ أَعْقَبَ قِبْطَ مِصْرَ بالصَّعِيدِ، وَذَكَرَ أَبُو هَاشِمٍ - أَحْمَدُ بنُ جَعْفَرٍ العَبَّاسِيُّ الصَّالِحِيُّ النَّسَابَةَ - قِبْطَ مِصْرَ في كِتَابِهِ، فَقَالَ: هُمَ وَلَدُ قِبْطَ بنِ مِصْرَ بنِ قُوطِ بنِ حَامٍ، كَذَا حَقَّقَهُ ابْنُ الجَوَانِيِّ النَّسَابَةَ في "المُقَدِّمَةِ الفاضِلِيَّةِ"، وإليهم تُنَسَبُ الثِّيَابُ القِبْطِيَّةُ بالضَّمِّ، على غَيْرِ قِيَاسٍ". اهـ.

هذا هو معنى كلمة قبطي في الأصل، وهذا هو نسبهم، وإنما ذكرناه؛ لِنَبِّينَ لَنَا حَقِيقَةَ تَارِيخِيَّةٍ، يُرِيدُ البعضُ أَنْ يَطْمِسَهَا، أَوْ يُشَوِّهَهَا، أَوْ يُعَالِطَ فيها؛ لِيَتَوَصَّلَ بِذَلِكَ إِلَى إثباتِ أَنَّ هُويَّةَ مِصْرَ نَصْرَانِيَّةٍ في عَقِيدَتِهَا وَشَرِيعَتِهَا، مع أَنَّ الأدِلَّةَ تَنَادِي بِخِلَافِ ذَلِكَ. ((

#### اقتباس:

- (حتى لقاؤهما في الفراش الذي طالما تعذبت به، توصلت إلى حل مُبتكر له.. صارت بمجرد أن ينقض عليها دنانة بانتصابه، في اللحظة التي تستشعر لهاثه المحموم على وجهها ويسعى لتقبيلها فيتسرب إلى فمها لعبه المختلط بمرارة التبغ، عندما تحس بكرشه الثقيل يضغط على بطنها حتى يكاج نفها ينقطع وينتابها الغثيان.. في تلك اللحظة التي طالما عذبتها، تعلمت مروة أن تغمض عينيها وتنسى دنانة، تركز تفكيرها أولاً حتى تحذف صورته من مخيلتها، ثم تتصور أنها تُعانق

شخصاً آخر، رجلاً وسيماً جذاباً مثيراً.. ومرة بعد مرة تكونت لها مجموعة سرية من العشاق نامت معهم جميعاً في خيالها: رشدي أباطة وكاظم الساهر ومحمود عبد العزيز.. حتى الدكتور سعيد الدقاق، أستاذ المالية العامة في تجارة القاهرة الذي كان مثار إعجاب الطالبات جميعاً، حظيت مروة به في الفراش أكثر من مرة!.. وهكذا قدم لها الخيال حلاً مبتكراً وفعالاً لمشكلتها الجسدية..) صفحة 258

**لبئس ما قدمه الخيال إليها..**

**ولبئس ما استخدم الخيال لأجله..**

**أولاً شرعاً هذه الخيالات الجنسية غالباً حرام، وسأدرج فيما يلي آراء العلماء في الأمر:**

(( بما أننا نعيش هذه الأيام أياماً عصيبة تغيرت فيها المفاهيم واختلطت الأمور، وأصبح هناك في كل يوم جديد، فلا بد كذلك أن يتطرق أهل الفقه إلى كل جديد، فيبينوا حكم الله فيه، ومن هذه الأمور، والتي أصبحت مما تعم به البلوى هذه الأيام هو أن يتخيل الواحد أنه يمارس الجنس مع أشخاص يعرفهم، وقد يستمر ذلك حتى وهو مع زوجته، وقد يكون الأمر وللأسف عند المرأة، فقد تتخيل رجلاً آخر غير زوجها وهي معه، فما الحكم الشرعي في ذلك، نقول وبالله التوفيق:

لقد اختلف الفقهاء في الخيال الجنسي، والذي بمقتضاه يفكر الرجل في امرأة محرمة عليه- بين الجواز والمنع، فذهب الجمهور إلى حرمة أن يتخيل المرء نفسه وهو يقوم بعلاقة جنسية مع نساء أجنبي، لأنه نوع من انحراف الفطرة وقد يؤدي للنفور من زوجته على مر الزمن، وكذلك المرأة عندما تتخيل رجلاً غير زوجها، وذهب بعض الفقهاء إلى أنه من الزنا المعنوي الجائز؛ لأن العين تزني وزناها النظر المحرم، والعقل يزني، وزناه الاشتهاه الخيالي المحرم.

وقد اختلف الفقهاء في الرجل يُجامع زوجته، وهو يتخيل امرأة أخرى، وكذا المرأة يجامعها زوجها، وهي تتخيل رجلاً آخر:

فذهب الأكثر إلى أن ذلك حرام، وهو مذهب الحنفية والمالكية والحنابلة وبعض الشافعية، بل عدّه بعضهم من الزنا.

**قال ابن الحاج المالكي:**

ويتعين عليه أن يتحفظ على نفسه بالفعل، وفي غيره بالقول من هذه الخصلة القبيحة التي عمت بها البلوى في الغالب، وهي أن الرجل إذا رأى امرأة أعجبه، وأتى أهله جعل بين عينيه تلك المرأة التي رآها، وهذا نوع من الزنا، لما قاله علماؤنا فيمن أخذ كوزاً من الماء فصور بين عينيه أنه خمر يشربه، أن ذلك الماء يصير عليه حراماً...

وما ذكر لا يختص بالرجل وحده، بل المرأة داخلة فيه، بل هو أشد؛ لأن الغالب عليها في هذا الزمان الخروج أو النظر، فإذا رأت من يعجبها تعلق بخاطرها، فإذا كانت عند الاجتماع بزوها، جعلت تلك الصورة التي رأتها بين عينيه، فيكون كل

واحد منهما في معنى الزاني، نسأل الله العافية... انتهى المراد من كلام ابن الحاج من كتابه المدخل.

وقال ابن مفلح الحنبلي:

وقد ذكر ابن عقيل وجزم به في الرعاية الكبرى: أنه لو استحضر عند جماع زوجته صورة أجنبية محرمة أنه يَأْثَمُ.. انتهى من الآداب.

قال ابن عابدين الحنفي -بعد ذكره كلام ابن حجر الهيتمي الشافعي- الآتي:

ولم أر من تعرض للمسألة عندنا (يعني الحنفية) وإنما قال في الدرر:

إذا شرب الماء وغيره من المباحات بلهو وطرب على هيئة الفسقة حرم، والأقرب لقواعد مذهبنا عدم الحل؛ لأن تصور تلك الأجنبية بين يديه يطؤها فيه تصوير مباشرة المعصية على هيئتها، فهو نظير مسألة الشرب، ثم رأيت صاحب تبیین المحارم من علماننا نقل عبارة ابن الحاج وأقرها. انتهى من حاشية ابن عابدين.

أما الشافعية فالمعتمد عندهم هو جواز ذلك، قال ابن حجر الهيتمي في تحفة المحتاج:

إذا وطئ حليلته متفكراً في محاسن أجنبية خيل إليه أنه يطؤها فهل يحرم ذلك التفكير والتخيل؟ اختلف في ذلك جمع متأخرون بعد أن قالوا:

إن المسألة ليست منقولة، فقال: جمع محققون كالسيوطي وغيره بحل ذلك، واقتضاه كلام التقي السبكي في كلامه على قاعدة سد الذرائع، واستدل الأول لذلك بحديث: "إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت بها أنفسها..." ولك رده بأن الحديث ليس فيه ذلك، بل في خاطر تحرك النفس هل يفعل المعصية كالزنا ومقدماته أو لا فلا يؤاخذ به إلا إن صمم على فعله، بخلاف الهاجس والواجس وحديث النفس والعزم، وما نحن فيه ليس بواحد من هذه الخمسة، لأنه لم يخطر له عند ذلك التفكير، والتخيل فعل زناً ولا مقدمة له، فضلاً عن العزم عليه، وإنما الواقع فيه تصور قبيح بصورة حسن، فهو متناس للوصف الذاتي ومتذكر للوصف العارض..

قال ابن البزري:

وينبغي كراهة ذلك، وردَّ بأن الكراهة لا بد فيها من حكم خاص...

ونقل ابن الحاج عن بعض العلماء: أنه يستحب فيؤجر عليه لأنه يصون به دينه، واستقر به بعض المتأخرين منا إذا صح قصده بأن خشى تعلقها بقلبه واستأنس له بما في الحديث الصحيح من أمر "من رأى امرأة فأعجبته فإنه يأتي امرأته فيواقعها" انتهى.

وفيه نظر لأن إيمان ذلك التخيل يبغي له تعلقاً ما بتلك الصورة، فهو باعث على التعلق بها، لا أنه قاطع له... ثم ذكر كلام ابن الحاج السابق وقال: ورده بعض المتأخرين بأنه في غاية البعد، ولا دليل عليه، وإنما بناء على قاعدة مذهب في سد الذرائع، وأصحابنا لا يقولون بها.... انتهى المراد من كلام ابن حجر الهيتمي.

على أن بعض الشافعية ذهب إلى التحريم حيث قال: العراقي في طرح التثريب: لو جامع أهله وفي ذهنه مجامعة من تحرم عليه، وصور في ذهنه أنه يجمع تلك الصورة المحرمة فإنه يحرم عليه ذلك، وكل ذلك لتشبهه بصورة الحرام. أ.هـ

وبعد أن رأينا هذه الآراء الفقهية المعتمدة، وعلمنا الحكم الشرعي، وهو الحرمة عند جمهور الفقهاء، فهل لنا أن نتقي الله في أنفسنا، وأن نعلم غيرنا حكم الله حتى نكون من الفائزين في الدنيا والآخرة، جعلنا الله وإياكم ممن يستمعون إلى القول فيتبعون أحسنه. ))

ثانياً: الأسماء التي ذكرت في الرواية ضمن المشهد افتراءً وإقحاماً، تُرى ما سيحدث لو علموا أو علمت زوجاتهم بإدراج المؤلف لهم في خيال إحدى البطلات المتزوجات حالة جماع زوجها، في الرواية الشهيرة شيكاغو؟!..

ثالثاً.. مروة تُعد خائنة لزوجها مغنويًا.. وهو يشبه كثيراً في رأيي قضية الشرف أين تكمن؟.. على جسد المرأة كله أم في بؤرة بعينها في جسدها، أم أن الشرف مغنوي وجسدي؟..

وترجيحي هو أن الشرف يخص الحالة المعنوية والجسدية بالكامل؛ لأن الإنسان يتكون من وعي ومادة، وكلاهما يُعبران عن كيان واحد.. وبالتالي فهي خائنة، خانت شرفها، وخانت زوجها..

وفي رأيي مهما كان الوازع أو الأسباب، فالغاية لا تُبرر الوسيلة أبداً.. مهما كانت الزوجة باردة تستعين بالخيالات لإثارة نفسها، أو أنها تكره معاشرته زوجها، فهذا لا يُبرر أن تخونه في خيالها ( مغنويًا ).. ففي النهاية الشرف يأتي من احترام الذات قبل احترام الآخرين.. فكيف ستنتظر مروة لنفسها؟..

إنني أجزم أنها برغم عُذرها، فهي أقل من أن تشعر بالاحترام لنفسها.. وهذا كله للعلم، ولتصحيح المفاهيم للمتلقين، أيّاً كانوا، احترازاً من جهلهم إياها..

#### اقتباس:

- (كان الدكتور بيكر مُنهماكاً في إجراء بعض التجارب وهو يُدندن بصوت خافت من أثر زجاجة النبيذ الأبيض الصغيرة التي تناولها مع الغداء، وقد عكف بمنتهى التركيز على اختبار صورة جديدة التقطها بالميكروسكوب الإلكتروني لبعض الخلايا العصبية..) صفحة 260

علامة مسجلة في كتابات د. علاء الأسواني.. الخمر والنبذ مقحوماً في كل شخصية بداعي وبدون داعي، ومحشورة في كل مشهد وتفصيلاً صغيرة !!!..

لا أدري ما هو سر هوسه بالخمر والمخمورين ؟..  
هل نحن في ثورة خمر عالمية، يُقارعه فيها كل الأجناس، ويحتسيه كل صاحب دين، حتى لو كان احتساء قليل منه يعتبر محرماً في دين معين، ومع ذلك يجد المؤلف مبرر مهما يكن واهناً وواهيّاً لشربه ؟!..  
أخبروني من فضلكم ؟..

اقتباس:

- (صراعنا مع إسرائيل سياسي وليس دينياً) صفحة 279

ربما يكون كلامه صحيحاً..  
إنما المؤكد أن صراعهم معنا دينياً، وليس سياسياً بالمرّة..  
وخلال تلك المحادثة فقد أعجبنى سياقها، والتي سلمت من الأخطاء التاريخية هذه المرة..

وفي رأيي وربما يكون رأي المؤلف، لا أدري حقيقةً، أن النظام لن يتغير بمحاولة زاني ومُعاقِر للخمر مُصر على آثامه.. فالله لا يهب النصر إلا لمن يطيعه وينتصر على نفسه أولاً، ويُقيمها ويوجهها الصراط المستقيم..

يقول الله عز وجل في هذا المعنى: (( الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {157} ))<sup>63</sup>

ويقول أيضاً مفصلاً المعنى: (( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {41} ))<sup>64</sup>

ويقول موضحاً معنى نصر الله في النفس أولاً، وترويضها طاعته، واجتنابها نواهيه: (( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَصَرَّوْا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ {7} وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ {8} ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ {9} ))<sup>65</sup>

### اقتباس:

- (.. راح يستنشِق رائحتها بنهم ويُقبلها من جديد.. كان على استعداد لأن يفعل معها الحب مرة بعد أخرى، إلى الأبد، لكنه انتبه لما أحس بدموعها تُبلل وجهه.. فتح عينيه وأبعد رأيه وكأنه يصحو.. ربت خدها، فانخرطت في بكاء حار، وقالت بصوت متقطع:

- كم أحتقر نفسي!

- أنا أحبك..

هكذا همس وهو يُقبل يديها.) صفحة 291

لقد احتقرت نفسها، وقد انتابها هذا الشعور رغباً عنها، لأنها اكتشفت حقيقة ما فعلته من إثم، خرجت الدموع من مكنن فطرتها، التي تأبى الزنى، أو ما شابهه..

قال لها أنه يحبها.. كان هذا بالنسبة له حب اللذة، ولا شيء سواه، حب تلك الفتاة التي منحته النشوة.. ولماذا لا يحبها بعد ذلك؟!.. وهي قد منحته أبلغ أمنياته لمضاجعة امرأة من لحم ودم..

لكن هذا أبداً ليس الحب الحقيقي، ولن يكون.. حب الروح.. الحب الذي يرهق الطرفين لتحميلهما مسؤولية كلٍّ منهما على الآخر.. مسؤولية الحفاظ على حبيبته، حتى لا يمسه أي سوء.. الحب الذي يُفجر طاقة بليغة لبذل كل الجهود ليحوظ حبيبته بذراعيه مما يُعرض من سوء من أي جانب أو اتجاه، حتى يفعل كدابة ترفع حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.. يخشى أن تؤذي، حتى من نفسه..

[الحج] 64

[محمد] 65

هذا هو الحب الحقيقي..

الحب الأصلي..

الحب الفطري..

الحب الذي يدوم حتى النهاية..

نهاية كل طرف من أطرافه..

الحب المُدُنس والمُحرف لن يبقى طويلاً، سُرعان ما سيَبلى، ويَبلى معه الجسد، لأن الحب الأساسي كان الجسد..

سيُبلّيه الملل، ستبليهِ عاقبة الإثم، سيُبلّيه تغضن الجسد، سيبلّيه فناء الجسد، سيُفنيه التراب..

أما الروح، فهي لا تبلى أبداً.. قد يبلى الجسد، لكنها أبداً لن تموت، بل تصعد إلى رضوان الله ورحابه..

ولذلك فإن حب الروح، يبقى حتى لو أصبحت الأجساد تراب..

وتكملة للمقطع:

اقتباس:

( - أنا الآن امرأة بلا أخلاق!

- مَنْ قال ذلك؟

- لقد أصبحت ساقطة!

- أنتِ أجمل إنسانة في الدنيا.

تطلعت إليه من خلف الدموع وقالت:

- لا يُمكن أن تحترمني بعد ما فعلته معك! ) صفحة 279

الغريب الذي يُثير حيرتي علامة التعجب تلك، التي يضعها المؤلف في نهاية كل جملة لشيماء، برغم أن كلامها لا يدعو إلى التعجب، بل هو حالة صادقة حقيقية.. لقد شعرت شيماء الآن في تلك اللحظة بالشعور الطبيعي التالي لفقد شرفها المعنوي.. لقد استُبيح شرفها المعنوي، وأصبحت الآن مؤهلة لاستباحة شرفها الجسدي، وإن كان قد انتهك لحد كبير..

قال لها أنتِ أجمل إنسانة في الدنيا.. باعتبار أن سُحب اللذة والنشوة لم تكن قد انقشعت بعد.. وباعتبار أنها الوحيدة التي مكنته من نفسها، أفلا تستحق أن تكون أجمل، وأحب، وأعظم إنسانة في الدنيا بالنسبة له؟!..

وهو قد قال في فصل سابق عنها بالنص:

اقتباس:

( "لست عبيطاً حتى أقع في الفخ.. لم يكن ينقصني إلا هذا.. على آخر الزمن أتزوج شيماء؟!.. أصوم وأفطر على بصلة!.. صحيح أنها معيدة في كلية الطب، لكنها فلاحه.. أنا ابن اللواء عبد القادر حسيب، مساعد مدير أمن القاهرة، أنا الذي نشأت في روكسي ونادي هليوبوليس ورفضت بنات الأكابر.. أتزوج في النهاية من فلاحه؟!.. صفحة 175

وحتى لو كان هو أحبها فعلاً، واكتشف أن هذا لا يهمه، إنما ما يهمه هو الحب ورغبته في الزواج منها.. فهل كان التلامس المادي هو الفعل المناسب للتعبير عن الحب الحقيقي؟!..

هل وقوعهما في الممارسة الجنسية يُعتبر تدليلاً على الحب.. لا يمكن أن أقبل هذا الانحراف في المفاهيم والنفسيات والسلوكيات وردود الأفعال.. فهي مجرد ألعيب بالألفاظ والمواقف.. تُسقط المتلقي في حيرة شديدة..

أنا أحبك..

أنت أجمل إنسانة في الدنيا..

إنها كلمات مزينة مُخادعة لتشجيعها من أجل تمكينه من نفسها مرات عديدة..

وهو في ذات الوقت لم يحبها، ولن يحبها.. لكنه اكتشف أنها أفضل أنثى يستطيع بها أن يلبي رغباته الدنيئة، فهي سهلة الانقياد، وفلاحه، أفضل ما فيها هو جسدها، وهي أقرب إليه من أي أنثى يعرفها، كما أنهما وحدهما، بعيد عن وطنهما آلاف الأميال.. مهما فعل معها فلن تتضرر سمعته، ولن يتضرر مستقبله، لن يُضار في شيء.. إن أفضل ما يستطيع أن يظفر به فيها هو طبيخها وغسيلها له، والاستمتاع بها.. وهكذا خطط بدناءة للاستيلاء عليها..

- تكشفت لها الحقيقة الآن، وتبينت أنها وقعت فيما حذرتها منه أمها.. أن المرأة إذا استسلمت للرجل، فهو يفقد احترامه لها بعد ذلك.. صرحت به، بيقين.. وبرغم أن هذا ما حصل فعلاً، إلا أنه لم يكن قد انتهى من

استدراجها، واستحلاله لها بعد.. فكان عليه أن يُزيف الحقيقة حتى يروي رغباته، ويُسمنها ويغنيها من بعد جوع وافتقار..

#### اقتباس:

( - أنتِ زوجتي، فكيف لا أحترمك؟!  
- لستُ زوجتك!  
- ألسنا سنزوج؟  
- نعم.. لكني الآن مُحَرمة عليك.  
- نحن لم نَزِن يا شيماء.. وهناك أحاديث شريفة، كلها صحيحة- أجمعت على أن الله سبحانه وتعالى يغفر ما دون الزنى لمن يشاء.. نحن نحب بعضنا ونيتنا الحلال إن شاء الله.. وربنا غفور رحيم!) صفحة 279

وهل كل المتزوجين يحترمون زوجاتهم؟!..  
هل هي قاعدة.. أن الأزواج لأنهم أزواج يحترمون بعضهم بعض؟!..  
لا، ليست كذلك بالطبع..  
كانت شيماء في ذلك الموقف تتتابع بالرد الإحصائي القويم، الذي لا يتحمل إلا نتيجة واحدة صحيحة..  
حتى لو كانوا سيتزوجان فهذا لا يُجوز ولا يُبيح ما فعلاه، لأنها لم تتزوجه بعد، فهما إذاً محرمين على بعض..

ونأتي الآن للمغالطة في الشرع والدين.. والتي يُصمم المؤلف على التشويه والتحريف في مفاهيمهما المعلومة من الدين بالضرورة..

قال أنهم لم يزنوا، والزنى درجات.. وقد يكونان في واقع الأمر ارتكبا الدرجة قبل الأخيرة من الزنى.. قبل بلوغ الخط الأحمر.. وهذا يتطرق بنا إلى قضية الشرف، وحصره في ثقب صغير في الجسم!، والتي يُصر المؤلف على عرضها بأكثر من طريقة، وتحريفها لمبتغاه أو تشويهها بحسب رؤيته الشخصية والغير مسئولة..

صحيح أن الله سبحانه قال في كتابه الكريم: (( إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ))  
{48} 66

وإنما الآية تدعم حديث صحيح جاء في الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن.

أي يكون ناقص الإيمان.. بدرجات كبيرة..

فالزنى والسرقة وشرب الخمر والشرك من الكبائر جميعاً.. ومن أدركنا أن عدم إيمان المؤمن في تلك الحالات ليس مقصوداً به الشرك، أو ليس معدوداً من أصناف الشرك..

ولا يغيب عن الحساب أن الشرك هو نقصان إيمان، وليس كفراً، فالمُشرك يُشرك مع الله أحداً، أي أنه مؤمن بالله، لكنه يؤمن أيضاً أن معه شريك والعباد بالله.. لذلك فهو نقصان إيمان، وهو كبيرة من ضمن الكبائر التي تستوجب الحد.. فالزنى قد يستوجب الرجم، والإعدام.. غير أن الشرك ليس بعده ذنب، والكبائر قد تستوجب توبة وحد وعقوبة، عند الندم، والاعتراف..

والعمل لا يسبق النية أبداً.. تلك قاعدة، وإلا ما كُتب العمل تحت بند النية، ولا قرن العمل ساعتها بالنية.. فمهما سبق العمل النية فلا اتصال بينهما في حساب أبداً.. فأجر العمل يبدأ بالنية..

ما حصل كان عمل اضطراري غريزي لا إرادي.. يُعد من أكبر الكبائر، ووقوع فيما يشبه الزنى لحد كبير؛ لأنه لا صلة شرعية تحكم هذا العمل الجنسي..

أي أن النية لا تستدعي أو لا تُبرر أو لا تُبيح عمل قبل دخوله في الصيغة الشرعية له، واندرجه تحت طائفة أركانه المفروضة..

فنية الزواج تحتاج لبلوغ الشرط أولاً.. أي عبور مرحلة نفاذ النية بمعنى الزواج الشرعي، ثم استيفاء جميع الحقوق التي يندبها الزواج، ويُصرح بها، ويُحللها.. بعد أن كانت قبل ذلك مُحرمة وغير جائزة وغير شرعية..

ونية الحلال لا تبيح - بغير أركان شرعية واجبة - عمل ما، ما لم تتم أركانه فعلاً..

فبين النية والعمل فراغ..

وبينهما لا توجد نتائج..

النتيجة تأتي بالضرورة بعد العمل، وليس قبله..

- وكما أن ربنا سبحانه غفور رحيم، فهو أيضاً منتقم جبار عزيز ذو القوة المتين..

وفي الحديث إن الله تبارك وتعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته 67

والمعنى منه أن الله كما أنه غفور ورحمن رحيم وعفو ولطيف وحليم، فهو في ذات الوقت يكره المعصية، وبذلك تتجلى صفاته الأخرى مثل المنتقم العزيز الجبار المتكبر القاهر القهار..

إن الله يغفر ما دون الزنى بافتراض أنهما لم يقوما بالزنى !!

لكن كان هذا وشيكاً.. كان قريباً جداً من الزنى.. الكامل..

أي أنه زنى أزال عن صاحبه ثلاث أرباع عبادة أو إسدال الشرف..

#### اقتباس:

( تطلعت إليه ملياً كأنما تختبر صدقه.. ثم همست:  
- ألن تتغير نظرتك لي بعد ما فعلته معك ؟  
- لن تتغير.  
- احلف أنك ستظل تحترمني.  
- والله العظيم سأظل أحترمك!  
- وأنا أقسم لك برحمة أبي يا طارق أنني لم أفعل ذلك مع أي شخص قبلك..  
وأنني فعلته لأنني أحبك. ) صفحة 292

( قيل للحرامي احلف، قال أتاني الفرج )..

هذا تعليق مناسب لهذا المقطع..

والمضحك أنها قالت له احلف أنك ستظل تحترمني، ولم تقل له أنك ستتزوجني.. مع أن هذا هو الأولى، والمطلوب الأول.. وكان الاحترام أهم من الزواج.. برغم أن الزواج هو الذي سيصون شرفها ويحفظ كرامتها..

في استعداد المرء أن يتخلى عن احترام زوجه له ولا يتخلى عن احترام الناس له، والاحتراز من نظراتهم وكلامهم..

وتحول الأمر من رغبة العانس في الزواج إلى رغبة حب.. جعلها تتخلى عن فكرة الزواج نفسها، وتقع في المحذور بحجة الحب !!..

إنه تشويه متعمد لمعنى الحب الأصلي !!..

في رأيي أن العانس يكون لديها رغبة عارمة في الزواج من أي شخص، مهما يكن، حفاظاً على أنوثتها وغريزتها الطبيعية مثل كل البنات، حتى لا تتصف بأبغض كلمة في قاموسها الأنثوي طوال عمرها، العنوسة.. مما يساعدها على اقتناص فرصة الزواج قبل أي شيء آخر.. لذلك لن يكون للحب مكان في قلبها حتى تتحقق سنة خلقها، وهي الزواج مثل أي بنت طبيعية..

وبالتالي نجد أنفسنا أمام شخصين كل واحد فيهم يحتال على الآخر، ويكذب عليه من أجل غاية معينة خفية..

#### اقتباس:

( عندما فتحت سارة الباب كان جيف يقف خلفها، مُخدراً تماماً، وقد أخذ يُحرق فيما يحدث بنظرة غائمة، انهال الدكتور رأفت بالضرب عليها، والغريب أنها لم تُقاومه.. صرخت مرة واحدة مع الصفعة الأولى، ثم استسلمت بعد ذلك وكأنها تتلقى عقوبة قانونية إلى أن ركلها بقوة فسقطت على الأرض. عندئذ انتبه جيف لما يحدث واندفع نحو رأفت ليُمسك به، لكنه دفعه بيده فترنح من ثقل المخدر وصاح في وجهه بصوت كالزئير:

- أما أنت أيها المدمن القذر.. فسوف أضحك الليلة في السجن.  
ظل رأفت واقفاً وسط الصالة وكأنه لا يدري ماذا يصنع بعد ذلك، ثم استدار وهرع إلى الخارج، وسُرعان ما علا صوت سيارته وهي تبتعد.) صفحة 294

في حالة الثورة والغضب تلك كان من المتوقع أن يصنع عدة أمور..

أن يجذب جيف في حالة تخديره، إلى سيارته، ويقدمه إلى أقرب مخفر شرطة، بتهمة إدمان المخدرات ومعه الدليل، المسحوق المخدر الذي كان يشمها على المنضدة مكان جلسته مع سارة على الأريكة التي شهدت توهج لذتهما منذ قليل !!..

كان بإمكانه أن يحمل ابنته، ويضعها في سيارته، ثم يعود إلى منزلها التي نشأت فيه، وعندما تفيق يعقد معها حواراً هادئاً حول تطور علاقتها مع جيف للأسوأ، بدافع من أبوته الغريزية، والتي في تلك الحالة لا تفرق بين شرقي ولا غربي!.. سيكون أنقذها من قيعان الرزيلة والإدمان.. أي شخص كان ليفعل ذلك..

كان بإمكانه أن يصنع عدة أمور، بدل أن لا يدري ماذا يصنع، ومن ثم يترك ابنته في وكر الشيطان جيف، ويرحل وكأنه لم يفعل شيئاً.. هذا غريب جداً في رأيي!!..

إنني حتى لم أر هذا في الأفلام الأمريكية.. الأب الأمريكي حتى لا يتخلى عن ابنته بسهولة مهما فرضت القوانين هناك.. مهما كان رأفت لديه مشكلة في انتمائيه، فإنه في تلك الحالة بالذات قد وصل لنقطة التقاء تتفق بين الشرقي والغربي، ولا يمكنه التردد بشأنها..

#### اقتباس:

( أول مرة رأت جيف يشم، نهريته بشدة، رددت عليه كل ما تلقته في المدرسة عن مخاطر المخدرات، لكنه ضحك وقال ببساطة:  
- من لم يجرب المزاج ليس من حقه أن يتحدث عنه.. إنه وسيط رائع.. لولاه ما رأيت العالم كما أرسمه في لوحاتي!  
ظل يلح عليها حتى تشاركه الشم، لكنها رفضت بإصرار.  
وذات ليلة كانت معه في الفراش فشدد من إلحاحه.. قال وكأنما يتوسل:  
- اسمعي كلامي.. أنا أحب لك الخير.. المخدر لا يُغيب وعيك وإنما يُضيف إليك وعياً جديداً.. جربي مرة واحدة، وإن لم يعجبك فلا تقربيه بعد ذلك أبداً.  
لن تنسي النشوة الأولى.. ما إن شمت المسحوق حتى أحست أنها تطير، تُحلق بين السحاب، لا أحزان ولا قلق ولا خوف من المستقبل، سعادة عارمة متألفة وصافية.. ثم مارست الجنس معه فوصلت إلى الذروة. في المرة التالية ناولها المخدر فلم تُمانع.. ولما طلبت منه في المرة الثالثة أطلق ضحكة عالية ممطوطة وقال وهو يُناولها القمع:  
- أهلاً بك في نادي السعادة!  
صارت ممارسة الحب مرتبطة بالتعاطي.. كان الشم يحلق بها إلى أعلى درجة من الأورجازم، يجعلها تنتفض بقوة عدة مرات، تصرخ بشدة ثم يهدم جسدها..  
تموت وتُبعث من فرط الحب.. ) صفحة 297

أعتقد أن هذا ما يسمى بالكتابة بغير مسئولية، وبغير إدراك لقوة القلم السلبية التي تحيق بالمتلقين مهما كانوا واعيين..

قد يُخامر أحدهم رغبة في تجربة هذا المفعول السحري الذي يعطي لصاحبه البائس جناحين للطيران، ويصل بسهولة بالباردين لمرحلة الأورجازم الجنسية، وهي أعلى نسبة ذروة معروفة للأطباء..

إنه علاج وليس كما نظنه داء فعلاً!!!

إنها معلومات مفيدة للناس.. وقد يجربوها بعد أن حسن المؤلف في إخراجها، وبهرجها في عيونهم..

إنها دعوة لعدم الاكتراث بما تلقى المدارس عن مخاطر المخدرات، ودعوة بشكل مُقنع ومُنظم للولوج في عالم المخدرات الجميل!!..

إنه دعوة للفنانين المتأزمين لاستخدام هذا الوسيط الرائع الذي سيساعدهم على الاستلهاً والإبداع في أعمالهم!!..

وكأنه يتحدث عن إكسير العبقرية النافذ الذي يُضيف للمرء عدداً من الوعي فوق الوعي العادي فيُصبح في لحظة ودون مجهود أو انتظار عبقرياً فذاً مُبدعاً متوهجاً بالمواهب والإنتاج..

إنه العلاج الناجع للبؤساء والحزاني والمقهورين.. إنه الحل المناسب للشعب المصري!!..

دعك من الحلول التي تفشل والذي فكر فيه ناجي عبد الصمد، الحل يتواجد في الشم، في المسحوق الأبيض الذي يستنشق بالقُمع!!..

لو كان الفن إبراز السيئ وتزيينه وإخراجه ليبدو جميلاً.. فأنا أرفض هذا الفن بقوة.. وسحقاً لفن يروج للقبائح ويتفنن في رسمها، ويتشدق بوحياها..

لو كان الفن إبراز للمساوي فقط.. فلا حاجة لي لفن هدام أكثر منه بناء..

فهو سيهدم المجتمع والأمة معاً بشكل عام، وإن كان سيبنى لغتي وأسلوبه معاً بشكل خاص..

القرآن الكريم عندما تحدث عن المساوي لم يُزينها، بل كان إبداعه في تأكيد أضرارها، وقوتها السلبية، وتأثيرها على المجتمع..

أعني لم يُحببنا في الزنا، برغم أن الكلام عن الزنا كان أبلغ وأبداع ما يكون..

لم يُحببنا في الخمر، بل أبداع في وصف أضرارها، ومثل لها، ووضح إثمها، ورغبنا عنها.. فأعانا بالبلاغة وجمال الأسلوب والكلام على سماع القول، وإتباع أحسنه.. رغبنا في الطاعة والخضوع والإحسان، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان..

فتلك معادلة مهمة جداً العمل بها يُعزز المبدع، ويقوي أثر إبداعه، والتطفيف بها يُقلل من قيمة المبدع، ويُضعف إبداعه كثيراً..

#### اقتباس:

( وإذا أصر المتهم على الإنكار يتم هتك عرضه بواسطة إدخال عصا غليظة في فتحة الشرج وإطفاء السجائر المشتعلة في عضوه التناسلي وتوصيل شحنات كهربائية إلى جسده العاري.. ) صفحة 299

#### اقتباس:

( وقد استحدث الضابط الشاب صفوت شاكر، بعد استئذان رئيسه، نهجاً جديداً في العمل.. فبدلاً من الضرب والكهربة، كان يُلقي القبض على زوجة المتهم (أو أمه أو أخته إذا كان أعزب) ثم يأمر جنوده فيخلعون ثياب المرأة قطعة قطعة حتى تصبح عارية تماماً، ويبدءون في العبث بجسدها أمام زوجها الذي سرعان ما ينهار ويعترف بكل ما يُطلب منه.. ) صفحة 300

#### جنس.. جنس.. جنس..

كل تفصييلة يُخالجها إشارات جنسية.. يبدو أننا نعيش في عالم من الجنس الذي يُسيطر على كل تفاصيل حياتنا !!..

لا مفر من أن ثقافة جنسية شريرة مستحكمة سيطرت على كل الأعمال لتسييرها.. حتى هذا الكتاب نفسه، لو لم يكن فيه تلك المشاهد الجنسية المُفصلة لما اشتهرت ولا راجت..

وقد يكون بالنسبة لهذا المسار القصصي الخاص بصفوت شاكر بعض التجويز في نشر بعض أساليب الشرطة ومباحث الدولة، من باب فضحها، واستهجان أساليبها المقرزة والقدرة في التعامل مع المعتقلين..

يُمكنني مجاراته في ذلك.. إنما لستُ موافقاً على المبالغة فيها.. لأن هذا من شأنه أن يصنع رد فعل عكسي في المتلقي.. فبدل أن يتقرز ويتألم من الحكايات والأساليب يتلذذ وينتشي بوصف المؤلف لها!..

#### اقتباس:

( إن طبيعة عمله التي جعلته يرى الناس في أضعف أحوالهم، التي أتاحت له أن يهتك أخص الأسرار بين الزوج وزوجته، التي علمته كيف يسحق رجولة أكثر المناضلين صلابة.... تلك الخبرة الإنسانية الشاذة العميقة قد منحتة سطوة غريبة على من حوله، وكأنه كسر المجال غير المنظور الذي يتحرك في حدوده الناس جميعاً، فامتلك عندئذ قوة استثنائية لا قبل لأحد بها!.. ) صفحة 303، 304

هذه الفقرة.. أليست شبيهة لعمل المؤلف أيضاً؟!..

صدقوني أنا لا أقدح ولا أذم في المؤلف، لكني فعلاً أتكلم بموضوعية شديدة..

إن تلك الفقرة تُعبر تماماً عن عمل صفوت شاكر الضابط الفاسد، وعن عمل المؤلف الذي أخشى أن يكون مُفسداً لعمله بانتهاك أخص الأسرار بين الزوج وزوجته، وبين الداعرين الأثمين.. بطرحها بين ثنايا روايته بشكل متعدد ومثير..

#### اقتباس:

( لم يعد بحاجة لأن يتكلم كثيراً، ولم يعد هناك ما يدهشه أو يجعله يتردد.. ملامح وجهه الصخرية الصارمة كالقدر، نظرته القوية الرهيبة التي تنفذ إلى القلب، حركاته المهيبية المتأنية دوماً وفقاً لإيقاع خاص يستخف بأي توتر حوله، كلماته القليلة التي يلقيها ببطء وهو يضغط مخارج الحروف، بل وجوده ذاته الذي يُسبب حالة كثيفة مقلقة في المكان.. كل ذلك ضاعف من سطوته إلى حدود قصوى، شبه إلهية!.. إنه يقضي فلا يُرد قضاؤه، يُنفذ القدر ولا يخضع له.. إنه يُقرر، بكلمة أو

إشارة، مصير أسرة بأكملها لأجيال قادمة.. إن السطوة المذهلة التي يتمتع بها تدفعنا للتساؤل: هل بمقدور رغباتنا أن تُغير سير الأحداث؟.. هل إذا رغبتنا بقوة في أمر ما فإننا ندفعه إلى التحقيق على نحو ما؟.. إذا كان صحيحاً فإن سطوة صفوت شاكر تعود بالأساس إلى إحساسه العامر بها.. بدليل أنه يفرض إرادته فوراً حتى مع الذين لا يعرفون منصبه ( صفحة 304

### شبه إلهية !!..

لا أدري إذا كان المصطلح ذلك يجوز في الأدب.. وإدراج ملازماته التي تؤكد تشبيهه، قضائه وعدم رد قضاؤه، ونفاذ قدره وعد خضوعه لقدر، وتقريره الذي يسري عبر الأجيال، وسطوته المذهلة التي لا تشبه سيطرة البشر..

### لكني أحس فطرياً بأنه لا يجوز..

إنني حتى متأكد أن هذا التشبيه لم يكن ليمر عبر فكر صفوت شاكر أصلاً.. قد يمر في فكره نزعة للجبروت الذي يتمتع به ملوك الدول، والرؤساء، قد يصيبه مرضهم داء العظمة.. لكني لا أظن أن الفكر قد تمر به فضلاً عن ظني في أن التشبيه ليس مناسباً في هذه الأجواء..

قد يكون مناسباً في أجواء أسطورية يونانية، إغريقية، صينية، هندية، وثنية.. لكنه ليس مناسباً للأجواء المصرية..

وأظن أن هذا مبالغة من المؤلف في التعبير الأدبي.. يُمكن صياغتها بكلمات أقرب للقارئ، ولأجوائه، ولتدينه..

ولعله تجرأ أكثر في المقطع التالي، أو خانه التعبير، عندما قال عن صفوت أيضاً:

### اقتباس:

( وبعد أن يبلغا الذروة تتعلق المرأة بصفوت، لا تجرؤ أبداً على تقبيله (فالقابلة تنطوي على ندية) لكنها تحتضنه، تتشبث بجسده، تتحسسه وتتشممه، وأحياناً تلغقه بلسانها، وكثيراً ما تنحني وتقبل يديه وهي تبكي.. على حين يظل هو راسخاً ممدداً في استرخاء، يُدخن وقد شرد بذهنه بعيداً، وكأنه إله يتلقى القرابين من عبده بغير اكتراث كبير..) صفحة 308

ف فوق أنه شبه تشبيهاً لا يليق التعبير به أدبياً.. لأن هذا ندية لله تبارك وتعالى، وعبت من مخلوق ضئيل مع خالقه العظيم الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير..

فوق هذا فهو وضع تشبيهه المتعلق بذات الله العليا - الذي ليس له صاحبة ولا ولد، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير - في محل قدر، فيه زنى وفحش، ومُضاجعة وشهوة ومحدودية...

وكل ذلك يُعد تطاول وسوء أدب مع الله عز وجل..

أربأً بالمؤلف عن الخوض في هذا الأسلوب الذي يليق بالجهلة والضالين..

كان يُمكن أن يقول وكأنه ملك متأله يتلقى القرابين من عبده بغير اكتراث..

#### اقتباس:

( يقتحم صفوت جسد المرأة بعنف بالغ، لا حنان ولا رقة، يُضاجعها بلا رحمة، يخرقها مرة تلو الأخرى وكأنه يجلدها بالسوط كما فعل مع زوجها من قبل.. وتصرخ هي كأنها تستغيث، تختلط في صرخاتها اللذة بالألم، أو ربما تنتج اللذة عن الألم.. إن اعتداه عليها بهذا الشكل يحقق لها لذة عميقة، لا تنبع من الجنس بقدر ما تنبعث من تحررها النهائي من الكرامة... ) صفحة 308

أولاً.. كل ما ساقه المؤلف في هذا السياق الجنسي عن صفوت شاكر وما يتعلق بمضاجعته لزوجات المعتقلين أعتقد أنه مُبالغ فيه إلى حد كبير.. ثانياً.. عرض المؤلف شخصية صفوت شاكر مع النساء جنسياً، وفصل فيها بشكل مُثير للغرائز ورخيص روائياً وفنياً..

ثالثاً.. في هذا المقطع يؤكد المؤلف أن شرف المرأة وكرامتها ينحصران في اختراقها من قبل رجل آخر غير زوجها، وهذا يؤكد نظريتي من أن المؤلف يعتنق مبدأ الشرف الذي يتعلق بالأعضاء التناسلية فحسب..

مع أن الشرف والكرامة منظومة كاملة تتصل فيها القيم بالأجساد اتصالاً لا ينفصم غراه أبداً..

#### اقتباس:

( - لا أستطيع منع نفسي من الإحساس بالعار! ) صفحة 314

نظقت بهذه الجملة كارول، النصرانية، الأمريكية السمراء..  
ولم تدري ساعتها أنها تهتف بما تهتف به فطرتها، وإحساسها  
المعنوي بشرفها وكرامتها.. برغم أن القوانين في أمريكا لا تُحاسب  
المتعريين ولا المنحلين جنسياً..  
إنما صرخة "الشرف المعنوي" هنا هي التي تُثبت أن للشرف جزأين لا  
ينفصلان، وهو أحد طرفيه بالغي الأهمية..  
ولا أدري.. هل تكون هذه الجملة في صالح المؤلف في روايته أم ضده  
...!!

اقتباس:

( - ليس في الأمر ما يشين إذا نظرت إليه من ناحية جمالية بحتة! )  
صفحة 314

لدي تعديل بسيط قد يُغير المعنى، ويقلبه رأساً على عقب..  
ليس في الأمر ما يشين إذا نظرت إليه من ناحية طبية بحتة..  
لو كان الأمر لا يُشين لمجرد رؤيته من ناحية جمالية بحتة، وهي ناحية  
ترفيه، أو ترفيحية.. فهو أولاً ترفيه لا داعي له بأهمية قصوى، وثانياً  
لأببح لأياً كان أن ينتهك أي جمال مخصوص لأي شخص، وعلى ذلك  
لانعدمت الخصوصية، ولانعدمت الملكية..  
أما من الناحية الطبية.. فنحن نتغاضى عن الجمال من أجل الضرورة..  
من أجل الإنقاذ..  
كان يُمكن أن يُدرج الأمر من ناحية الضرورة.. برغم أنها ضرورة لا  
تُبيح المحذورات.. لأن الغاية في رأيي لا تبرر الوسيلة..  
وعلى كل.. فمما يُشين حقاً هو النظر إلى الجمال بشكل بحت، بدون  
قيود، أو ضوابط.. لأن الجمال ليس متاحاً للجميع.. هناك جمال متاح  
لجميع، وهناك جمال متاح لفرد.. لأن هذا هو ما يُميز الفرد، ويمنحه  
استقلالية وتباين يُبينه عن الآخرين ويخصه بأهمية بالغة جداً يشعر معها

أنه يملك عملة جمالية نادرة.. فالجمال مثل المعادن النفيسة.. إذا راجت وانتشرت رخصت وأذبلت، وإذا ندرت ونالتها أيادي معدودة راقت وفُدرت..

ولذلك فالجمال ليس على وتيرة واحدة، وهو في ذات الوقت مُوزع على عناصر الكون.. والإنسان لديه حدود وقدرات.. لن يمكنه أن يُقدر جميع الجمال، لأنه لو قدره، سيكون عليه أن يملك كل نوع منه، وخلق الإنسان ضعيفاً، يطلب أكثر مما يكفيه.. تلك طبيعة بشرية إن كانت تعيبه، إلا أنها في الأصل تحميه، وتوازن بين رغباته الأخرى، وكذا بين مهامه على الأرض..

لذلك قُدر لكل إنسان حظه من الجمال، مما يستطيع أن يملكه وحده، ويكفيه، ويمنحه أهميته وحده، ويفرده عن بقية البشر..

#### اقتباس:

( تذكرت مقالاً قرأته من سنوات عن طبيعة غامضة يحملها المصريون تجعل من الصعب التكهّن بردود أفعالهم. أكد المقال أن الثورة تندلع دائماً في مصر على غير توقع، وأن ثمة تفاعلاً يحدث تحت السطح الهادئ للمصريين يجعلهم في اللحظة التي يبدو فيها وكأنهم أذعنوا للظلم، انفجرون بالثورة على نحو مُفاجئ، هذه النظرية يبدو أنها صحيحة!.. ) صفحة 324، 325

أعجبني هذا المقطع كثيراً..

إنها تبدو نظرية وجيهة..

وترد كثير من الظنون السلبية في الشعب المصري، بل وتُسقط جميع الاتهامات والشتائم التي تُكال للمصريين، وتصفهم بالتخلف والبلادة.. بل وتجُب ما قاله المؤلف على لسان شخصياته في الرواية اتجاه مصر وأهلها وصفاتهم الوضيعة..

وكنت أتمنى أن يضع المؤلف اسم المقالة، واسم كاتبها، حتى كان يمكننا المرور عليها والرجوع إليها..

غير أنها في النهاية تبقى نظرية.. ستثبتها أو تنفيها الأيام حقاً..  
وإنما الأيام دُول..

## الفصل 27

في هذا الفصل يظهر جلياً مدى اهتمام المؤلف بالجنس في روايته.. وهو ليس جنساً معتاداً حتى، بل هو يتناول الجنس بشكل تعليمي قل، أو بشكل محوري ربما، أو بشكل دعائي.. لا أدري.. ولكنه لا يخلو من تلكم الثلاثة..

ربما يقوم الجنس في روايته بدور خفي.. أو يستعمله كأداة في عملية تجميل.. فيظهر بعض الندوب، في نفس الوقت الذي يُخفيها بنقاط سوداء تبدو كحسّنات، حتى تُخفف أثر الجروح الغائرة والمفضوحة في الوجه والجسد..

هذا تبريري الوحيد لإدراج الجنس بهذا الأسلوب في الرواية لصالح المؤلف..

### اقتباس:

( - ... الواقع أن الفيبريتور أكبر بكثير من مجرد جهاز لممارسة العادة السرية.. الفيبريتور خلاصة تقدم علمي وتغير أفكار المجتمع عن المرأة. ) صفحة 328

تبدو لي الجملة وكأنها شعار دعائي للمرأة في المجتمع المصري، والشرقي..

تتزايد حملات المرأة على الرجل لتأخذ مكانه، ولتستغني عنه بالكامل، ويبدو لي أنه سيكون مناسباً حينها أن تقتني المرأة - بما أن المجتمع تتغير أفكاره عنها - الفيبريتور بشكل أساسي للحصول على النشوة بدون الاحتياج إلى رجل..

يا له من تقدم فكري وعلمي في صالح المرأة وحريتها من الرجل للأبد  
...!!!

إنما لا يدري النساء أن الاستغناء عن الرجل، وإعدامه من حياتهن، هو إعدام للمرأة نفسها أيضاً..

إذ أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض والحياة مكونة من ذكر وأنثى..  
( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ {13} ))<sup>68</sup>  
( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُخَوِّئَهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {97} ))<sup>69</sup>

68 [الحجرات]

69 [النحل]

(( وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ))<sup>70</sup>  
(( وَأَنَّهُ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ))<sup>71</sup> {45}  
(( أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى )) {36} أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى  
{37} ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخُلِقَ فُسْوَى {38} فَجَعَلَ مِنْهُ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى  
{39} ))<sup>72</sup>

كل تلك الآيات الربانية واضحة، وتؤكد أن الحياة كي تستقيم دفتيها يستلزمها زوجين من كل شيء، فقد خلق لها الله عز وجل عُصرين مُتكاملين.. الذكر والأنثى.. ليس البشر وحدهم فحسب.. بل كل مخلوق في الكون ينقسم إلى ذكر وأنثى..

فإذا استغنى كل قسم بجنسه، اختل ميزان الحياة، واهتزت الأرض ومالت، وأبید من فيها، وانعدمت الدنيا، وولدت القيامة.. يومئذ لن يُترك الإنسان سواء من ذكر أو أنثى.. لن يُترك ولن يُهمَل.. بل سيقف وسيُحاسب حساباً عسيراً على تفريطه في جنب الله ونواميسه.. على خيانتة للأمانة التي حملها سبحانه له، وعبثه فيما قدره الله ووزنه وخلقه ثم هدى.. هذا العبث الذي رفض الهدى والتوازن وعاث في الأرض فساداً، من بعد إصلاحها وصالحها..

لا أعلم لماذا نبحث عن الجنس بهذه اللفظة الهستيرية؟..  
لماذا نمنح الرجل والمرأة معلومات أكثر عن الجنس، برغم أنهم لم يشكون، ويتناسلون منذ ملايين السنين؟!!..  
لماذا نُصر على أن الجنس وظيفة أساسية كوظيفة تناول الطعام والشراب.. لا يمكن الاستغناء عنه؟!!..  
مع أننا لو نظرنا لوجدنا عدة أمثلة تُثبت لنا أن الرجل أو المرأة قد لا يُمارسان الجنس طوال حياتهما.. قد يكون مجنوناً أو متخلفاً، ولا يعرف الجنس أبداً حتى يموت..  
عندما يموت أحد الزوجين قد لا يتزوج الحي منهما أبداً حتى يتوفاه الله وفاءً للزوج وزهداً في الحياة، أو رعاية خالصة لتربية الأولاد..  
قد لا يتطلب الأمر مع أحد الشباب أن يتزوج، ويظل يعمل ويعمل، ولا تراوده غريزته يوماً على ممارسة الجنس.. حتى يموت..

70 [11، فاطر]

71 [النجم]

72 [القيامة]

في رأيي أن الإعلام والإباحية هما اللذان يُشعلان الغريزة ويؤججاها، هما اللذان يلحقان المرء حتى يضرما النار في غريزته، فيتوهج، ويمارس بهستيرية، ومهما مارس لا تنطفئ لديه الرغبة المضطربة.. وتحول لديه الرغبة إلى إدمان.. هو إدمان، وليس وظيفة طبيعية، مثل الماء والهواء.. منذ أن كثرت ملاحقة الناس بالجنس، والبحث فيه وحوله.. تفتت الأمراض، البدنية والنفسية، حتى أنني لأعد البرود الجنسي حالة نفسية نتجت بطريقة ما عن الهستيرية الإعلامية الثقافية الجنسية.. منذ أن أدرجنا الجنس في إعلامنا وفي ثقافتنا وسينماتنا وكُتبنا وأدبنا وحياتنا ماتت الفضيلة، وانتهكت العفة، وانتشرت الرزيلة، وتزايدت معدلات الجرائم..

منذ انتهكت أخص أسرار الزوجية، وتجراً الناس، وانتزع الحياء عن عرشه فعل الناس ما يشاءون مهما كانت رغباتهم وأفعالهم مُشينة وسيئة..

لسنا في حاجة في رأيي لعرض كل معلومات الجنس على الملأ، وعلى كل ذي سن.. بحجة أن هناك نساء يُعانون من تسرع أزواجهن في العملية الجنسية، أو عدم إشباعهن.. لقد عرض الإسلام هذا الأمر بأعف الكلمات حرصاً منه على عدم إثارة الآخرين، ولقد حل الرسول صلى الله عليه وسلم تلك المشكلة للنساء في الحديث الذي رواه أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا جامع الرجل أهله فليقصد لها ثم إذا قضى حاجته فلا يجعلها حتى تقضى حاجتها"

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا تواقعها إلا وقد أتاها من الشهوة مثل ما أتاك؛ لكي لا تسبقها بالفراغ، قلت: وذلك إلي، قال: نعم! إنك تقبلها وتغمزها وتلمزها فإذا رأيت أنه قد جاءها مثل ما جاءك واقعتها"

وقال الإمام أبو حامد الغزالي: ( رحم الله من غسل واغتسل... ثم إذا قضى وطره [أي الرجل] فليتمهل على أهله حتى تقضي هي أيضاً نهمتها، فإن إنزالها ربما يتأخر فيهيح شهوتها، ثم القعود عنها إيذاء لها، والاختلاف في طبع الإنزال يوجب التنافر مهما كان الزوج سابقاً إلى الإنزال، والتوافق في وقت الإنزال أذ عندها، ليشغل الرجل بنفسه عنها، فإنها ربما تستحي. وينبغي أن يأتيها في كل أربع ليال مرة فهو أعدل، إذ عدد النساء أربعة فجاز التأخير إلى هذا الحد)<sup>73</sup>.

يقول أحد علماء الإفتاء في موقع إسلام أون لاين بعد أن ذكر كلام الغزالي: ((فأمثال هذا من الكلام تجوز قراءته، لأنه مما يعين على قضاء حقوق الزوجة وإعفافها، ولا فرق بين ما كان مكتوباً من أهل العلم الشرعي، أو غيرهم من أهل الطب وعلماء النفس، ما لم يخرج عن حدود الشرع))

وكانت الفتوى رد على سؤال يقول هل يجوز قراءة الكتب الجنسية؟. فجاء في الجواب: ((فإن كنت تقصد بالكتب الجنسية، تلك الكتب التي تشرح كيفية التقاء الرجل بزوجه، بطرق غير مشروعة، فإنها لا تجوز قراءتها ولا النظر فيها؛ ولو احتوت على بعض ما هو مشروع، تغليباً لجانب التحريم، وذلك لما فيها من الحث على الفواحش والمنكرات، وتهيج الغرائز والشهوات))..

فالمشكلة هنا هي تهيج الغرائز والشهوات.. وهذا يُقاس ويسير على المشاهد الجنسية المفصلة العامة بها الرواية..

ثم قال المفتي في سياق الإجابة (بتصرف مني): ((والإنسان لا يحتاج إلى مثل هذه الكتب، لأن اللقاء بين الزوجين أمر فطري يعرفه كل واحد بفطرته، دون حاجة إلى من يعلمه.

وإن كنت تقصد الكتب التي تعلم الرجل والمرأة آداب العشرة الزوجية من خلال الكتاب والسنة وكلام سلف الأمة، فهذا لا شيء فيه، لأنه مما يعين على أمر الدين، ولذلك اهتم به الإسلام، ففي القرآن: (وعاشروهن بالمعروف) <sup>74</sup>، وهو أمر عام يشمل جميع نواحي العشرة، ومنها المعاشرة الجنسية.

وقد وضع الإسلام بعض الآداب؛ لتحقيق الانسجام الزوجي في هذه العلاقة الحميمة من خلال القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته الشريفة وهديه مع زوجاته؛ يقول الله عز وجل: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ} <sup>75</sup>

فالآية تدعو إلى المباشرة الزوجية متى أراد الرجل حتى لا يقع في الحرام، إنما بشرط الملاطفة والمداعبة حتى يتحقق الانسجام والتجاوب بينهما بنفس النسبة.

وفي السنة أمر النبي صلى الله عليه وسلم - بملاطفة المرأة ومداعبتها

[النساء:19] 74

[البقرة:223]. 75

روى مسلم عن جابر أنه تزوج ثيباً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم :

" فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك " . وفي رواية : " وتضاحكها وتضاحكك " وأمثال هذا.

ويوصي الرسول صلى الله عليه وسلم الرجال أيضاً بذلك فيقول: (لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة، وليكن بينهما رسول)، قيل: وما الرسول يا رسول الله؟ قال: (القبلة والكلام).

وأعتقد أن جهاز الفيبريتور يقوم بالقياس بنفس فعل البهيمة عند الجماع.. فهو مجرد أداة تحاكي عضو الرجل التناسلي.. فهو يضرها أكثر مما يفيدها، لأنه ليس هناك مقدمات طبيعية للجماع، وهي التي تحافظ على صحة الإنسان البدنية والنفسية والمعنوية..

وقال: (ثلاث من العجز في الرجل)، وذكر منها: (أن يقارب الرجل زوجته فيصيبها [أي يجامعها] قبل أن يحدثها ويؤانسها ويضاجعها؛ فيقضي حاجته منها قبل أن تقضي حاجتها منه).<sup>76</sup>

ودلت على ذلك سيرته مع نسائه - صلوات ربي وسلامه عليه- فقد كان يقبل نسائه وهو صائم، ويشرب الماء من الموضع الذي شربت منه عائشة وهي حائض، إلى غير ذلك من الآداب وفي كلام الصحابة والعلماء ما يدل على أهمية مراعاة هذه الآداب مع المرأة، التي تمنح المرأة والرجل سواء حقهما في جنس منسجم ولذيذ، عن طريق مُعالجتها بأسلوب عفيف، وكلمات مختارة، تُوحى بالمعنى، وبتنسيق عالي المستوى يُراعي كلا الطرفين، فلا يجور أحدهما على حق الآخر في الاستمتاع والنشوة..

فلقد راعى الإسلام - بحكمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم - المرأة عندما يغيب عنها زوجها مدة طويلة، فبينما عمر بن الخطاب يحرس المدينة، فمر بامرأة في بيتها وهي تقول:

تطاول هذا الليل واسود جانبه وأرقني ألا خليل الأعبه.. فوالله لولا الله تُخشى عواقبه لحرك من هذا السرير جوانبه

فسأل عنها عمر؛ ف قيل له: هذه فلانة، زوجها غائب في سبيل الله. فأرسل إليها تكون معه، وبعث إلى زوجها فأقفه - أي أرجعه - ثم دخل على حفصة، فقال: يا بنية، كم تصبر المرأة عن زوجها؟ فقالت: سبحان الله، مثلك يسأل مثلي عن هذا؟

76 وقد ذكر الحديثين الأخيرين في كتاب [إحياء علوم الدين للغزالي (66/3-67)، باب النكاح، طبعة دار مصر للطباعة].

فقال: لولا أنني أريد النظر للمسلمين ما سألتك، قالت: خمسة أشهر، ستة أشهر.

فوقّت للناس في مغازيهم ستة أشهر، يسIRON شهرًا، ويقيمون أربعة أشهر، ويسIRON راجعين شهرًا<sup>77</sup>

وكذا حث على إعطاء الزوجة حقها في الفراش فقد أخرج البخاري عن وهب بن عبد الله قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء؛ فرأى أم الدرداء متبذلة [أي التاركة للزينة والهيئة الحسنة]، فقال لها: ما شأنك؟

قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا [تقصد النساء].

فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا، فقال: كل فإني صائم.

قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل.

فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم؛ فنام.

ثم ذهب يقوم، فقال: نم.

فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا.

فقال له سلمان: إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه.

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (صدق سلمان).

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، بكل الأدب تشكو من هجران زوجها لها وعدم ممارسته للجنس معها، فقالت بكلمات عفيفة رصينة مختارة رمزية: يا أمير المؤمنين: إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله عز وجل.

فقال لها سيدنا عمر ولم يفهم قصدها في التلميح بكلماتها العفيفة عن مشكلتها: نعم الزوج زوجك.

فجعلت تكرر عليه القول، وهو يكرر عليها الجواب، فقال له كعب الأزدی: يا أمير المؤمنين، هذه المرأة تشكو زوجها في مباحثته إياها عن فراشه.

فقال عمر: كما فهمت كلامها فاقض بينهما؛ ف قضى بأن يعتبر صاحب أربع زوجات، فيكون لها ليلة كل أربع<sup>78</sup>

77 [طبقات الشافعية الكبرى، عبد الوهاب السبكي، (203/1)].

78 [المنتظم، ابن الجوزي، (108/2)، وفقه السنة، السيد سابق، ص(453)، بتصرف].

وقد حث الإسلام على الجماع بين الزوجين بأسلوب رفيع وجذاب.. ففي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (... وفي بضع أحدكم صدقة)، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: (أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر)<sup>79</sup>.

والذي نخرج منه بعد عرض كل تلك النصوص الشرعية هي أن الإسلام حث الزوج على إعطاء الزوجة حقها في الاستمتاع والنشوة، وكذلك عبر عنه بأسلوب راقٍ خالي من الإثارة والشهوة.. كما أنه حث الزوج على معاملة الزوجة بالخصوص معاملة رقيقة في الجماع، وتحري وصولها لحالة النشوة الكاملة، مراعاة لها، وتحقيقاً لحقها في الإشباع الجنسي مع زوجها..

إذاً لا يجوز للزوجة أن تحصل على حقها بطريقة غير شرعية، ولذلك كانت كل تلك النصوص الموجهة للرجل للمحافظة على زوجته، وأداء حقها في الفراش..

وإذا امتنع الزوج عن أداء حقها في الفراش، فهنا من حقها أن تنفصل عنه، وتتزوج رجلاً يؤدي حقها الجنسي في إطار شرعي.. لذلك المحصنة في الإسلام هي المتزوجة، من زوج يؤدي حقها في الفراش بشكل شرعي..

وحكم العادة السرية ووسائلها في الشرع حرام، وهذا ما استطعت الحصول عليه في حكمها:

يقول المولى عز وجل: (( وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ \* إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ \* فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ))<sup>80</sup>

قال المفسرون: إن قول الله تعالى " فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ " في الآية يشمل كل أنواع الاستمتاع الجنسية الخارجة عن إطار العلاقات الزوجية المشروعة.

فضلاً عن أن هناك كثير من الأضرار الصحية والنفسية التي تنتج عن ممارسة العادة السرية.. وما كان مضرّاً فهو محظور شرعاً..

79 [رواه مسلم]  
80 [سورة المؤمنون، 7:5]

وورد في فتوى عن العادة السرية في موقع إسلام أون لاين: ((  
والحاصل أن القواعد العامة في الشريعة تقضي بحظر هذه العادة؛ لأنها  
ليست هي الوسيلة الطبيعية لقضاء الحاجة الجنسية، بل هي انحراف،  
وهذا يكفي للحظر والكرهية، وإن لم يدخل الشيء في حدود الحرام القطعي  
كالزنى.

إنما تحكم هنا قاعدة الاضطرار أيضاً من قواعد الشريعة، فإذا خشي  
الوقوع في محذور أعظم كالزنى، أو الاضطرابات النفسية المضرّة، فإنها  
تباح في حدود دفع ذلك، على أساس أن الضرورات تقدر بقدرها.  
ومعنى ذلك أن الإفراط في جميع الأحوال غير جائز لسببين:  
أولاً: لأنه لا ضرورة فيه، إذ الدوافع إليه عندئذ ابتغاء اللذة لا تخفيف  
ألم الدوافع.

ثانياً: لأنه مضر صحياً دون ريب، وما كان مضرّاً طبياً فهو محذور  
شرعاً، وهذا محل اتفاق بين الفقهاء.  
ويجب الانتباه أخيراً إلى أن من الملحوظ في هذا الحكم شريطتان  
أخريان غير ما يصرح به الحنفية مفهومتان من القواعد العامة أيضاً،  
وهما:

- 1- عدم تيسر الزواج للرجل.
- 2- عدم تمكنه من الصيام الذي أرشد إليه النبي عليه الصلاة والسلام  
في الأحاديث الثابتة؛ ممن لا تساعده ظروفه المادية على الزواج، حيث قال  
عليه الصلاة والسلام: "فعلية بالصوم فإنه له وجاء". عن عبد الله بن  
مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر  
الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن  
للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"<sup>81</sup>. أو إذا كان لجأ إلى  
الصوم، لكنه لم يكف صومه لكسر شدة توقانه.  
هذا والله أعلم..

وعلى كل فإن تعدي الزوجة أو الزوج في استعمال طرق فردية  
لاستجلاب الشهوة ومدعياته هو أمر غريب على بلاد العربية والإسلامية،  
وليس متواجداً فيها، بل يتواجد بشدة في الدول الغربية والأوروبية لأنهم  
أهل فحش وانهلال وفساد، ولأنهم بعيدون عن الانضباط والعفاف الذي  
يتحلى به العرب والمسلمين كونهم أهل فطرة وأخلاق ومروءة وعفاف..

81 أخرجه البخاري (5065) ومسلم (1400) في النكاح. والباءة: الجماع، والوجاء: نوع من الخضاء، أي أن الصوم يقطع شهوة  
الجماع]

### اقتباس:

- ( كيف تبدين الآن يا زينب ؟ هل كان الزمن رقيقاً معك فترك لك قليلاً من السحر القديم؟! أم أنك تحولت إلى سيدة بدينة محجبة كعشرات الألوף اللاتي تعج بهن شوارع القاهرة ويраهن في التليفزيون؟ كم يحزني أن يحدث ذلك...) صفحة 340

سيدة بدينة.. ربما كانت ذلك سيئاً وقبيحاً..  
ولكن سيدة بدينة محجبة.. فهو ما لا أفهمه !!  
وكان كل سيدة بدينة هي محجبة تُخفي قُبْحها بالحجاب.. وكان هذه وسيلة الحجاب مثلاً وغايته ومقصوده.. وكان الفتاة أو المرأة إن لم تكن جميلة أو ساحرة فإنها ترتدي الحجاب !!  
مع أن كثير من الفتيات والنساء الجميلات والساحرات حُسنًا ليس في مصر وحدها يلبسون الحجاب، حتى في أمريكا نفسها، وفي فرنسا، وفي بلاد أوروبية عديدة...، ويتمسكون به لأنه شرع من عند الله عليهن.. فالآخرة عندهن خير وأبقى من زينة الحياة الدنيا، وإظهار المفاتن والعورات تمتعاً بجمالهن المعروض على كل ذي عين..  
هل لأن المرأة تلتزم بالحجاب فهي دميمة المنظر كعشرات الألوף اللاتي تعج بهن شوارع القاهرة، واللاتي لا يلبسنه جميلات حسناوات متفردات..  
ربما يكون محمد صلاح قد هرب إلى أمريكا من إحدى تلك السلبيات المقيمة في شوارع القاهرة.. وكان تلك الشعيرة الدينية اللازمة للمرأة المسلمة أمر منبؤ وغير حضاري..  
ومتى كان اللبس هو الفارق الذي يميز إنسان من إنسان آخر في الرُقي أو الأدب أو التحضر؟!..  
لا أفهم مال الكاتب ومال المحجبات وماله ومال اللبس الفضفاض؟!، ما الذي يضيره من كل ذلك؟..  
أحب أن يرى النساء عرايا في الشوارع غير متشحات بالاحتشام؛ ليمتع غريزته المريضة، ويُغذي موهبته بالأوصاف الفاحشة والمنحلة؟..  
لا أعرف ما هدفه من تلميحاته الساخرة بالحجاب والاحتشام، وترويجاته للعري والأوضاع المائعة والمثيرة، واحتفائه بالتساهل والإباحية والتلاعب بأعضاء اللذة، والتلف لتحصيلها كالساقطات وطالبي اللذة مهما كانت وسيلتها محرمة أو شاذة..

غير أن البائن لي أن تلك أفكار تتلبس ثوب تهكم، وازدراء، وتظل على حالها بدون معالجة أو قرائن تُبين موقف كاتبها..  
فحتى لو كانت آراء الكاتب مختلفة، وهو يرسم فحسب صورة روائية معينة، إنما أسلوبه ذلك يتسم بالغموض والتشيت، ويُسقط المتلقي في حيرة والتباس..

- يصف الكاتب عملية الجنس في كذا موضع بـ:  
اقتباس:

(.. لكنني يا صديقتي لا أستطيع أن أدفع 250 دولاراً في ساعة حب ) [صفحة 62]، ( .. لم يعد في ذهني إلا دوناً.. المرأة الجميلة التي سأمارس معها الحب. ) [صفحة 63]، ( بعدما فرغاً من الحب، استسلمت هي لنوم هادئ على حين ظل هو غارقاً في خواطره ) [صفحة 139]، ( .. أيام الحقائق كما يُسميها كان يأكل ويشرب ويدخن الماريجوانا ويتظاهر وينام ويمارس الحب مع رفيقاته في حدائق شيكاغو الشهيرة.. {كالكلاب} ) [صفحة 182]، ( .. يقضون الليل في المناقشات السياسية وتدخين الماريجوانا والغناء وعزف الموسيقى وممارسة الحب.. ) [صفحة 182]، ( ما أن ظهرت عارية حتى انقضت عليها في عناق حار.. مارسنا الحب مرة أولى، قوية عنيفة.. ) [صفحة 235]، ( قبلتها هذه المرة بعناية وتمهل ثم مارسنا الحب من جديد.. ) [صفحة 236]، ( وتصادف أنه كلما هم بالنوم معها كان يُستدعى إلى الطوارئ حتى لاحت الليلة المأمولة أخيراً: ذهب معها إلى شقتها حيث تعشيا وشربا وتجردا من ملابسهما وبدعا بالفعل في ممارسة الحب.. ) [صفحة 248]، ( كانت عارية تماماً وقد انتهينا لتونا من نوبة حب رائعة.. ) [صفحة 277]، و( مارسنا الحب وصوت فيروز يصدح في المكان وكأنه يباركننا ) [صفحة 281]، ( كان على استعداد لأن يفعل معها الحب مرة بعد أخرى، إلى الأبد.. ) [صفحة 291]، و( صارت ممارسة الحب مرتبطة بالتعاطي ) [صفحة 297]، و( تموت وتبعث من فرط الحب ) [صفحة 297]، و ( يفعل معها الحب مرة بعد أخرى ) [صفحة 297]، و( لا تستغرق نوبة الحب اليومية أكثر من نصف ساعة.. يُسميها طارق "تحية الحب السريعة" ) [صفحة 343]، و( وبعد أن يفرغاً من نوبة الحب يتبادلان حديثاً دافئاً لذيذاً مشبعاً بالراحة ) [صفحة 343]، و( ينامان عاريين ملتصقين ويستيقظان، يتناولان الطعام ويشربان الشاي ويمارسان الحب أكثر من مرة ) [صفحة 343]

المؤلف يعمد إلى تحريف كلمة الحب بوضعها في تصرف وسلوك جنسي بحت، ويُسميه ممارسة محضة..  
لا يوجد غير حب واحد الذي أعرفه.. هو الذي يسمو عن أي اتصال مادي..

هو الذي يجعل المُحب فخوراً بحبيبه، ويضعه في مكانة الملاك.. لا يتصوره في صورة حيوانية، على الأقل في البداية، وإن فكر، فسيكون في إطار الزواج، الإطار الطاهر الذي سيضع ملاكه في مكانه الصحيح الذي يروم إليه..

لن يُلوث تلك التي نبض لها قلبه، وتوثبت لها روحه، ووضعها في مكانة نظيفة عالية، وبعيدة عن مناطق غرائزه السفلية..

كيف يجتمع ما علا، مع ما سفل؟.. كيف يجتمع حب نقي روحي مع جنس غرائزي مادي؟..

بطريقة واحد..

الزواج..

لذلك أخرج برأي خاص.. وهو أن لا علاقة بين الحب والجنس إطلاقاً.. وإن كان الحب يُضيف مُتعة ولذة عاليين إذا كانت العلاقة في إطار

شرعي..

أما ما دون ذلك فاعتقادي الجازم أن هذا ليس حباً إطلاقاً، بل هو حب غريزي أو إغراء وَلِه..

لأن الحب يكون حافزاً على صيانة كل طرف من طرفيه للآخر، حتى صيانتَه من نفسه.. يشبه في المثل جوهرة كريمة يعثر عليها شخص، فيعتز بها، ويريد أن يخبئها عن العيون ويستمتع بها وحده، وعندما يُخرجها من مخبأها يُخرجها بأصابع حريصة رفيقة؛ حتى لا تخدش أظافره جسمها أو تشوه منظرها الجميل.. يريد أن تبقى رائقة نظيفة من غير سوء، في أبهى صورتها.. بعيدة عن عبث الأيدي المتعددة..

فلماذا يُحرف المؤلف الحب ويضعه في تلك الصورة الحيوانية الدنيئة.. حتى أن الشخصيات في الرواية يُمارسون الجنس في غير نطاق الزواج..

إنهم لا يستحقون تسمية طرف العلاقة بـ "حبيين"، فضلاً عن أن تُسمى تلك العملية بجماع.. لأن تلك الكلمة تُوصف بها العملية التي يقوم بها زوجين شرعيين..

لا يجمع بين حب روحي (الحب الحقيقي)، وبين ممارسة جنسية لذكر وأنثى إلا بعلاقة مقدسة تُسمى في الشرع.. النكاح.. أو الزواج..

اقتباس:

- (.. تتجرد في الفراش من ثيابها جميعاً ما عدا لباسها الداخلي ) ( الذي اتفقا على اعتباره خطأ أحمر لا يُمكن تجاوزه بأي حال ) (صفحة 343

أعتذر عن إدراجي لهذه الاقتباسات، لكني مضطر لإثبات أفكار معينة رداً عليها..

هذا الجزء يتحدث عن طارق وشيماء، وهو يُدلل على فكرة معينة كنت طرحتها من قبل في نقد رواية عمارة يعقوبيان، وهو أن الراوي يريد إقناع القارئ أن شرف الأنثى يتعين في مكان محدد من جسدها، بالتحديد في الجهاز التناسلي، هو خط أحمر، أما ما عدا ذلك من جسمها، فهو مُباح لمسه بأسلوب الجنس.. حتى لو لمس جسمها غريب عنها على سبيل النشوة والشهوة والجنس فلا غبار عليه أو عليها، لأن الأحاديث (الشريفة) حددت أن الزنى هو دخول اللحم في اللحم كالمزود في المُحَلَّة، والعقوبة الشرعية على الزنى فقط، وهو المذكور بشرطه.. أما ما عدا ذلك فمباح أو مندوب...

كنت أبحث في هذا الأمر بشكل شرعي ونصي، من علماء كبار، فوجدت هذه الفتوى:

(( هل يجوز للرجل أن يفعل حراماً مع امرأة أجنبية عنه، إذا كانت نيته حسنة ؟

ج: هذا شيء يفعله الجاهل من الرجال أو المخادعون منهم، كما يفعل من قال بأنه زنى بفلانة التي تحبه إشفافاً عليها مما يمكن أن تصاب به من القلق والاكتئاب!، وكما يفعل من زنى بخطيبته مدعياً بأنه يريد أن يتأكد من أنه صحيح جنسياً!، وكما تقبل امرأة فلاناً من الرجال بدعوى أنها أرادت أن تكسب وده حتى يتزوجها بعد ذلك!، وكما تفعل تلميذة تختلي بزميلها في ثانوية باسم مراجعة الدروس!، إن هذا وغيره كله حرام مهما كانت النية الباعثة عليه حسنة. إن ديننا يُعلمنا بأن النية الحسنة (إنما الأعمال بالنيات) تراعى فقط في الطاعات والمباحات. أما المعاصي فهي حرام مهما كانت النية حسنة. ))

تأكيداً بالخط تحت الجُمْل المهمة رداً على المسائل المسرودة في الرواية بنصها..

ولقد وجدت أنه يحرم نظر الرجل الأجنبي إلى نحر المرأة الأجنبية عنه، أو صدرها، أو أرجلها وساقها...، فما بالك بلمس كل ذلك، على سبيل الشهوة والمُداعبة الجنسية...

لا يجوز له أن يرى منها إلا الوجه والكفين (ما دامت أجنبية عنه بطبيعة الحال)

وكلما توغلْتُ في الشرع، وجدت فيه أنه كله يُحرم ويُحذر الرجل من الاقتراب من امرأة أجنبية عنه، فما بالك بلمسها، ولمسها للشهوة الكبرى...!!؟

وتلك طائفة من الأسئلة، وأجوبتها من شيوخ كبار، عن الفقهاء الأربعة وغيرهم تزيل اللبس عن الأفكار المدسوسة في الرواية:  
اقتباس:

س: ما المقصود بالخلوة الشرعية، وما حكمها؟  
ج: الخلوة الشرعية هي أن يوجد رجل وامرأة أجنبية عنه في مكان لا يوجد معهما فيه إلا الله ثم الشيطان. فإذا كان معها في بيت لا يكون مختلياً بها إلا إذا كان الباب مغلقاً عليهما من الداخل. والخلوة بالأجنبية حرام بلا خلاف بين اثنين من العلماء، وصدق رسول الله-ص- حين قال: "ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما".

س: ما الحكم في مصافحة الرجل للمرأة أو العكس؟  
ج: حرم بعض العلماء ذلك وأجاز ذلك آخرون، ولكل فريق أدلته التي اعتمد عليها.

س: يقال بأن الذي لا يزني حتى يتزوج قد يُصاب بالكبت الذي يبقى يعاني منه حتى يتزوج، أو يبقى يعاني منه طيلة حياته. هل هذا صحيح؟

ج: صحيح أن على الشاب أن يبذل جهداً كبيراً حتى تمر عليه مرحلة المراهقة وبداية الشباب بدون أن ينحرف ويقع في الزنا. وصحيح أنه إذا أراد أن يتزوج وهو سالم (من الأذى) وغانم (للأجر)، عليه أن يستعين بالله ثم بالصيام والصلاة والقرآن والذكر والدعاء والرياضة والمطالعة الدينية و.. ولكن إذا روعي ذلك من طرف الشاب المسلم فإن المقولة المذكورة في السؤال تصبح لغواً في لغو، وصدق الله الذي حرم الزنا، ولا يحرم الله علينا إلا ما يضرنا، وكذب من خالفه ممن شجع على ما حرم الله. أما حكاية الكبت فهي حكاية فارغة يكذبها العلماء والأطباء وكذا ملايين المسلمين في العالم الذين تزوجوا وهم أطهار ولم يُصَب أحدٌ منهم بكبت أو بما يشبه الكبت، والله الحمد والمنة.

س: هل يعرف الرجل بصفة آلية كيف يُجامع زوجته عندما يتزوج بدون أن يتعلم قبل ذلك؟

ج: يستطيع أغلب الرجال أن يمارسوا الجنس بطريقة صحيحة وبشكل آلي بدون أن يمارسوا الجنس قبل ذلك وبدون أن يتعلموا من قبل كيفية ممارسته. ومع ذلك فإننا نؤكد على أن الذي تعلم ذلك قبل الزواج من وسائل إعلام دينية وعلمية وطبية أفضل بكثير من الذي لم يتعلم. أما أن يدعي شخص بأنه لا بد للرجل أن يزني قبل الزواج حتى يمارس الجنس مع زوجته بشكل صحيح وسليم، فهذا كلام باطل ليست له أية قيمة شرعية أو علمية أو واقعية.

### اقتباس:

س: هل يجب الغسل على الزوجة عندما يجامعها الرجل وهو مستعمل لواقى (مثل ال Preservatif) بحيث لا يصل الحيوان المنوي إلى جسم المرأة وإلى رحمها؟

ج: قال النبي-ص:- "إذا جلس بين شعبها الأربع، ثم جهدها فقد وجب الغسل". وفي رواية أخرى: "ومس الختان الختان"، وذكر الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- أن في المسألة ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يشترط لوجوب الغسل أن يكون الإيلاج بلا حائل، والقائلون به قالوا بأنه مع الحائل لا يصدق مس الختان للختان ولا التقاؤهما، لذا فلا يجب الغسل. والثاني: أن الغسل واجب ولو مع وجود الحائل، واستدل أصحابه بعموم قوله-ص- (ثم جهدها) قالوا: والجهد يحصل ولو مع الحائل. والثالث: أن الحائل إن كان رقيقاً بحيث تكمل به اللذة وجب الغسل، وإن لم يكن رقيقاً فلا يجب الغسل، ووضح أن هؤلاء سلكوا المسلك الوسط للجمع بين القولين. قال الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- عن القول الثالث: وهذا أقرب، والأحوط الغسل، والاحتياط أن تغتسل المرأة خروجاً من الخلاف. ثم قال: وهذه الأقوال محلها إذا لم يخرج من المرأة مني (والعادة أن مني المرأة لا يخرج كما قلت أكثر من مرة)، وإلا فإن الغسل يجب عليها قولاً واحداً.

وهذا السؤال وإجابته رداً على أن الشرط أن يكون اللحم في اللحم....  
اقتباس:

- (.. معنى الزنى دخول اللحم في اللحم كالمرود في المَحْطَة ..) صفحة 344

حيث أن الأمر كله مس.. إنما العبرة في رأيي هي بشرف المرأة أولاً في عفتها، وحفاظها على جسمها كله من مساس رجل غريب عنها، بإحساسها أنها مصونة، محفوظة من استغلال أو اغتصاب، حافظة لقيمة الشرف والعفاف والرفعة في نفسها.. إحساسها بأنها جوهرة مغلقة بعيدة عن عبث الأيدي الغريبة عنها..

إحساسها بكرامتها الراقية عندما تمس جسمها يد واحدة، تُحابي عليه، وتُقرِّبه لها بشرع الله أو بطقوس أهمها الإشهار، وفي ذات الوقت تبعد جسمها عن أيادي مُخرَبة مغتصبة، تفترس ما أمامها تبغي أن تُحصل غريزتها المادية وحسب..

نحن عبارة عن روح وجسد، اختبرنا الله عز وجل بصيغة الخلق تلك.. وهناك صلة وثيقة بينهما، إذا مس الجسد شيء حرام فإنه وجب على الروح أن تشقى وأن تتعذب، وإن مس الروح طمأنينة وراحة فوجب على الجسد أن يشعر بالسكينة والهدوء والراحة حتى لو كان يتألم..

الشرف مكنونه في الروح، والجسد مادة الروح، إذا اقتترف الجسد شيء منه، إذا ارتكب شيء يطعن في المبادئ الرفيعة التي تُحافظ على سمو الروح، فإنها تذبل وتذل، وتأن وتتلوى..

وأكمل بعض الأسئلة والأجوبة المهمة التي تناقش وترد على بعض المسائل والشبهات التي وردت في الرواية بدقة مثيرة للدهشة:  
اقتباس:

س: ما العلاقة بين عفاف الزوج بعد الزواج وسعادة الزوجة ؟  
ج: هناك علاقة وثيقة. إن من أشق الأشياء على نفس الزوجة أن تشعر بأن زوجها ليس عفيفاً، فتارة ينظر إلى هذه، وتارة يكلم هذه، وتارة يسترسل في علاقة محرمة مع تلك، و.. ويسقط الزوج من عين الزوجة، وتشعر أنها تعيش مع رجل تحركه الأهواء والشهوات، وقد يتخلى عنها إذا ذهب جمالها. وشتان شتان بين هذا وبين زوج يخاف الله، ويغض بصره، ويغلق على نفسه أبواب الفتنة، ويعيش لزوجته، ولها فقط، ويتأسى بنبي الله يوسف-ص- عندما عُرضت عليه الفتنة سهلة ميسورة، فركلها بقدمه، خوفاً من الله عز وجل.

س: ما معنى أن العفة قد تؤذي وقد لا تؤذي ؟  
ج: معناها أن هناك حالتين: ١- إذا كان الشخص دائم التعرض للمثيرات الجنسية وكانت صحته ليست على ما يرام، فإن العفة قد تؤذي. والمثال على ذلك شباب من الجنسين تعودوا على الاختلاط الفاحش ببعضهم البعض ثم التزموا جانب العفة، إن هذه العفة قد تضرهم حيث ينجم عن الغريزة الجنسية المثارة احتقان في المجاري البولية قد يتحول مع الوقت إلى حالة مرضية. ومن هنا فإن الدين يطلب منا أن نتجنب المثيرات الجنسية ما استطعنا، وذلك بأن نغض البصر ونتبعد عن الخلوة والاختلاط وسماع الغناء الخليع وقراءة القصص الغرامية وأن لا نخالط المنحرفين والعصاة من الرجال والنساء. و...ب- أما إذا كان الشخص يتمتع بصحة جيدة ولم يتعرض لمثيرات جنسية عنيفة، فإن العفة لا تؤذي لا من قريب ولا من بعيد. ومن هنا فإننا نسمع عن ملايين من الرجال في الثلاثين أو الأربعين من عمرهم لم يمارسوا الجنس مطلقاً، ومع ذلك فإنهم يتمتعون بصحة عقلية وبدنية لا غبار عليها.

س: هل يجوز للرجل أن ينظر إلى ثديي أخته أثناء إرضاعها لرضيعها ؟  
ج: لا يجوز لأن ذلك من عورتها أمام محارمها من الرجال.  
س: النظر إلى عورة امرأة أجنبية أثناء الصلاة، هل يبطلها أم لا ؟  
ج: عمل الشخص حرام. هو حرام في غير الصلاة وهو أشد حرمة أثناء الصلاة. أما الصلاة فصحيحة إذا تمت بشروطها وأركانها وإن كان أجراها أقل.

لقد وجدت أنه قبل لمس الرجل للمرأة الأجنبية هناك ألف عقبة وقضية يضعها الشرع للحؤول دون لمسها، قضايا حساسة تجعل النظرة حتى إليها

**محرمة، ناهيك عن ممارسة من فوق الإزار أو من الجزء الأعلى من جسد المرأة إذا كانت حائض.**

**ألف تفصيل وتفصيل يستدعي التطرق إليهم قبل الشروع في تفاصيل خاصة بالجنس والزنى، وما شابه..**

**هناك قضية الإحصان، وقضية الاختلاط، وقضية المحارم...**

**وهناك قضية عورة المرأة المسلمة إلى المرأة المسلمة، وعورتها إلى الكافرة، والعكس، ثم هناك عورة المرأة إلى الرجل والعكس...**  
**اقتباس:**

عورة المرأة المسلمة التي يجب سترها أمام المرأة المسلمة هي ما بين السرة والركبة، سواء كانت قريبة أم بعيدة، كعورة الرجل أمام الرجل..  
وأما عورة المرأة المسلمة عند الكافرة ففي تحديدها خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يرى أنها كعورة المرأة المسلمة أمام مثلها؛ واستدلوا بقول الله عز وجل: (( وَلْيُضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ ))؛ فإن الله عز وجل أمر المرأة بالحجاب أمام الرجال ما عدا المحارم؛ وقالوا إن المراد بالنساء: المسلمات وغير المسلمات؛ وأن مما يدل على ذلك: أن اليهوديات والنوثيات كن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يدخلن على أزواجه لحاجتهن، ولم يحفظ أن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن كن يتحجبن منهن، وأمهات المؤمنين هن أتقى النساء وأفضلهن، ولا أنهن أمرن بالحجاب منهن؛ ومما استدلل به - أيضاً - : حديث أسماء رضي الله عنها قالت: استفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: ( إن أمي قدمت وهي راغبة، أفأصل أمي ؟ )، قال: (( نعم صلي أمك )) رواه البخاري؛ وهذا يلزم منه رؤية أمها لها، ولم يأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحتجاب منها، فدل على أنه لا يلزمها ذلك وأن عورة المسلمة أمام الكافرة كعورتها أمام المسلمة. وهذا الذي رجحه بعض مشايخنا.

ويرى جمهور العلماء أن عورة المرأة المسلمة أمام الكافرة كل بدنها سوى الوجه والكفين؛ واستدلوا بالآية السابقة وأن المراد بنسائهن: النساء المسلمات، أما المشركات والكتابيات؛ كما استدلوا بجملة من الآثار عن الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم؛ وبأدلة من المعنى منها أن الكافرات لا يجدن رادعاً إيمانياً يمنعهن عن وصف المسلمات للرجال من الكفار والفساق.

وقال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره: " قوله: ( أو نسائهن ) يعني: تظهر بزینتها أيضاً للنساء المسلمات دون نساء أهل الذمة لئلا تصفهن لرجالهن.

وذلك وإن كان محذوراً في جميع النساء إلا أنه في نساء أهل الذمة أشد، فإنهن لا يمنعهن من ذلك مانع؛ فأما المسلمة فإنها تعلم أن ذلك حرام فتتزجر عنه، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (( لا تباشر المرأة المرأة تنعتها لزوجها كأنه ينظر

إليها )) أخرجاه في الصحيحين ". وذكر آثاراً عن السلف في ذلك.  
وعلى كل فينبغي التنبيه إلى أن المرأة المسلمة مطلوب منها الاحتشام والتحلي  
بالحياء، فلا تكشف أمام النساء إلا ما جرت العادة بكشفه أو دعت الحاجة لكشفه؛  
ويتأكد هذا الأمر أمام الكافرات، وفي المجتمعات التي توجد فيها فاسقات، ولا سيما  
في هذا الزمن الذي انتشرت فيه الوسائل التي يتيسر معها لأهل الشر والفجور  
تصوير النساء على غرة.

وقد نصّ الفقهاء - رحمهم الله - على أنه يجب على المرأة أن تتحجب عن  
المرأة والمحرم متى كان يخاف منه الفتنة. ومن يعرف شيئاً من حقيقة ما يعرف  
بالإعجاب بين الفتيات والنساء يدرك معنى كلام الفقهاء رحمهم الله.

وأخيراً أود أن أنبه إلى أن الصواب أن تقول ما حكم كذا...، والمسلم إنما يسأل  
عن الحكم الشرعي، وهذا الحكم قد يكون منصوصاً عليه شرعاً فتصح نسبته  
للشرع، وقد يكون اجتهادياً فينسب إلى قائله من أهل العلم فرداً كان أو جماعة.. ولا  
يجزم بأنه هو شرع الله.

والله تعالى أعلم.

أجاب عليه فضيلة الشيخ د. سعد بن مطر العتيبي.

هذه قضية..

وهناك قضية تسليم الرجل على المرأة، والعكس..

وهناك قضية الاختلاط..

قضية الحجاب..

وقضية نظر الرجل للمرأة، والعكس، والآيات الكريمة والأحاديث  
الشريفة، التي تحرم ذلك وتحذر منه:

(( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ  
إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ {30} وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ  
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ  
عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ  
أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ  
نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ  
الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا  
يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ  
{31} وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا  
فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ {32} وَلَيْسَتْ عُفُوفٌ الَّذِينَ لَا  
يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ )) 82

كان الأمر يشغلني كثيراً، ولم أستطع الرد برغم قناعتني فطرياً أن الكلام في الرواية يُنافي العقل والفطرة والعُرف..

لكنني بحثت، ووجدت عدة قضايا في إطار فتاوى أو أسئلة وأجوبة..  
وجدتها كلها مجموعة في مكان واحد، وكأن الله سبحانه وتعالى سخرها لي.. ما أن اطلعت عليها حتى ارتاح بالي، وأحسست بالطمأنينة التي كان يطلبها سيدنا إبراهيم في كيفية إحياء الموتى..  
إن الذريعة التي يضعها الراوي في الرواية هي ذريعة باطلة، ومُحرفة ومنحرفة، ومُلتبسة..

إذا كان اختلاط الرجل بالمرأة حرام، واختلاطهما بمفردهما في مكان مُغلق حرام..

وإذا كانت النظرة بشهوة إليها من قبل الرجل حرام..  
وإذا كان التسليم عليها لا يجوز، حتى أن الأمر فيه أقوال كثيرة لمجرد التسليم على قريبة..

وتحدث المرأة مع الرجل الأجنبي، والمُبالغة في ذلك، ويا حبذا لو كانت تخضع بالقول بصوتها الحسن، الذي يُثير من في قلبه مرض..

ووجوب تغطية الشعر بالحجاب حتى لا يراه الأجانب عنها فيعجبهم حُسنه، ووجوب تغطية النحر، تبرج الجاهلية الأولى، بالنسبة للمرأة، والتحذير من مشي النساء وفي أقدامهم خلاخيل تُبرز حُسن أجسامهن، والتحذير من التزين والتعطر قريباً من الرجال الأجانب عنها..

وإذا كانت هناك عورة للمرأة يجب أن تُستر أمام المرأة مثلها...  
فما بالكم بعورتها أمام الرجال الأجانب عنها....

مسائل ومسائل لا تنتهي قبل مس الرجل للمرأة، ثم الراوي يقول أن فعل الزنى هو خط أحمر في جسم المرأة يُحدد بفرجها مكان الجماع؟!، وما عدا ذلك من جسمها والعبث به من قبل رجل أجنبي لا يُعد زنى!!!..

من هو كي يُقرر ذلك.. أهو الشيخ المُفتي، أم المُجتهد الدارس.. لقد اطلع الرجل ووجد عدة أحاديث لا صلة بأمر عدم الزنى بأي شكل من الأشكال..

وحتى لو كانت تلك الأفكار أفكاراً تطراً عن شخصية سيئة رصدها الراوي، وكتب عنها.. ففي رأيي أن هذا خيانة للفن.. وخيانة للمتلقي..  
وخيانة للأدب.. وخيانة للأمانة.. وخيانة للمسؤولية..

وهاك طائفة غفيرة من المسائل التي بحثت فيها:  
اقتباس:

## •• مسائل في النظر عامة

— مسألة: ما المقصود بالنظر بريبة؟

الجواب: نظر الريبة يعني نظر السوء، وهذا ما يعرفه من نفسه كل إنسان بالغ سنّ النكاح.

— مسألة: هل يجوز النظر إلى صورة لوجه امرأة أجنبية سافرة لا بقصد الشهوة، وإنما لجمالها كما ينظر إلى شجرة خضراء يانعة؟  
الجواب: النظر لجمالها هو الشهوة.

مسألة: هناك من يقول: إن التكلم مع المرأة والنظر في وجهها بدون تأثر بها دليل التقوى. أما أن يتكلم الرجل مع المرأة ويهاب النظر إليها فذلك دليل عدم امتلاك الجراءة على الحديث خوفاً من التأثر بها، فما هو رأي الشرع في هذا القول؟  
الجواب: ليس التأثر دليلاً على عدم التقوى، وليس عدم التأثر دليلاً على التقوى، وإنما ترك الكلام والنظر إلى الوجه والكفين بالنسبة لمن يتأثر أفضل، بل يحرم إذا خاف الفتنة.

مسألة: ما هي حدود النظر إلى المرأة المحرمة؟

الجواب: يجوز النظر إلى الوجه والكفين بلا ريبة، هذا في الأجنبية. وأما في المحرم كالأخت والبنت والأم، فيجوز النظر إلى كل جسدها ما عدا العورتين من دون ريبة.

مسألة: ما هي حدود جواز نظر الأجنبية إلى بدن رجل أجنبي؟

الجواب: يجوز النظر إلى ما تعارف كشفه لدى الرجال كاليدين والرقبة، ولكن الأحوط استحباباً تركه.

مسألة: النظر إلى الأجنبية حرام، لكن هل يعدّ حقاً من حقوق الآخرين، يعني هل يستطيع المولى تعالى أن يغفره، أو هو متوقف على إبراء الذمة كالغيبة؟  
الجواب: النظر إلى الأجنبية حرام، ويعتبر في ذاته حقاً من حقوق الله، ولكن لو كان النظر إليها رغماً عليها وبالرغم من تسترّها كمن ينظر إلى بيوت الناس المستورة بطريقة الإغفال من قبيل الإشراف من على الحائط أو من ثقب موجود في الحائط غفل عنه أهل البيت، وكمن يتعمّد النظر إلى امرأة محجّبة في ساعة صادف أنّ الريح أسفر حجابها عنها من دون اختيارها وما إلى ذلك، فهذا زائداً على ما فيه من مخالفة حقّ الله فيه أيضاً مخالفة حقّ الناس.

مسألة: هل النظر إلى المرأة الأجنبية العلوية يعتبر نظراً إلى عرض الرسول (ص)، فهل هذا الكلام صحيح؟

الجواب: احتمال اشتداد الإثم موجود.

مسألة: هل يجوز للنساء النظر إلى بدن الرجال لغرض زرق الإبر أو سائر الأعمال الطبية بدون قصد اللذة؟

الجواب: لدى الضرورة وعدم اللمس وعدم اللذة يجوز.

مسألة: هل يجوز النظر إلى وجه المرأة الجميلة عن تلذذ ولكن غير شهواني، بل تلذذ يحصل له بالنظر إلى المناظر الطبيعية الجميلة؟

**الجواب:** النظر إلى وجه المرأة الجميلة بتلذذ نظر شهواني، وقياسه إلى المناظر الطبيعية لا معنى له.

**مسألة:** نرجو من سماحتكم أن تشرحوا لنا هذه المسألة التي وردت في تحرير الوسيلة في باب النكاح، وما هو رأي سماحتكم فيها؟

(... لا إشكال في عدم جواز نظر الرجل إلى ما عدا الوجه والكفين من المرأة الأجنبية من شعرها وسائر جسدها سواء كان فيه تلذذ وريبة أم لا، وكذا الوجه والكفان إذا كان بتلذذ وريبة. وأمّا بدونها ففيه قولان بل أقوال: الجواز مطلقاً، وعدمه مطلقاً، والتفصيل بين نظرة واحدة، فالأول، وتكرار النظر فالثاني، وأحوط الأقوال أوسطها) ولكم من الله الموفقية ودمتم سالمين.

**الجواب:** هذه العبارة تدل على وجود أقوال ثلاثة في مسألة نظر الرجل إلى وجه المرأة الأجنبية وكفها بدون تلذذ وريبة:

الأول: الجواز.

الثاني: عدم الجواز.

الثالث: جواز النظرة الأولى وحرمة تكرار النظر. وتقول العبارة: «إنّ الأحوط هو عدم الجواز».

أمّا رأيي فهو الجواز.

---

•• مسائل في النظر للعودة

**مسألة:** ما هي حدود عورة المرأة بالنسبة إلى محارمها؟

**الجواب:** هي القبل والدبر.

**مسألة:** هل يجوز نظر المرأة إلى عورة المرأة؟

**الجواب:** لا يجوز ذلك.

**مسألة:** هل يجوز النظر إلى عورة الغير من وراء الزجاج والمرآة والماء الصافي؟

**الجواب:** لا يجوز.

**مسألة:** إلى أي سنة من عمر الطفل يجوز فيه لأمه النظر إلى عورته؟

**الجواب:** يجوز النظر إلى عورة الطفل غير المميز.

**مسألة:** هل يجوز كشف العورة أمام الدكتور المختص في إنجاب الأولاد، وهل يفرق بين المباشر للفحص وبين غير المباشر، وعلى فرض الجواز هل يجوز أكثر من مرة إذا اقتضى الأمر، أم لا يجوز؟

**الجواب:** مع الضرورة وعدم الريبة يجوز.

**مسألة:** هل يجوز أن يلامس الشخص عورة الآخر، أو الرجل يلامس جسم المرأة كالعودة والثدي مع وجود الحاجز اللباس مع فرض عدم حصول الهتك وعدم حصول الشهوة؟

**الجواب:** اللمس من وراء الحاجب مع الشرط الوارد في مفروض السؤال جائز، ولكن تحقق هذا الشرط فرض نادر خصوصاً في لمس عورة المرأة وثديها.

## •• مسائل في الحجاب

مسألة: ما هو الحدّ الشرعي في لباس النساء؟

الجواب: حدّه أمران: أحدهما: حفظ الحجاب الشرعي من ناحية الستر، والثاني: عدم إبراز الحجم من مواضع البدن التي يثير إبراز حجمها المفسد للشباب.

مسألة: هل يكفي في الحجاب الواجب على المرأة لبس مثل البنطال والقميص، أو الفستان مع الجورب، أو سائر الألبسة التي لا ينتفي معها محذور التجسّم، مع فرض عدم محذور آخر كالفتنة ولو لأجل شيوع مثل هذه الألبسة في بعض البلاد؟ وعلى كلا الفرضين هل تكفي مثل هذه الألبسة في صلاة المرأة في بيتها مع عدم نظر الأجنبي؟

الجواب: ستر ما عدا الوجه والكفين كافٍ في الصلاة، أمّا لدى غير المحارم فبروز النتوءات لا يخلو عادة من ترتّب الفتنة ولو لأجل استلزام شيوع مثل هذه الألبسة بين المتديّنات.

مسألة: هل يجوز لزوجّة الأخ أن تخرج رقبتها وشعرها أمام أخ الزوج.

الجواب: لا يجوز.

مسألة: وإذا كان لا يجوز مُطلقاً فهل يجوز لأخ الزوج منع ذلك إذا كانا في بيت أخ الزوج؟

الجواب: يجوز.

مسألة: هل يعتبر الجورب ساتراً شرعاً لساق المرأة عن نظر الأجنبي لها؟

الجواب: المقياس في الستر هو أن يمنع عن رؤية الجسم.

مسألة: هل يجوز للمرأة أن تغطّي شعرها بغير الساتر المألوف المتّخذ من القماش كالقبعة لو أمكن تغطية الرقبة بشيء آخر.

الجواب: نعم، يجوز.

مسألة: هل يجوز للمرأة كشف وجهها وكفيها في الأسواق وأماكن البيع والطرق المزدحمة بالرجال، أو في أثناء مرور العزاء؟

الجواب: نعم، يجوز ذلك.

مسألة: الشارع الأمريكي والبيئة التي تسكن فيها المرأة والدائرة التي تعمل فيها لا يسمح للمرأة أن تلبس الحجاب، وهي لم تتعود عليه أيضاً فما حكمها؟

الجواب: لا بدّ من التحجّب عن الأجنبي فيما عدا الوجه والكفين.

مسألة: ورد في المسألة رقم 1233 من منهاج الصالحين - كتاب النكاح - للسيد الخوئي: (... بل يجب عليها ستر الوجه والكفين من غير الزوج حتى المحارم مع تلذّذه، بل عن غير المحارم مطلقاً على الأحوط...) والسؤال: ما هو نوع هذا الاحتياط في هذه المسألة هل هو وجوبي؟

الجواب: هذا الاحتياط وجوبي.

وما هو رأي سماحتكم في هذه المسألة؟

الجواب: لا يجب ستر الوجه.

مسألة: هل يجوز للمرأة كشف شعرها أو بدنّها أمام زوج أختها؟  
الجواب: لا يجوز.

مسألة: لو لبست المرأة قبعة مغطّاة بالشعر الطبيعي أو الاصطناعي (وهو ما يسمّى بالباروكة) بحيث سترت بذلك ما عدا وجهها، فهل يكفي ذلك في تحقيق الحجاب الشرعي بناءً على عدم وجوب ستر الوجه؟ وهل يفرق الأمر فيما لو ظهرت بذلك أجمل ممّا هي عليه في وضعها الطبيعي بحيث يعدّ ذلك زينة لها ولو لم تقصد هي التزيّن بذلك، أو لا؟

الجواب: لا يجوز ذلك لأن الشعر سواءً كان حقيقياً أو باروكة يعتبر زينة في ذاته حتى ولو لم تظهر بذلك أجمل، فيشمّله قوله تعالى: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ).

مسألة: هل يمكن الاستفادة من الألوان الفاتحة مع المحافظة على حدود الحجاب الشرعي؟

الجواب: إذا كانت تلك الملابس تُعدّ من الزينة فلا يخلو ذلك من إشكال طبقاً للآية: (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ)، وإذا لم تُعدّ من الزينة فلا إشكال في استعمالها.

مسألة: هل يعتبر في لباس المرأة أمام الأجانب عدم كونه ملوناً بشكل قد يلفت النظر نتيجة لطبيعة الألوان وشكل اللباس، أم يكفي فيه كونه ساتراً للجسد غير مبرز للمفاتن؟

الجواب: إن لم يكن يعتبر من الزينة جاز وإن اعتبر من الزينة دخل في عنوان لا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن.

مسألة: توجد امرأة متديّنة ولكن زوجها يصرّ على كشف وجهها وشعرها وساقها، وإذا لم تفعل تتعرّض للطلاق، فما هو الحكم الشرعي في ذلك؟  
الجواب: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

مسألة: هل يجب على الزوجة أن تستر وجهها من الأجانب إذا أمرها زوجها بذلك بالرغم من أنّ المجتهد الذي تقلّده لا يقول بوجوب ستر الوجه؟  
الجواب: لا يجب.

مسألة: إذا خيّر رجل زوجته بين الطلاق والسفور ماذا تختار؟

الجواب: تختار الطلاق.

مسألة: هل يجوز للزوجة أن تحيّي أصدقاء زوجها وترحب بهم مع مراعاة حجابها؟

الجواب: هذا جائز من دون الخضوع بالقول.

## •• مسائل في التزيّن

مسألة: ما هو المرجع في الحكم على الشيء بأنّه زينة بالنسبة للمرأة؟

الجواب: المرجع هو العُرف.

مسألة: هل يعدّ ما تعارف لدى النساء من إزالة بعض الشعر من الحاجبين والوجه زينة؟

الجواب: ليس هذا من الزينة المحرّم إبرازها.

**مسألة:** هل يعتبر الكحل بجميع أنواعه من الزينة؟  
**الجواب:** ما كان متعارفاً في سالف الزمان من الكحل الأسود ليس من الزينة التي يحرم إبرازها.  
**مسألة:** هل يكون الستر واجباً حين استعمال الكحل للعلاج؟  
**الجواب:** لا يجب ستر الوجه عند استعمال الكحل الأسود.  
**مسألة:** هل تعتبر الحلقة والخاتم في كف المرأة من الزينة المحرم إظهارها؟  
**الجواب:** لا تعتبر الحلقة ولا الخاتم من الزينة المحرم إظهارها.  
**مسألة:** ما هو حكم الزينة بالنسبة للمرأة على وجهها وكفيها بناءً على جواز كشفهما؟ وما مدى حدود الزينة إن كانت جائزة؟  
**الجواب:** الزينة التي كانت مألوفة في زمن المعصومين (عليهم السلام) كالكحل الأسود أو الخاتم جائزة.  
**مسألة:** هل يجوز للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها؟ وعلى فرض الجواز هل يجوز لها تزجيج الحاجبين أو وضع شيء من المساحيق على وجهها أو كفيها مع خروجها في الشارع؟  
**الجواب:** يجوز من دون وضع المساحيق.  
**مسألة:** هل يجوز للمرأة التي تملك عبداً وأن تظهر زينتها أمامه؟  
**الجواب:** الأحوط الترك.

#### •• مسائل في الاختلاط

**مسألة:** يتعرض الطالب المسلم والطالبة المسلمة في دراستهما في البلدان غير الإسلامية للكثير من الإحراجات والمخالفات الشرعية، منها الخلوة بالمدرس أو المدرسة في مكتب مغلق لمناقشة أمور دراسية، ومنها الإطلاع على عورة الأجنبي والأجنبية كجزء من منهج الدراسة كما هو الحال في دراسة الطب مثلاً، علماً بأن رفض مثل هذه الأمور قد يؤدي إلى إلغاء نتيجة الطالب أو الطالبة مما يؤدي إلى تخلف قطاع المتدينين عن التصدي لوظائف ضرورية في المجتمع وتركها لتكون نهياً لغير المتدينين الذين غالباً ما يكون تصديهم لتلك الوظائف ملازماً للكثير من المخالفات الشرعية. ما هو الموقف الشرعي المطلوب في مثل هذه الحالة؟  
**الجواب:** الخلوة بمقدار مناقشة الأمور الدراسية ومن دون بيتوتة ليست حراماً بشرط الوثوق بعدم تأثير ذلك في تورط المسلم في الحرام أو الانحراف الروحي. وعورة الكافر المماثل لا حرمة لها، والأمر أيضاً مشروط بالتأكد من عدم وقوع المسلم في الحرام أو الانحراف الروحي.  
**مسألة:** قد يحصل حال العمل أن نحل ضيوفاً على بعض العوائل ممن لا تلتزم نساؤهما بالحجاب، ومتعارف لديها الاختلاط بالأجنبي، فكيف ترون عملنا في هذه الحالة؟

**الجواب:** يجوز لكم ذلك على شرط أن لا تنظروا إلى نساءهم بريية.  
**مسألة:** في جو الجامعات العلمية يحصل الاختلاط بين البنات والبنين، وهناك

مجالات عمل مشتركة بين المدرّس والطالبة، والأستاذ والأستاذة، والطالب والطالبة، فما هي حدود الشريعة الإسلامية التي ينبغي مراعاتها في هكذا مجال؟  
الجواب: الحدود الشرعية التي تجب مراعاتها هي عدم المسّ، وعدم كشف ما عدا الوجه والكفين للمرأة، وعدم النظر إلى ما عدا الوجه والكفين للرجل، وعدم الخضوع بالقول للمرأة فيطمع الذي في قلبه مرض.

مسألة: هل يجوز لنا - نحن الفتيات - دخول جامعات مختلطة مع العلم أنّ نسبة الفتيات غير المحجّبات إلى المحجّبات عالية جداً، ولباسهن غير محتشم؟  
الجواب: يجوز ذلك بشرط الالتزام بالحجاب الكامل، وبشرط التأكد من عدم التأثير بالجوّ الفاسد.

مسألة: وهل طلب العلم للفتيات والفتيان ضرورة خاصّة في مثل ما مضى من الجوّ الجامعي؟  
الجواب: مع التأكد من عدم التأثير بالجوّ الفاسد يكون طلب العلم للفتيات والفتيان أمراً جيّداً.

مسألة: وماذا لو ترك المؤمنون الدخول في هذا السلك العلمي الجامعي؟  
الجواب: ترك المؤمنين الدخول في هذه المجالات يفسح المجال أكثر فأكثر لسيطرة الفئة الفاسدة على المجتمع.

مسألة: هل يعتبر ركوب المرأة في السيّارة الخصوصي داخل المدينة لوحدها من دون أن يكون هناك شخص ثالث في السيّارة خلوةً بالأجنبية؟  
الجواب: إن أمنت على نفسها جاز لأن ذلك مع وجود المارة في الشوارع عادةً لا يعتبر خلوةً بالأجنبية.

مسألة: شخص متزوّج وساكن مع إخوته في نفس البيت، وفي بعض الأحيان يمازح زوجته أمام إخوته فهل يجوز؟  
الجواب: إن كان يوجب ذلك ترتّب المفسدة لم يجز.  
مسألة: هل يجوز للمرأة معانقة وتقبيل المرأة في الشارع العام؟  
الجواب: إن لم يكن مثيراً للرجال جاز.

**(تعليقي: وكيف لهن أن يعرفن أن الرجال يُشارون أم لا يُشارون؟.. الأولى عدم الفعل)**

## •• مسائل في الرياضة

مسألة: ما هو حكم لعب المرأة الرياضة مع الرجال، إذا كانت في كامل حجابها؟  
الجواب: إن لم تترتّب على ذلك مفسدة محرّمة جاز.  
مسألة: هل يجوز للنساء الذهاب إلى الملاعب والنوادي الرياضية لمشاهدة المسابقات كالسباحة والملاكمة والمصارعة، ورفع الأثقال، وكرة القدم...، حيث لا يتوفر الستر الكافي عند الرياضيين؟

الجواب: لو لم يستلزم محرماً ولا مفسدة جاز.  
مسألة: هل يجوز للمرأة ركوب الخيل أمام مرأى الرجال الأجانب في الأماكن

### العامة؟

**الجواب:** مع الستر وعدم الإثارة يجوز.

**مسألة:** هل يجوز ممارسة الألعاب الرياضية مثل السباحة مع نساء شبه عاريات هنا في أوروبا؟

**الجواب:** لا ينفصل ذلك عادة عن ارتكاب المحرم كالنظر بريبة أو اللمس أو ما شابه ذلك.

**مسألة:** لو فرض أن الاختلاط مع نساء شبه عاريات من أهل الكتاب في حوض للسبح غير مثير للشهوة، فهل يجوز للمسلم ذلك؟

**الجواب:** فرض ضمان عدم الإثارة فرض خيالي ومصيدة شيطانية.

**مسألة:** هل تجوز السباحة - هنا في البلاد الأوربية - في الأحواض المختلطة لرجال المسلمين؟

**الجواب:** مع فرض الاختلاط بين الرجال والنساء لا نسمح بذلك لأنّ هذا يؤدي عادة إلى الفساد أو الانهيار الروحي والخلقي على أقلّ تقدير.

**مسألة:** أحياناً يذهب المؤمن للسباحة على شاطئ البحر، وقد يكون هناك فتيات بزيهن المعهود (وبالعكس تذهب المؤمنة) فهل الذهاب إلى ذلك المكان حرام أصلاً، أم أنه ينبغي غض الطرف فقط؟

**الجواب:** إن لم تترتب مفسدة على ذلك كفى الاجتناب عن النظر إلى ما يحرم النظر إليه.

### •• مسائل في المصافحة

**مسألة:** هل تجوز مصافحة المرأة الأجنبية عند حالة الاضطرار التي قد تُسيء إلى سمعة المسلم في هذه البلاد أمريكا؟

**الجواب:** لا تجوز مصافحة المرأة المحرّمة، والتذرّع بالاضطرار يكون عادةً من التسويات الشيطانية، ولو كان جوّ بلد الكفر يضطره حقاً إلى مثل ذلك، تجب عليه الهجرة إلى بلاد الإسلام.

**مسألة:** هل تجوز مصافحة النساء العجائز.

**الجواب:** الأحوط وجوباً تركها.

**مسألة:** هناك من أرحامنا من النساء من تتصرف تصرف الرجال، وتؤدي أعمالهم من الزراعة وغيرها، وتلبس لباس الرجال وتشاركهم في مجالسهم وحوارهم، وتسمّى في عرفنا بـ (المسترجلة) فعندما أذهب إلى زيارتهم تصافحني مصافحة الرجال وتعانقني وتقبّلني كما يفعل الصديقان إذا التقيا بعد فراق طويل.. ومن يحاول تحسيسها بأنها امرأة قد تضربه وتعتدي عليه، فأضطرّ إلى معاملتها بالمثل من المصافحة والمعانقة والسلام والتحية وغير ذلك من الحديث. فهل يجوز ذلك؟

**الجواب:** إن كانت حقاً امرأة فمصافحتها أو تقبيلها ومسّ جسمها حرام، وأمّا تحيّتها والتحدث معها من دون ريبة، فجائز.

مسألة: هل يجوز لبعض أرحامي من النساء المتزوجات أن يقبلنني وأنا في العشرين من عمري، أو يبادلنني التحية والسلام؟  
الجواب: لا يجوز لهنّ إن كنّ من غير المحارم تقبيلك ولا مصافحتك، ولا بأس بالتحية والحديث إن لم يكن عن ريبة.

مسألة: مسألة عدم مصافحة النساء تشكّل حرجاً كبيراً لبعض الرجال، وبعض الأحيان تتجاوز مرحلة الحرج إلى ترتيب أثر سلبي في العمل وغيره، فما هو الحلّ والتكليف الشرعي؟

الجواب: لا يجوز مصافحتهنّ، حتّى في هذه الحالة على الأحوط وجوباً.  
مسألة: بعض النساء الكبيرات في السنّ - فوق سن اليأس - تصادفني في الشارع وتريد العبور، فتمسك يدي أو تقبلني وتقول: أنت مثل ولدي، فهل هذا جائز؟

الجواب: لا يجوز.

مسألة: هل يجوز السلام على زوجة عمّي، وزوجة ابن عم والدي، وهي امرأة تفوق أمّي في العمر؟ والسلام العرفي السائد عندنا هو أن تقبلني، فهل هذا حرام؟ وما هو الحكم في نساء إختي، وأخت زوجتي؟

الجواب: تقبيلهنّ لك حرام، وتقبيلك لهنّ حرام أيضاً.

مسألة: هل تجوز مصافحة الرجل الأجنبي للمرأة الأجنبية من وراء حائل كأن تلبس المرأة الكفّ أو بأن يلفّ الرجل على يده خرقة؟  
الجواب: يجوز من دون التذاذ وريبة.

مسألة: هل يجوز مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية أو العكس، إذا كان الامتناع عنها يسبّب إحراجاً أو إهانة أو استياءً تجاه الإسلام والمسلمين؟  
الجواب: لا يجوز.

## •• مسائل في الخطبة

سؤال: ما يباح للخاطب رؤيته من المخطوبة؟

الجواب: لا بأس أن يرى منها رأسها ووجهها وكفيها وقدميها، وقال بعض أهل العلم: يكفي الوجه والكفان، ولكن الصحيح هو القول الأول، ولكن من دون خلوة.  
(الشيخ ابن باز)

سؤال: مكالمة الخاطب للمخطوبة؟

الجواب: إذا كان الكلام لمصلحة الخطبة فيجوز، مع أن الأولى والأحوط أن يخاطب وليها بذلك. (الشيخ ابن فوزان).

سؤال: العلاقات قبل الزواج؟

الجواب: إذا أراد قبل الدخول وبعد العقد فلا حرج؛ لأنها بالعقد تكون زوجته وإن لم تحصل مراسيم الدخول. وأما إن كان قبل العقد أثناء الخطبة أو قبل ذلك فإنه محرم، ولا يجوز لإنسان أن يستمتع مع امرأة أجنبية منه لا بكلام ولا بنظر ولا بخلوة. (الشيخ ابن عثيمين).

### سؤال: الخلوة للمخطوبة؟

الجواب: لا يجوز للمرأة أن تخرج مع خطيبها قبل أن يُعَقَّدَ له عليها دون محرم؛ لأن ذلك وسيلة إلى الفتنة. (اللجنة الدائمة).

### سؤال: نكاح السر؟

الجواب: الزواج في الإسلام مبني على الإعلان (الإشهار)، فلا يجوز إخفاؤه، ولمشروعية إعلانه حكمٌ جليل، من أهمها التفريق بينه وبين الزنى، فإن الزنى هو الذي يخفى ويُسرُّ به؛ ويكتفى بالإعلان الشهود. (اللجنة الدائمة).

### سؤال: سؤال المسيار؟

الجواب: لا حرج في (زواج المسيار) بشروطه الشرعية، فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن يتزوج الزواج الشرعي (المشتمل على أركان النكاح وشروطه المعتمدة شرعاً) وهي: الولي، والمهر، والشاهدان، ورضا الزوجين سواء سُمي زواج مسيار أو غير ذلك. (الشيخ ابن باز).

### سؤال: حكم زينة المخطوبة أمام خطيبها؟

الجواب: لا يجوز للمخطوبة أن تتزين أمام الخاطب، ولأن الخاطب إذا رآها في هذه الزينة ثم تغيرت بعد زوالها، فإنه سوف تتغير الصورة عنده. (الشيخ ابن عثيمين).

سؤال: إنني فتاة مخطوبة وعلى وشك الزفاف إن شاء الله في القريب وأعلم جيداً أن خطيبى يحبني لدرجة كبيرة وأحياناً يقبلني و(.....) فعندما بدأت أعترض يزعل مني وقبل ذلك قال لي هل تقبلين الزواج مني؟ فوافقت طبعاً فقال لي أصبحت الآن زوجتي أمام الله فهل هذا حرام وما مدى حرمة وما العمل؟

الجواب: الخاطب أجنبى عن مخطوبته، فلا يحل له النظر إليها ولا التقبيل ولا ما هو أعظم منه مما ذكرت، بل هو كسائر الناس حتى يتم عقد النكاح، وإنما أباح الشارع له أن ينظر إلى من يريد خطبتها أول الأمر ليكون ذلك مرغباً له في نكاحها ومعرفاً له لصفة من يرتبط بها، وهذا إنما يكون مرة واحدة أو مرتين عند الحاجة. وأما ما يفعله بعض الناس من تمكين الخاطب من رؤية مخطوبته والجلوس معها والخلوة بها، فهذا منكر عظيم وإثم مبين، ومن مكن الخاطب ممن هي في ولايته يجلس معها ويذهب بها ويجيء كيف شاء فهو ديوث.

فالواجب على ولي أمر الفتاة أن يصونها عن هذا العمل المحرم، وأن يمنعها من الخاطب، كما يمنعها من غيره من الرجال الأجانب، والواجب عليك أيتها السائلة أن تتوبى إلى الله تعالى مما سبق وأن تصري على عدم العودة لذلك، وأن تندمي عليه أشد الندم، واعلمي أن من أرادت التوفيق والسعادة في حياتها الزوجية فعليها أن تبدأ بطاعة الله تعالى لا بالمعصية والإثم، ويجب ألا تغتري ولا تتخدعي بما يظهره لك هذا الخاطب من العاطفة والحب، فإن الحرام لا عبرة به، ولا يقاس عليه، لأن الشيطان يزينه والنفس تميل إليه، وكم من خاطب أظهر هذا الود المحرم، ثم بدا منه خلافه بعد الزواج، وقد يكون عقوبة من الله تعالى للزوجين لاقترافهما ما حرم الله عليهما.

وأما قول الخاطب: إنك أصبحت الآن زوجتي أمام الله فهذا كلام من أبطل الباطل وأبينه، فإن الخطبة ليست زواجاً، ورضى المرأة بالخطب لا يجعلها زوجة له، ما لم يتم العقد الصحيح المشتمل على ولي المرأة والشهود.

ولهذا نؤكد على ما سبق بيانه من أن ما يحصل بين الرجل والمرأة أثناء مدة الخطبة من نظر زائد، أو خلوة أو تقبيل منكر عظيم، وحرام ظاهر، بل هذا نوع من الزنا، كما جاء في الحديث: "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذانان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوي ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه" رواه مسلم.

فالخطبة لا تبيح أمراً محرماً كاللمس والتقبيل والخلوة، فلا يجوز جلوس الخطيب مع خطيبته إلا في حال حضور محرم، ومع الستر التام، فلا يجوز له النظر إلى وجهها إلا نظر الخطوبة فقط (مركز الفتوى بموقع إسلام أون لاين)

أولاً.. كل مسألة وردت بمفردها من تلك المسائل هي في حد ذاتها - بغض النظر عن بعض أجوبة المسائل المتشعبة قليلاً، في بند المصافحة مثلاً - مسألة يُمكن التفكير فيها قبل التفكير في اللمس بمراحل بعيدة.. لذلك الزنى، أو المضاجعة بدون إيلاج يُعتبر من الكبائر المغلظة..

ثانياً.. لاحظتم بعض الكلمات التي تحتها خط.. لقد لاحظتها بعد تعديلي للمسائل وأجوبتها، حيث لم أكن أتحرى قراءتها بتعمق.. كنت أتكلم بأعلى عن الشرف الروحي ومسه من خلال المس الجسدي.. والآن اكتشفت أن الفقه يهتم بتلك القيمة جداً، وفي اعتقادي أن كل الشرع يهتم بهذه القيمة لأنها الأساس.. (الانحراف الروحي..)، (وبشرط التأكد من عدم التأثير بالجو الفاسد) (أو الانهيار الروحي والخلقى) .

( فدرجات الاتصال الجنسي التي هي أقل من الزنى ولا توجد عقوبة شرعية عليها.. إنما يغفرها الله لمن يشاء!.. ) التي يدعيها المؤلف على حسب تعبيره في صفحة 344.. محض افتراء، ومُجاهرة بالمعصية والكبائر مع الطمع في العفو.. مع العلم أن الله لا يرضى عن المعصية والإنسان عالم بها..

ثم من قال أنه لا توجد عقوبة شرعية على درجات الاتصال الجنسي التي هي أقل من الزنى؟!..

بحثت في هذا الأمر أيضاً، وخرجت بفوائد عظيمة، واستطعت الحصول على نصوص رائعة شفت ما في صدري من قلق وحيرة، ووجدت ما لم أستطع التعبير به عما يجيش به قلبي وعقلي.. فهذا كلام جليل للإمام ابن القيم، وفيه الرد على افتراء المؤلف:

### اقتباس:

قال الإمام ابن القيم-رحمه الله:- ومن عقوباتها (أي المعاصي) أنها تضعف في القلب تعظيم الرب -جل جلاله-، وتضعيف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى، ولو تمكّن وقار الله وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس، فإن عظمة الله تعالى، وجلاله في قلب العبد، وتعظيم حرماته، يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدره حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه، أو يكبره، أو يرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه!، هذا من أمحل المحال وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم الله -جل جلاله- وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه، ومن بعض عقوبة هذا أن يرفع الله -عز وجل- مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به، فعلى قدر محبة العبد لله يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من الله يخافه الناس، وعلى قدر تعظيمه الله وحرماته يعظم الناس حرماته، وكيف ينتهك عبد حرمت الله ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته؟ أم كيف يهون عليه حق الله ولا يهونه الله على الناس؟ أم كيف يستخف بمعاصي الله ولا يستخف به الخلق؟،

وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه أركس أربابها بما كسبوا، وغطى على قلوبهم وطبع عليها بذنوبهم، وأنه نسيهم كما نسوه، وأهانهم كما أهانوا دينه، وضيعهم كما ضيعوا أمره؛ ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: {وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرَمٍ} فإنهم لما هان عليهم السجود له، واستخفوا به، ولم يفعلوه، أهانهم فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم، ومن ذا يكرم من أهانه الله؟ أو يهين من أكرمه الله؟ 83

لاحظ أنه تحدث عن المعاصي، والتي هي عبارة عن صفائر، في حين أن ما نتحدث عنه هو من الكبائر، أي أعظم فحشاً، وأنكأ إثماً.. وهذا كلام له أيضاً مفيد:

### اقتباس:

قال ابن القيم-رحمه الله- ما خلاصته: "على الإنسان أن ينظر فيمن يأمره بالمعصية ويحضه عليها ويزينها له، وهو شيطانه الموكل به، ويفيده هذا النظر أن يتخذه عدواً، وأن يحترز منه، والانتباه لما يريد منه عدوه وهو لا يشعر؛ لأن هذا الشيطان يريد أن يظفر به في عقبة من سبع عقبات بعضها أصعب من بعض، وهو لا ينزل من العقبة الشاقة إلى ما دونها إلا إذا عجز عن الظفر به فيها، وهذه العقبات هي:

العقبة الأولى: عقبة الكفر بالله تعالى وبدينه ولقائه، وبصفات كماله وبما أخبرت

به رسله عنه، فإنه إن ظفر به في هذه العقبة بردت نار عداوته واستراح، وإن نجا منها ببصيرة الهداية ونور اليقين طلبه في العقبة التي تليها وهي:

**العقبة الثانية:** وهي عقبة البدعة، إما باعتقاد خلاف الحق، وإما بالتعبد بما لم يأذن به الله: من الأوضاع والرسوم المحدثثة في الدين التي لا يقبل الله منها شيئاً والبدعة الأولى (اعتقاد الباطل) والثانية (التعبد بما لم يأذن به الله) متلازمتان، قلَّ أن تنفك إحداهما عن الأخرى، فإذا قطع الإنسان هذه العقبة بنور السنة طلبه الشيطان في العقبة التالية:

**العقبة الثالثة:** وهي عقبة الكبائر، يزيّن لها ويحسنّها في عينه ويقول له: الإيمان هو نفس التصديق فلا تقدح فيه الأعمال، وربما أجرى على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق وهي قوله: "لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة" فإن قطع هذه العقبة بعصمة من الله أو بتوبة نصوح تنجيه منها طلبه في العقبة التالية:

**العقبة الرابعة:** وهي عقبة الصغائر، يكيل له منها بالفُقران ويقول له: ما عليك إذا اجتنبت الكبائر ما غشيت من اللمم فهذه تُكفّر باجتناب الكبائر وبالحسنات، ولا يزال يهوّن عليه أمرها حتى يصر عليها، والإصرار على الذنب أقبح منه إذ لا كبيرة مع التوبة والاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار، فإن نجا من هذه العقبة بالتحرز والتحفظ، ودوام التوبة والاستغفار، وإتباع السيئة الحسنة، طلبه في العقبة التالية وهي:

**العقبة الخامسة:** وهي عقبة المباحات التي لا حرج على فاعلها، فشغله بها عن الاستكثار من الطاعات، ويستدرجه من ذلك إلى ترك السنن ثم من ترك السنن إلى ترك الواجبات، فإن نجا من هذه العقبة ببصيرة تامة ونور هاد، ومعرفة بقدر الطاعات والاستكثار منها طلبه في العقبة التالية وهي:

**العقبة السادسة:** وهي عقبة الأعمال المرجوحة المفضولة من الطاعات، يأمره بها ويحسنّها في عينه، ويغريه بها؛ ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسباً وربحاً، وأصحاب هذه العقبة قليلون والأكثررون قد ظفر بهم في العقبات السابقة، فإن نجا منها بفقّه في الأعمال ومراتبها عند الله، ومنازلها في الفضل، والتمييز بين عاليها وسافلها؛ لأنه من أهل البصائر والصدق من أولي العلم السائرين على جادة، فإذا كان من الناجين من هذه طلبه في العقبة التي تليها وهي:

**العقبة السابعة:** وهي عقبة تسليط جنده عليه بأنواع الأذى باليد واللسان والقلب على حسب مرتبته في الخير؛ إذ كلما علت مرتبته أجلب عليه العدو بخيله ورجله،

وسلّط عليه حربه بأنواع التسليط، ولا نجاة من هذه العقبة إلا بعبودية المراغمة، ولا يَنْتَبِه لها إلا أولو البصائر، ولا شيء أحب إلى الله من مراغمة وليّه لعدوّه، ومن تعبّه سبحانه بمراغمة عدوّه فقد أخذ من الصّدّيقية بسهم وافر. 84

وقد عدد الإمام العلامة ابن القيم -رحمه الله- أكثر من أربعين عقوبة للمعصية، حين يقع فيها الإنسان:  
اقتباس:

- فقال \_ رحمه الله \_ ومن عقوبات المعاصي:
- 1- حرمان العلم: فإن العلم نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفيء ذلك النور.. وقد قال مالك للشافعي: إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية..
  - 2- حرمان الرزق: وفي المسند من حديث ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه )
  - 3- وحشة يجدها العاصي في قلبه: وبينه وبين الله لا توازنها ولا تقارنها لذّة ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة...
  - 4- وحشة تحصل بينه وبين الناس: ولا سيما أهل الخير منهم.. وكلما قويت تلك الوحشة بعد عنهم وعن مجالستهم...
  - 5- تعسير أموره عليه: فلا يتوجه لأمر إلا يجده مغلقاً دونه مُتَعَسِراً عليه.
  - 6- ظلمة يجدها في قلبه حقيقة: يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا أدلهم.. وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه، وتصير سواداً فيه يراه كل أحد..
  - 7- المعاصي توهن القلب والبدن: أما وهنها للقلب فأمر ظاهر وأما وهنها للبدن... فالفاجر وإن كان قوي البدن فهو أضعف ما يكون عند الحاجة..
  - 8- حرمان الطاعة: فينقطع عنه بالذنب طاعات كثيرة كل واحدة منها خير له من الدنيا وما عليها...
  - 9- المعاصي تقصر العمر وتمحق بركته..
  - 10- المعاصي تزرع أمثالها: ويولد بعضها بعضاً، كما قال بعض السلف: إن من عقوبة السيئة السيئة بعدها، وإن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها..
  - 11- المعصية تضعف إرادة الخير: فتقوى إرادة المعصية وتضعف إرادة التوبة..
  - 12- إلف المعصية: حتى ينسلخ من القلب استقباحها فتصير له عادة فلا يستقبح من نفسه رؤية الناس له ولا كلامهم فيه..
  - 13- المعصية سبب لهوان العبد على ربه قال تعالى: (ومن يهن الله فما له من

84 المرجع: موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم - إعداد مجموعة من المختصين: صالح بن عبد الله بن حميد - عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن مئوح . الجزء: 11 / ص: 5144-5145

- (مكرم)
- 14- شؤم المعصية : يعود عليه شؤم ذنوبه فيحترق هو وغيره بشؤم الذنوب والظلم..
- 15- المعصية تورث الذل: فإن العز كل العز في طاعة الله..
- 16- المعاصي تفسد العقل: فإن للعقل نوراً والمعصية تُطفئ نور العقل، ولا بد وإذا طُفئ نوره ضعف ونقص..
- 17- الذنوب إذا تكاثرت طبع على قلب صاحبها: فكان من الغافلين.. قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون )..
- 18- الذنوب تدخل العبد تحت لعنة رسول الله صلى الله عليه وسلم..
- 19- الذنوب سبب في حرمان دعوة الرسول ودعوة الملائكة: فإن الله سبحانه أمر نبيه أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات..
- 20- الذنوب والمعاصي تحدث في الأرض أنواعاً من الفساد: في المياه والهواء والزرع والثمار والمساكن..
- 21- الذنوب تطفئ من القلب نار الغيرة: التي هي لحياته وصلاحه كالحرارة الغريزية لجميع البدن..
- 22- المعاصي تُذهب الحياء: الذي هو مادة حياة القلب وهو أصل كل خير، وذهابه ذهاب الخير أجمعه..
- 23- الذنوب تضعف في القلب تعظيم الرب جل جلاله: وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى.. ومن بعض عقوبة هذا أن الله يرفع مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به..
- 24- المعصية تستدعي نسيان الله لعبده: وتركه وتخليته بينه وبين نفسه وشيطانه، وهناك الهلاك الذي لا يرجى معه نجاة..
- 25- المعاصي تُضعف سير القلب إلى الله والدار الآخرة..
- 26- الذنوب تزيل النعم وتحل النقم: فمن عقوبتها أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب..
- 27- من عقوبة المعصية ما يلقيه الله سبحانه من الرعب والخوف في قلب العاصي: فلا تراه إلا خائفاً مرعوباً، فإن الطاعة حصن الله الأعظم، من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة، ومن خرج عنه أحاطت به المخاوف من كل جانب..
- 28- المعاصي تصرف القلب عن صحته واستقامته إلى مرضه وانحرافه: فإن تأثير الذنوب في القلوب كتأثير الأمراض في الأبدان، بل الذنوب أمراض القلوب ودواؤها، ولا دواء لها إلا تركها...
- 29- المعاصي تعمي بصيرة القلب: وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب موارد الهداية...
- 30- المعاصي تصغر النفس وتقمعها: وتحقرها حتى تصير أصغر شيء وأحقره، كما أن الطاعة تنميها وتركيها، قال تعالى: (قد أفلح من زكاها\*وقد خاب

من دساها)...

31- المعاصي تسقط الجاه والمنزلة والكرامة: عند الله وعند خلقه، فإن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وأقربهم منه منزلة أطوعهم له..

32- المعاصي توجب القطيعة بين العبد وربّه تبارك وتعالى: وإذا وقعت القطيعة انقطعت عنه أسباب الخير، واتصلت به أسباب الشر..

33- المعاصي تسلب صاحبها أسماء الشرف والمدح: وتكسوه أسماء الذم والصغار، فتسلبه اسم المؤمن والبر والمحسن والمتقي، وتكسوه اسم الفاجر والعاصي والخبيث والزاني واللوطي والسارق ونحوها....

34- المعاصي تمحق البركة: فهي تمحق بركة العمر، وبركة الرزق، وبركة العلم، وبركة العمل، وبركة الطاعة، وبالعجلة تمحق بركة الدين والدنيا....

35- المعصية تجعل صاحبها من السفلة: بعد أن كان مُهيئاً ليكون من العلية...

36- المعصية تجرئ على العبد مَنْ لم يكن يتجرأ عليه من أصناف المخلوقات: فتجرئ عليه الشياطين بالأذى والوسوسة والإغواء والتخويف والتحزين والمس، وتجرئ عليه شياطين الإنس بما تقدر عليه من أذاه في غيبته وحضوره، ويجترئ عليه أهله وخدمه وأولاده وجيرانه، حتى الحيوان البهيم...

37- المعاصي تخون العبد أحوج ما يكون لنفسه: في تحصيل العلم وإيثار الحظ الأشرف العالي على الحظ الخسيس المنقطع، فتحجبه الذنوب عن كمال هذا العلم، وعن الاشتغال بما هو أولى به وأنفع في الدارين...

38- المعصية تنسي العبد نفسه: وإذا نسي الإنسان نفسه أهلكها وأهملها وأفسدها قال تعالى: (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)...

39- المعصية تباعد عن العبد وليه: وأنفع الخلق له وأنصحهم له، ومن سعادته في قربه منه وهو الملك الموكل به، وتدني منه عدوه وأغشى الخلق له وأعظمهم ضرراً له وهو الشيطان...

40- ومن عقوبات المعصية المعيشة الضنك في الدنيا وفي البرزخ والعذاب في الآخرة. قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكرني فإن له معيشة ضنكاً)...

هذه هي عقوبات المعاصي والذنوب، وإن العاقل ليستشعر أن واحدة منها لكافية في أوبته وعقده على التوبة النصوح والرجوع إلى الله عز وجل..

وبعد كل ذلك.. وبعد تفكير أعمق.. في مسألة الخط الأحمر..

فالخط الأحمر يُذكرني (بالمايوه الغربي)، الذي تلبسه البنات والنساء عندما يزورون شاطئ البحر.. متذرعين بأنه رداء للسباحة..

وعندما تتأمل هذا الرداء جراء المرات الخاطفة التي لمحتها - إن كنت ملتزماً - في أي مشهد، وطريقة حياكته وتفصيله.. تجد أنه ليس رداءً بالمعنى المتعارف عليه.. إنه فقط يُخفي جزأين صغيرين من جسد المرأة..

الصدر.. وإن كان يُخفي الحلمة والهالة السوداء فحسب.. والبروز في الثدي وانتفاخه لا تعقيب عليه..

الجزء الآخر أدهى.. إنه لا شيء.. يُخفي فقط منطقة الجهاز التناسلي للمرأة.. هذا فحسب.. وكل جسد المرأة عارياً كما ولدتها أمها، بفارق أن سنها ليس دقيقة أو ساعة ، بل يبدأ من مُراهاقتها مع بداية نضج الجسم وتحوله، وحتى استوائه وتدوره، واكتمال أنوثته، وبروز مفاته... يُخفي رداء السباحة هاذين الجزأين..

بقعتان وبقعة !!!

ومع هذا لن تجد أحد يُعقب على لباس السباحة ذاك.. حتى لو كانت والدتها أو حتى والدها.. لأن العبرة بالنية والغاية !!!

البنات فقط تريد السباحة، ولا يمكنها أن تسبح بملابس أكثر حتى لا تعيقها عن السباحة، فلو فعلت لغرقت (يكفيها الشر) !! فلا داعي للتعقيد ..!!!

والشباب والرجال تجد أن نظرتهم لا تختلف عن نظرتهم لها إذا كانت محتشمة أمامهم.. وكأن ما يُثير شهوتهم هو انكشاف الثلاث بقعات لديها ..!!!!

ويتطرق بي ذلك إلى إهداء المؤلف نفسه في الرواية، قال:  
إلى أبي وأمي.. لعنني لم أخيب أملهما.. يشبه الأمر تماماً الفتاة المُراهقة التي ترتدي زي السباحة ذي الثلاث بُقع، تقف تستعرض أمام والديها زيتها، وتطلب رأيهم فيه، متوقعة منهم أن ينبهروا بجماله وجاذبيته !!

وكان ثقافة (المايوه) الغربي هو مبدأ المؤلف الأثير والأساسي.. تلك ثقافة غربية، وللأسف امتدت للشرق ببلاده.. وبدا لي يقيناً أن المؤلف متأثر بها من قمة رأسه حتى أخمص قدميه بها.. لقد نقلها وفصلها وحاكها على فتاة عربية شرقية ملتزمة، وعلاقتها بشباب مثلاً.. قصتهم تدور في معترك الحياة، وليس قُرب الشاطئ.. وهذا في رأيي تناقض؛ لأن الأرض كلها تسري فيها قوانين الله بشكل متساوي، لا فرق بين عربي ولا أعجمي عند الله إلا بالتقوى، لا فضل لعربي على أعجمي عند الله إلا بالتقوى.. هذا قانون في الأرض.. يجعل التقوى قانون عام، وليس قانون متفاوت لا يُعمل به في أرض، ويُعمل به في أرض أخرى..

اقتباس:

( .. العقوبة الشرعية على الزنى فقط.. معنى الزنى دخول اللحم في اللحم كالمزود في المَحْلَة.. ثمة قصة موثقة عن رجل زنى وذهب إلى رسول الله(صلى الله عليه وسلم) ليُقيم الحد، فتغافل عنه الرسول رحمةً به، حتى يُراجع نفسه أو يهرب، لكن الزاني ألح على الرسول ليُعاقبه فسأله(صلى الله عليه وسلم): "هل زנית فعلاً؟ لعنك قَبَلْتُ.. لعنك لامست.. لعنك فاخذت.." كل هذه درجات من الاتصال الجنسي أقل من الزنى ولا توجد عقوبة شرعية عليها.. إنما يغفرها الله لمن يشاء!) (صفحة 344

والمؤلف حين يتحدث بهذا الأسلوب من أنه ليس لدرجات الاتصال الجنسي عقوبة شرعية، يُشعرني أن الأمر مادي بحت.. كأنه ليس عليه أن يُواجه السجن أو الإعدام أو الجلد... وهي عقوبات دنيوية.. كأنه لا يهتمه سوى الفرار من العقاب الذي يترصده، تحت طائلة القانون..

وإنما ليس القصد من العقاب الشرعي هو التعزير أو العقوبة التي تؤلم الإنسان.. كأن الزنى يستوجب أن يُقبض عليه ويُعاقب، برغم أن العقوبة في الأساس شرعت عندما يشعر الإنسان بالندم الشديد من المعصية، والإحساس بأن عليه التكفير عن ذنبه بعقاب معين لحالة معصية معينة، حتى يتطهر من آثامه، ولا يُصبح مُطالب في الآخرة بجريته، لأن عقاب الآخرة أشد وأنكى..

إنما ليس القصد هو مجرد العقوبة الشرعية وينتهي الأمر، بل هو أبعد من ذلك في رأيي.. لذلك الله سبحانه وتعالى هو ورسوله عليه الصلاة والسلام يتحدثان دائماً عن أن النية والقلب والعمل هما أهم من الشكل والصورة والهيئة.. بمعنى أن العقاب مؤداه حصول الندم على فعل الإثم، والتطهر باطنياً وظاهرياً، والعزم على عدم العودة لمعصيته..

راعني أيضاً أن المؤلف ذكر الأمر كأنه مُصطلح ما اخترعه ( درجات الاتصال الجنسي)، ولم يقل ( درجات الزنى ) برغم أن الأخيرة هي الأصح في الإسلام.. ومنه حديث رسول الله صلى عليه وسلم:

( أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا من ريحها فهي زانية ). وبالطبع هذا ليس في درجة الزنى الحقيقي، وإنما هذا الزنى هو درجة من درجات الزنى الحقيقي، وهناك أيضاً حديث:

(إن الله كتب على ابن آدم حفظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واليد تزني وزناها اللمس، والرجل تزني وزناها الخطى، واللسان يزني وزناها المنطق، والفم يزني وزناه القبل، والنفس تمنى وتشتي، والفرج يصدق ذلك أو يكذبه )

ومعنى هذا الحديث عظيم وجليل.. أي أن الأمر ليس زنا فرج وحسب.. بل الأمر أكبر من ذلك.. يتعلق الأمر بزنا الروح والنفس والجوارح، الانحراف الروحي، الانهيار الخُلقي... وما أقبح ذلك وأشدّه.. لذلك ليس هناك عقوبة شرعية على المُكره، الذي يزني وهو مُكره.. لأن نيته وقلبه وجوارحه تأبى المعصية والزنا، مع أن شروط الزنا وقعت، وهو وجود اللحم في اللحم..... وكل هذه الكيفيات والتوصيفات... لكن ليس عليه حد لأنه مُكره، إذن فيشترط في الزنا أن يكون قلبه وروحه وجوارحه مشتركين في زنا الفرج..

وفي رأيي أن المؤلف لو ذكر الأمر على أنه ( درجات الزنى ) فسيقع في عثرة وخرج لطرح فكرته فيما بعد.. إذ سيكون رغباً عنه شبه زنا، فبأي حال من الأحوال لن يُمكنه نفي الزنا عنهم.. لذلك سماها (درجات الاتصال الجنسي) !

ناهيك عن أن الفكرة وطرحها بهذا الأسلوب يُشكك في مغالطة مقصودة مدروسة لفتك بأفكار الشباب، وإحلال ثقافة مغلوبة مُشوّهة ومُحرفة عن الجنس شرعياً..

ولو كان غير ذلك أيها الكاتب كما تُبرر وتُحرف وتُفتري، لو كان الأمر مجرد درجات اتصال جنسي، تنفي الزنا، هل ترضى أن تمارس زوجتك الجنس مع شخص آخر مع الحفاظ على الخط الأحمر الذي وصفته في هذا الجزء.. فساعتها لن يكون ذلك زناً كما تقول وتدعي !!..

وحتى لو لم يكن الطرفين مُحصنين.. فالغاية لا تُبرر الوسيلة أبداً.. والفقهاء يرفضون تلك القاعدة.. وبالنسبة للضرورات تبيح المحظورات في تلك الحالة، فإن قاعدة أخف الضررين هنا هي الأصلح.. فقيام طارق بما اعتاده كل ليلة من مشاهدة أفلام الجنس، واستحلاب لذته هي المُقدمة على الاجتماع بشيماء وممارسة الجنس معها حتى لو كان بينهما خطأ أحمر..

والإسلام حينما منع وحرّم النظرة وتبعاتها إنما فعل ذلك لما يتركه هذا الفعل في القلب من قسوة، وحقارة في النفس، واهتزاز في الإيمان، فليس هناك فرق كبير بين ممارسة الجنس بخط أحمر، وإكماله بالإيلاج.. إنما المقصد هو التجروء على التلذذ بجسم أجنبي عنه، وهذا هو الحرام، لما يقع في نفس المرء من خسة وجرأة على انتهاك الحرمات والعورات، وإحلال من كل قيم العفة والطهارة والاستقامة، وإحلال لصفات الخيانة والحقارة والدنس في النفس روحاً وجسداً على السواء...

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ( لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ )، أي يكون ناقص الإيمان، وليس بالطبع بكافر.. وفي الحديث الذي ساقه عن الرسول مع الرجل الزاني.. وإعراضه عنه.. وإلحاح الرجل عليه أن يعاقبه النبي على فعلته الشنعاء، التي ندم عليها أشد الندم، واستوحش معصيته، والإثم الذي حاق به.. وهو للعلم لم يعرف أن الزنا يستوجب شروط معينة، ويستوجب كفارة أو حد معين.. كل ما فهمه ويعرفه أنه تجرأ ولمس امرأة أجنبية بشكل مُبالغ فيه واستمتع بذلك.. وقد يكون مارس الجنس مرة واحدة فقط، ولم يُصر على ما فعل.. فما أن استشعر ألم المعصية ينخر في نفسه نخرًا، وأحس أنه تجاوز حدوده بفطرته؛ حتى سارع إلى النبي؛ ليُخلصه من هذا الذنب العظيم الذي يكدد جسده، وينغز ضميره بلا توقف، ويُشكك في إيمانه وإيمانه هو رصيد وجوده، ومُنتهى فلاحه في الدنيا والآخرة.. ثم إن دراجات الاتصال الجنسي التي هي أقل من الزنى، والتي لا يُوجد عقوبة شرعية عليها إنما يغفرها الله سبحانه وتعالى لمن يشاء، إذا كانت غير مُتعمدة ولا مقصودة ولا معلومة، وإلا كانت معصية كبيرة... ولقد شرحت بأعلى هذا الجزء باستفاضة..

أضيف أيضاً..

العلاقة الجنسية نفسها ليست مجرد ( إيلاج )، بل هي تبدأ بمقدمات.. شرعها الله في كتابه الكريم: ((نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لَأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ {223} ))<sup>85</sup>..

وأقرها الأطباء في كل مكان وزمان.. فالعلاقة الجنسية تبدأ بمقدمات.. حتى تنتهي بالإيلاج.. فهل معنى هذا أن تلك المقدمات لا تُعد من الجماع، أو ليست داخلية في الجنس عامة؟!.. لا طبعاً.. بل هو يبدأ بتمهيدات تدخل في حكمه ومنظومته وأسلوبه ومنهجه.. القبلية، والمُداعبة، والعناق، واللمس، والاحتكاك... فالجماع أو الجنس عامةً يحصل خارجياً ونفسياً، ثم يحدث فسيولوجياً في النهاية.. وهكذا بالنسبة للزنا.. فقط هذه علاقة حلال، وهذه علاقة حرام.. وهذا دليل على أن الزنا ليس مجرد إيلاج فحسب..

كما أن هناك ما يُسمى بالجنس الفموي.. وهو فيما فهمت من الفتاوى عبارة عن استعمال الفم فقط في مداعبة الجنس الآخر، وتقبيله بطرق عديدة..

وعلى هذا فهل يُمكننا القول أنه لا يحصل استمتاع أو ربما إنزال وقذف من كلا الطرفين؟..

خاصةً أنه طريقة جديدة في الجنس، صُنفت إلى جانب أوضاعه ومُداعباته المتعددة.. ولا بد أنه ذي أهمية في اللذة، ولهذا فقد أُشير إليه، واشتهر..

واللذة الجنسية تحدث بعدة طرق وأوضاع.. في جماع أو زنا.. في مداعبة أو إيلاج.. فهل يُمكننا القول أن هذا جنس وهذا ليس جنس؟.. وبناءً عليه فإن اللمس والإيلاج في الجنس سواء.. سُمي جماعاً إذا كان حلالاً بين زوجان، وسُمي زناً إذا كان حراماً بين أجنبيان..

وأظن أن كلامي يؤيد حديثاً شريفاً، فعن معقل بن يسار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خيرٌ له من أن يمس امرأة لا تحل له"<sup>86</sup>.

ولا شك في أن المصافحة من المس.

فما بالكم بلمس عام الجسد الأجنبي لو كان على سبيل الشهوة، وليس لمجرد مصافحة بالكف..

قال النووي رحمه الله: وقد قال أصحابنا: كل من حرم النظر إليه حرم مسه، بل المس أشد، فإنه يحل النظر إلى الأجنبية إذا أراد أن يتزوجها، ولا يجوز مسها.

#### اقتباس:

( إنها لا تزني مع طارق، وبالتالي فإن أملهما كبير في مغفرة الله؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم بنيتهما الصادقة في الزواج.. ) صفحة 344

إذا كانت هي لا تزني مع طارق.. ولا يستوجب عدم الزنا غضب الرب، أو عقابه.. فما معنى الأمل الكبير في مغفرة الله وهما لا يعتبران ما يقومان به زناً؟!..

أليس هذا تناقضاً؟!..

وحتى لو كان الله سبحانه يعلم نيتهما الصادقة - بفرض أنها صادقة فعلاً - في الزواج.. فكيف يتم أمر مشروط بالزواج بدون القيام بأركانه كلها...!!؟

أعني كيف تتم المعاشرة الجنسية وهي إحدى الحقوق الزوجية بعد الزواج، ولم يتم الزوج بأركانه في الأصل...!!؟  
النية الحسنة لا تُبيح عمل مُحرم في وقت سابق لتنفيذ أركان تحليله..  
لأن الأركان المشروطة في الزواج هي التي ستُحل المعاشرة الجنسية بدرجاتها..

وبدون تنفيذ الأركان كلها مُستوفاة يظل العمل مُحرمًا، أو في دائرة التحريم..  
والقاعدة أن النية ليس لها حُكم شرعي ما لم تتحول إلى أعمال بالأركان والشروط جميعها..  
وأظنني في موضع سابق تطرقت لموضوع العمل الذي يسبق الأعمال بالنية...

#### اقتباس:

( لو استطاعا الآن أن يتزوجا لما تأخرا لحظة، لكن ما باليد حيلة.. لا يستطيعان أن يتزوجا في شيكاغو بدون موافقة الأهل، وفي نفس الوقت لا يُمكنهما قطع البعثة.. )صفحة 344

لم يريدوا أن يتزوجا في شيكاغو بدون موافقة الأهل، لكنهم زنوا في شيكاغو بدون موافقة الأهل أيضاً...!!

ولو استطاعوا الزواج لما تأخرا لحظة، لكنهم لم يؤخروا الزنى إلا بعض مرات تضاجعوا فيها (مع وجود الخط الأحمر فقط) !! ثم حصل الزنى وأعقبه حملها منه..

ما باليد حيلة في الزواج.. لكنهم في الزنى لم يفقدوا أي حيلة...!!  
كما أنهما قطعا البعثة بشكل غير رسمي كل يوم أثناء "تحية الحب السريعة"، ويوم السبت من كل أسبوع لقضائه سوياً كزوجين حقيقيين، ثم رسبا سوياً، فيما كان في إمكانهما الزواج، وقطع البعثة إهمالاً، وحتى لو رسبا أيضاً، إنما فعلهما ساعتها سيكون قائم في الحلال دون الحرام..

- المؤلف يُحاول تغريب الدين بشتى السبل، فيحاول تحريف الأحاديث الشريفة فكرياً ويغالط في معناها وغايتها..  
اقتباس:

( إنها الآن زوجة شرعية كاملة (ما عدا الخط الأحمر) ولا ينقصها إلا تسجيل الزواج.

بالمناسبة، إجراءات التسجيل ليست من أصول الإسلام، وإنما ضرورة فرضتها الحكومات مؤخراً.. أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) كان الزواج شفاهياً.. بضع كلمات يقولها الرجل والمرأة فيصيران زوجين أمام ربنا سبحانه وتعالى.. ((صفحة 344، 345.

بالمناسبة هذا تعليق الكاتب في الرواية، ثم يقول بعد ذلك أنه هكذا أيضاً كان فهم شيماء التي مررت له لطارق.

ولنفترض أن هذا صحيحاً.. أتك حجة للناس للاعتراض على قانون الحكومات والزواج من بعضهم كما يحلو لهم، ولو غدر أحد منهم.. مَنْ يُعيد الحق للطرف الثاني بدون أوراق رسمية تضمن الحقوق؟!.. وحتى لو كانت الحكومات هي التي وضعت إجراءات تسجيل الزواج، لكان عملاً تُحمد عليه، وجزاها الله كل خير..

والغريب أن يُدرجا لفظ الحكومات فيما بينهم، وكأن الحكومات لا تفعل شيئاً صالحاً أبداً، وأنه لا بد من الاعتراض عليهم في كل شيء لمجرد الاعتراض.. ويصدر هذا الكلام في الوقت الذي يُؤثران السلامة، ويُحذرا ناجي عبد الصمد من الخوض في الاعتراض على رئيس الحكومة..

ثم تسجيل إجراءات الزواج ليس في الإسلام فحسب، أمضاه علماء المسلمين وحُكامهم، بل هو مصلحة عالمية متعددة الأديان.. فعند النصارى هناك توثيق لإجراءات الزواج، وفي اليهودية أيضاً... فعلى ماذا يعترض المؤلف، ولماذا يُثير الفتنة بهذا الطرح المُغرض؟!..

فتسجيل الزواج عملية تنظيمية تضمن الحقوق لكل الأطراف.. كما أن هذا الزواج الذي يتحدث عنه ويقول أنه لا ينقصه إلا التسجيل فقط.. ليس صحيحاً..

فهذا الزواج ينقصه بالإضافة إلى التسجيل والتوثيق، إذن ولي الأمر (حيث أن شيماء لم تتزوج من قبل، بفرض جواز تزويج الثيب لنفسها)، والمهر، والشهود، والإشهار.. وتلك كلها شروط الزواج الشرعي..

**فهو إذن زواج يفقد كل شروطه.. وينقصه كل شيء.. تنقصه جميع أركانه !!**

**ثم يقول:**

**اقتباس:**

( أيام الرسول كان الزواج شفافياً.. بضع كلمات يقولها الرجل والمرأة فيصيران زوجين أمام ربنا سبحانه وتعالى.. )

ليس أمام ربنا سبحانه وتعالى ولا أمام الرسول فحسب، وإنما كان أمام أهل المرأة وأهل الرجل والناس كلهم، وإلا كان الأمر عُرفياً، أي ينقصه ركن مهم من أركان الزواج، وهو الإشهار، وبعد بحث العلماء وقياسهم وتدقيقهم أفتوا أن هذا الزواج حرام، لأن الزواج الشرعي هو الذي يعتمد في الأساس على معرفة الناس ونظرتهم..

ثم منطق من هذا؟.. البروفسور جراهام المُلحد، أم منطق شيماء الملتزمة أو طارق أو المؤلف؟..

ثم إن للنكاح شروطاً وأركاناً يجب أن تُستوفى كلها، وهي:

**1- الزوج.**

**2- الزوجة.**

**3- الولي، ولا بد أن يباشر العقد الولي أو من يوكله، ولا يصح أن تتولى المرأة عقد النكاح ولو أذن لها الولي. فلا يجوز للمرأة أن تزوج نفسها، سواء كانت صغيرة أم كبيرة، بكرةً أم ثيباً، لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا تزوج المرأة المرأة، ولا تزوج المرأة نفسها"<sup>87</sup>.**

**4- الإيجاب من ولي المرأة، والقبول من الزوج.**

**5- الشاهدان. والدليل على وجوب وجود الشاهدين في عقد النكاح قوله صلى الله عليه وسلم: "لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل"<sup>88</sup>. والشاهدان هنا يُقصد بهما أقل الإشهار..**

فإذا توفرت هذه الأمور الخمسة في عقد نكاح فهو عقد شرعي، وإن اختلف ركن من الأركان لم يصح العقد.

والصيغة التي ذُكرت في فقرات الرواية ليس لها مكان في أركان الزواج أو شروطه، وهي لا تعبر عن عُقدة النكاح بأي حال من الأحوال، إذا فقد أي ركن أو شرط من إنشائه..

87 رواه ابن ماجه

88 رواه ابن حبان في صحيحه

## وفيما يلي معلومات مهمة عن التوثيق في الإسلام، للباحث الأستاذ تحسين بيرق دار: اقتباس:

### نشأة التوثيق:

أ- الأصل أن الشريعة الإسلامية لم تشترط في عقد الزواج أموراً شكلية، كأن يجري على يد عالم أو قاض أو شيخ، وقد اكتفى المسلمون في العصور السابقة بإجراء عقد الزواج بتبادل الإيجاب والقبول بين العاقدین بحضور الشهود وبالإعلان، وكانت معرفة القائمين على أمر المسلمين لهذا الزواج عن طريق الإعلان تُغني عن توثيق العقد، فإن مات الشهود أو سافروا فإن إعلان الزواج، ومعرفة أولي الأمر له تقوم مقام التوثيق، فلا يمكن لأي من الزوجين أن ينكر زواجه المعلن.

ب- ومع تقدم الزمان أخذ المسلمون يؤخرون جزءاً من المهر، ويكتبون ذلك في عقود، وصارت تلك الوثائق التي يُدَوَّن فيها المهر المؤخر وثيقة مؤكدة لعقد الزواج، ثم تطور هذا التوثيق إلى أن نصت معظم قوانين الأحوال الشخصية على لزوم توثيق عقد الزواج.<sup>89</sup>

### أهمية توثيق عقد الزواج:

ولتوثيق عقد الزواج أهمية كبيرة في الشريعة الإسلامية، وقد أصبح التوثيق في الدوائر الرسمية في مؤسسات الدولة هو التوثيق الأمتن والأفضل، وهو المطلوب شرعاً وقانوناً وتأتي أهميته من خلال ما يلي:

أ- في التوثيق إمكانية حفظ العقد المكتوب، وحفظ الحقوق والنسب بشكل رسمي.

ب- وفيه سهولة الرجوع إلى العقد عند النزاع والاختلاف، وحصول كلٍّ على حقه.

ج- وفيه معرفة الأمة لتاريخها وتسلسل أجيالها، وأعداد أفرادها، وتخطيط تنميتها واقتصادها، وطاعة أولي الأمر الذين أمر الله بطاعتهم إذا أمروا بمعروف.<sup>90</sup>

### حكم توثيق عقد الزواج:

إن الترتيبات الإدارية التي ألزمت بها قوانين الأحوال الشخصية، ومنها توثيق

89 [ ينظر، ابن تيمية، الفتاوى الكبرى: 175/3، ومجلة البحوث الفقهية، العدد (36)، ص: 194. ]  
90 [ ينظر، د. الأشقر، أسامة، مستجدات فقهية في قضايا الزواج والطلاق، ص: 133. ]

عقود الزواج، والتي سماها بعض الفقهاء المعاصرين بالشروط القانونية، حيث عرفها الدكتور علي حسب الله بأنها: "شروط يضعها المشرع الوضعي لجلب مصلحة أو دفع مضرة"، وقد أوضح طبيعة هذه الشروط، فقال: "والشرط القانوني: ليس شرط صحة ولا نفاذ ولا لزوم، لأن المشرع الوضعي ليس له أن ينشئ حكماً شرعياً دينياً يحل حراماً أو يحرم حلالاً، بل هو شرط يترتب عليه أثر قانوني لا دخل له في الحكم الشرعي الديني".<sup>91</sup>

وهكذا نجد أن الفقهاء المعاصرين قد اجتمعت كلمتهم على اعتبار أن توثيق عقد الزواج واجب شرعي مستقل من باب وجوب طاعة أولي الأمر، فليس له تأثير على صحة عقد الزواج أو فساد، فصحة العقد أو فسادها إنما تتعلق باستكمال أركانه وشروطه أو عدم استكمالها.

فقد قال الدكتور القرضاوي: "في هذه الحالة إذا صدر أمر أو قانون من ولي الأمر الشرعي بإيجاب التوثيق تصبح طاعته لازمة شرعاً، لأن الله تعالى قال: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم))، والنبي قال: «السمع والطاعة حق على المرء المسلم فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»

#### حكم الزواج العرفي:

والزواج العرفي له صور محرمة وأخرى جائزة كما بينت سابقاً، فليس هناك حكم واحد على كل ما يسمى "زواجاً عرفياً"، فلا بد من بيان صورة الزواج العرفي لإعطاء الحكم الشرعي له، وأبدأ بصورة الزواج العرفي الجائزة:

1- إذا تزوج رجل امرأة بإيجاب وقبول صحيحين، ووجود ولي وشهود، وتحديد مهر شرعي ولكن بدون توثيق لعقد الزواج في الدوائر الرسمية المختصة، فإن الزواج يكون شرعياً صحيحاً، لكن العاقدان قد ارتكبا إثماً بتركهما واجباً شرعياً هو توثيق العقد الذي أمر بتوثيقه ولي أمر المسلمين<sup>92</sup> وتكون المرأة عرضة لضيع حقوقها من مؤخر المهر والنفقة والميراث، وقد يضيع نسب أولادها، كما يضيع حقهم في الميراث والنفقة، فالزوج قد ينكر الزواج، وينتفي من زوجته وأولاده، وقد يموت ولا تجد ما يثبت لها حقها.

2- وأما الزواج العرفي المتفق على حرمة فهو: الزواج الذي يتم بين رجل وامرأة بغير شهود، ولا ولي، ولا توثيق، وهذا زواج باطل محرّم، لم يقل أحدٌ بجوازه. وهو من قبيل الزنى الذي حرم الله تعالى الاقتراب منه، فقال: ((ولا تقربوا

91 [حسب الله، د. علي، الزواج في الشريعة الإسلامية، ص: 78].

92 [ينظر، د. عبد الفتاح عمرو، السياسة الشرعية في مسائل الأحوال الشخصية، ص: 43، وحسين مخلوف، فتاوى شرعية، ص:

55، دار الاعتصام، القاهرة].

الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً))، وإن كتابة عقد الزواج على ورقة لا تجعله عقداً شرعياً.<sup>93</sup>

### أقوال بعض الفقهاء المعاصرين في الزواج العرفي:

1- يقول الشيخ علي الطنطاوي - رحمه الله تعالى -: " هذا الزواج بهذا المعنى زواج صحيح (أي الزواج العرفي)، ولكن للحاكم أن يعاقب فاعله بنوع من العقوبات لأنه خالف أمراً أوجب الله طاعته.<sup>94</sup>

2- ويقول الدكتور القرضاوي: " في هذه الحالة إذا صدر أمر أو قانون من ولي الأمر الشرعي بإيجاب التوثيق تصبح طاعته لازمة شرعاً<sup>95</sup> لأن الله تعالى قال: (( يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)).

3- ويقول الشيخ محمد سيد طنطاوي شيخ الأزهر: " إن الزواج السري المعروف باسم الزواج العرفي في مصر، تتوافر فيه جميع الأركان لكن ينقصه التوثيق، وأنا شخصياً لا أشهده، ولا أحبه، ولا أجلس في مجلسه، لأنه يترتب عليه ضياع حقوق المرأة، ومخالفة النظام العام الذي وضعته الدولة ".<sup>96</sup>

ولا بدّ هنا أن أبين أنه ليس كل زواج عرفي هو زواج سر، ثم إن زواج السر إذا شاهده شاهدان لم يعد زواج سر عند جمهور الفقهاء، ما عدا المالكية الذين اعتبروه زواج سر فاسداً، يفرق فيه بين الزوجين بطلقة بائنة قبل الدخول، وكذلك بعد الدخول ما لم يطل 34.<sup>97</sup>

### آثار الزواج العرفي شرعاً:

تبين لنا أن الزواج العرفي له صور محرمة وأخرى صحيحة، ولكل صور من صورته آثار تترتب عليها.

أ- فإذا تزوج رجل امرأة زواجاً عرفياً بإيجاب وقبول شرعيين، وحضور الولي وشهادة شاهدين، كان زواجاً صحيحاً شرعاً تترتب عليه آثار الزواج الصحيح، ولكن يأنم الزوجان إن تركا توثيق العقد إهمالاً بغير عذر.<sup>98</sup>

93 [ ينظر، ابن عابدين، الحاشية: 132/3، والدسوقي، الحاشية: 377/2، والخطيب الشربيني، مغني المحتاج: 236/3، والبهوتي، كشف القناع: 498/5.]

94 [ طنطاوي، الشيخ علي، فتاوى علي الطنطاوي، جمعها ورتبها: مجاهد ديرانية، دار المنارة.]

95 [د. القرضاوي، يوسف، الزواج العرفي، حلقة على الإنترنت، موقع المنتدى، بتاريخ 1998/4/18 م.]،

96 [ جريدة الرأي الأردنية، العدد: 10384، الجمعة 26/شوال/1419 هـ / 12/شباط/1999 م.]

97 [ينظر، الكاساني، البدائع: 523/2، والدسوقي، الحاشية: 375/2، والنووي، المجموع: 184/17، وابن قدامة، المغني: 469/9.]

98 [طنطاوي، الشيخ علي، فتاوى علي الطنطاوي، جمعها ورتبها: مجاهد ديرانية، دار المنارة. ود. القرضاوي، يوسف، الزواج العرفي، حلقة على الإنترنت، موقع المنتدى، بتاريخ 1998/4/18 م.]

ب- وأما الزواج العرفي المتفق على حرمة، كما إذا تزوج رجل امرأة بغير شهود ولا ولي ولا توثيق، فهذا زواج باطل شرعاً، ويترتب عليه آثار الزواج الباطل.

#### اقتباس:

- (أقنعت نفسها بأنها زوجته على سنة الله ورسوله، وعكفت على قراءة واجبات الزوجة المسلمة في كتب الدين واجتهدت في تطبيقها: أن تكون أمانة على عرضه وماله، أن تحفظه في حضوره وغيابه، أن تكون له سكناً وملاًزماً آمناً..)صفحة 345  
ألم تخبرها تلك الكتب الدينية بأن زواجها هذا عبث، وأنه زنا، وأنه مُحرم..  
أما أنها تقرأ ما يعجبها، وتترك ما لا يعجبها؟!..  
كيف ستكون أمانة على عرضه، وقد خانت نفسها أولاً، وخانتته معه نفسه قبل أن يتزوجها؟!..  
أليس هذا تناقض، ومُخالفة للعرف وللْفِطْرة، وللبداهة، وللمنطقية؟!..  
معلوم أن الشاب الذي يقع في الحرام مع فتاة، يحتقرها، ولا يرغب أبداً في الزواج منها؛ بسبب فكرة واحدة: ما الذي يمنعها من خيانتته مع شخص آخر، بعد أن خانت أهلها معه من قبل؟!..  
الخيانة في طبعها فلا مأمّن له معها..  
كيف تحفظه في غيابه وهي لم تحفظ عرض أهلها فيها وهم غائبين عنها..  
إن كل هذا يتبدى تلقائياً بدون جهد في التفكير.. يتبدى لها، وقد تبدى في الرواية..  
ويتبدى لأي شاب..، وإن لم يكن تبدى لطارق في الرواية..

#### اقتباس:

- ( أما طارق فقد انقلبت حياته، وتغيرت تماماً وكأنه اكتشف كنزاً.. كل هذه اللذة؟!.. كل هذه السعادة؟! يستطيع الآن أن يفهم الحوادث التي يقرأها في الصحف: أن يسرق الرجل أو يقتل حتى يحتفظ بعشيقته.. في لحظة ما قد تصبح هذه اللذة أهم من الحياة نفسها!.. كم هو نادم لأنه لم يعرفها من قبل!.. خمسة وثلاثون عاماً جرداء قاسية كالصحراء.. عاشها كالجائع الذي يحاول أن يُشبع نفسه بتخيل الطعام.. إنه الآن شخص جديد.. مختلف.. لم يعد حائقاً على الدنيا.. لم يعد يتعامل

باستفزاز مع أحد.. لم يعد متأهباً للقتال في كل لحظة.. أصبح هادئاً وراضياً حتى إن وجهه تغير.. "والله العظيم تغير!".. هكذا يُقسم وهو يتأمل في المرأة.. اكتسبت بشرته نضارة رائقة وقل جحوظ عينيه، ولم تعد عضلاته تتقلص وفمه يُعوج عندما يتكلم.. والأغرب، لم تعد تستهويه أفلام البورنو.. حتى المُصارعة الحرة التي يعشقها منذ الطفولة نادراً ما يشتاق الآن إلى رؤيتها! (صفحة 345)

يا الله.. ما شاء الله.. لقد هداه الله بفعل الزنا!..  
لا بد أن الزنا له آثار التقوى على النفس، والاستقامة في التصرفات،  
والدماثة في الأخلاق!..  
يا مَنْ له وجه مُربض ومُسود وغابر عليك بالزنى تهدي، وتعتدل،  
وتتقوم، وتتغير، وتهدي، وينضر وجهك ويبيض.. ويختلج في قلبك الحنان  
والسلام والتسامح والحب...!!!

هذه الآثام ليست تابعة لقوانين الإسلام كدين.. بل هي تابعة للفطرة  
الإنسانية - وإن كان الإسلام دين الفطرة - منذ الإنسان الأول حتى آخر  
إنسان سيموت.. قوانين وعلامات تُنبئ وتفرق بين المطيع والعاصي..  
قانون تغير الوجه وانقلابه مع معصية صاحبه لله تبارك وتعالى:  
(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ  
أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ  
الْمُبِينُ {11})<sup>99</sup>

قانونين.. للذين أحسنوا وأطاعوا الله حق الطاعة لهم جوائز من الله،  
وأهم شيء أن وجوههم لا يشوبها سواد وتلبد من أثر ذل النفس للمعصية  
والمُخلفات، بل تحتفظ وجوههم بنضارتها، وينعكس عليها نور الله عز  
وجل، والذين فعلوا السيئات والكبائر ترهق نفوسهم ووجوههم المذلة  
والكراهة: ((لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ  
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {26} وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ  
سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ  
قِطْعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {27})<sup>100</sup>

القانون الفاصل بين مُتبعي نور الله، وبين مُتبعي ظلام الشيطان.. فسمة  
كل فريق تكون ظاهرة على وجه كل فرد منهم: ((مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ  
مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ  
اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ  
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ

يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا {29}}<sup>101</sup>

تلك سنة الله على مخالفيه وعاصيه.. ((وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ {21}}<sup>102</sup> قال المفسرون ( يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأقسامها وآفات... )<sup>103</sup>  
وتجد في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وأثار أصحابه وأتباعه دليلاً لا يُنازعه شك من أن للمعاصي أثار سلبية أكيدة، تنال من العبد العاصي لا ريب:

قوله صلى الله عليه وسلم: "إياكم ومحقرات الذنوب ، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه..."<sup>104</sup>  
هذه محقرات من الذنوب، فما بالك بالكبائر التي قام بها طارق وشيما..

ويقول عبد الله ابن عباس رضي الله عنه: ( إن للحسنة ضياء في الوجه، ونوراً في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق.. وإن للسيئة سواداً في الوجه، وظلمة في القلب، وهناً في البدن، ونقصاناً في الرزق، وبُغْضاً في قلوب الخلق )  
وهذا أكثر حديث يدل على مُنافاة التغيرات التي بانَت على وجه طارق وحياته، بعد الأفعال السيئة التي قامت بينه وبين عشيقته الجسدية شيما.. فلقد ورد في هذا المقطع أنها عشيقته، والعشيقات يُعبرون عادةً عن العلاقة الجسدية والجنس أكثر ما يُعبرون عن الحب والعلاقات الروحية..

وأكمل سياق الحديث عن التغيرات التي تحصل بالضرورة بعد ارتكاب المعاصي والسيئات، وأدلتني عليها.. ففي الصحيحين عن أسامة ابن زيد، عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "إن هذا الوجع أو السقم رجز عذب الله به بعض الأمم قبلكم، وقد بقي بعدُ في الأرض فيذهب المرة ويأتي الأخرى..."<sup>105</sup>

والمعنى أن السيئات تُخلف أوجاع وآلام ناتجة عن عذاب الله الذي يحيقه بالأمة التي يشيع فيها العُهر والانحلال والإباحية.. وكأن عذاب الله

101 [الفتح]

102 [السجدة]،

103 ابن كثير (462/3)

104 صحيح الجامع (2687)

105 ح ( 60 ) كتاب الانبياء / مسلم ( 2218 )

بتلك الأمم على جرائمهم ما زال باقياً للذين يقومون بارتكاب نفس الجرائم في عصرنا الحاضر...

وعن ابن عمر قال: أقبل علينا رسول الله فقال " يا معشر المهاجرين.... خمس إذا أبليتُم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن، (ومنها:) لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا.." <sup>106</sup>

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر.." <sup>107</sup>  
وقال الشافعي رحمه الله تعالى:

شكوت إلى وكيع سوء حظي\*\*فأرشدني إلى ترك المعاصي  
وقال اعلم بأن العلم نور \*\* ونور الله لا يؤتاه عاصي  
ويقول الفضيل ابن عياض: إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق دابتي وامراتي.  
وقال بعض السلف: ما عصى الله أحد حتى يغيب عقله.

والسؤال هنا بعد كل هذا.. والذي أستغربه جداً.. أن طارق حسيب كان يقوم بمعاصي رهيبة عندما يستفرد بأسطوانته المدمجة المحملة بأفلام البورنوي.. ثم بعد ذلك ما فعله مع شيماء.. ففي الفترتين كان يفعل السوء والمعاصي، فكيف سيتغير وجهه مثلاً.. المفروض أن يتغير وجهه إلى الأسوأ.. لأنه تدرج من السيئ للأسوأ.. لكن أن يتحسن وجهه بعد الكبائر التي قام بها مع شيماء، فهذا ما لا أظنه، وأستغربه جداً..  
الشيء الوحيد الذي قد يكون غير من وجه طارق حسيب إلى الأفضل، هو تقليله من مذكرته، وإهماله لدروسه، وانتهاء بحلقته في الكتب لساعات طويلة..

— لا يمكنني إنكار مواقف المؤلف السياسية، وردوده المحبوكة في الرواية، والنظرة القريبة من الشعب المصري ومعاناته، مما يدفعني للتبرير له أحياناً تلك المشاهد الفادحة في الجنس وطريقتها في تمويه آراءه السياسية الجريئة..  
لكنه للأسف عذر أقبح من ذنب كما يُقال..

106 حه ك الصحيحة ( 67/1 ) وصحيح الجامع  
107 رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم

لأن لو كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للتمويه والتشويش على الآراء السياسية الجريئة التي تُنادي بالحرية، فإن هناك مشكلة في مجتمعنا، ومشكلة في أدبنا، ومشكلة في ثقافتنا..  
والمؤلف نفسه قد ساهم في توسيع فجوة المشكلة الثقافية والأدبية الجنسية..

بات لدينا ما يُسمى "اجتذاب العملاء عن طريق المرأة" أو "خلط الجنس بالآراء السياسية الجريئة بدافع التمويه وإبعاد نظر المسؤولين"  
أصبحت البرامج الخيرية تُذيعها فئة من عرائس المذيعات الحُسناء لاستجلاب المعونات، واستدراج أيادي رجال الأعمال..  
أصبحت الكلمة الجريئة لا تُقال إلا بتزيينها بإطار من الجنس ذي المعيار الثقيل، من أجل إبعاد صاحبها عن مواطن الردع والأخذ على الأيدي..

أصبح الجنس مدعاة لتلطيف الأجواء، وتهذئة الخلافات، وتليين حدة الأصوات، ومداراة للرقباء...  
وكأننا نُعالج من ناحية، ونُفسد من جهة أخرى..  
نفضح الحكومة، وفي ذات الوقت نهدم المجتمع..  
نساعد المحتاجين، وفي نفس الوقت نُهيج غرائز الشباب..

#### اقتباس:

( .. هل ينوي الزواج من شيماء فعلاً؟ سؤال صعب لا يُمكن لأحد أن يقطع بإجابته، حتى طارق نفسه.. إنه يعشقها.. وقد قرأ مرة أن الرجل يستطيع أن يختبر مشاعره الحقيقية نحو المرأة بعد أن ينام معها.. إذا ملَّها بعد اللذة وأراد أن يفارقها بسرعة فمعنى ذلك أنه لا يُحبها، والعكس صحيح..)صفحة 346

سؤال سألته لنفسه متأخراً جداً.. وكان عليه أن يُقرر ذلك قبل مُضاجعتها، دعك من أجل الزواج منها.. إنما من أجل أن يُحافظ على إنسانيته وإنسانية الآخر.. ويحافظ على حقوق غيره التي انتهكها، واستباحها..

هو يعشقها.. تُشعرنِي الكلمة في هذا المورد بأنها تتعلق بالعلاقات الجسدية فحسب.. قضاء شهوة بين جسدين.. خيانة تتم من وراء ولي الأمر.. خيانة للعقل وللدِين والمنطق.. لأنها جسدية..

قرأ مرة.. قرأ لا بد في أمريكا، في شيكاغو.. لا أظن أنه قرأ ذاك في مصر، عندما كان هناك.. فهذه الأفكار أفكار أناس مُنحِلين ماديّين، لا ينتمون لدين ولا لقوانين تُحافظ العلاقات الاجتماعية والأسرية...

يختبر مشاعره الحقيقية نحو المرأة بعد أن ينام معها.. بكل بساطة.. بعد أن يُمارس علاقة جسدية غريزية، يُمكنه أن يعرف نوع العلاقة المناسبة بينه وبين المرأة.. هل يتزوجها أم يكتفي بصداقتها، أم يعتبرها مجرد عشيقة تُرضي نزوته فحسب أم لا.. كم هو الأمر صعب؟!..

يرتكب كبيرة.. والممارسة الجنسية في أي دين هي زنا بكل المقاييس، وفاحشة لا تتفق مع النقاء ولا الاتزان، ولا النبَل..

يُعرض المرأة لإهانة كرامتها وإذلالها، ثم يُقرر بعد ذلك أن كان يريد التقرب منها أم إقصائها عنه.. بعد أن تضييع شرفها، ومحو بكارتها أو تدنيس روحها..

في رأيي أن هذه أنانية للرجل، أبلغ ما تكون الأنانية.. وأبلغ ما تكون الحقارة والصفاقة والندالة..

امتهان للمرأة، ولكرامتها، وتحقير لشأنها، وتدنيس لفرجها، وانتهاك لحرمتها، وإطاحة بمكانتها الرفيعة..

ليست من الحرية في شيء.. فالحرية لكل إنسان تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين، وليس العكس.. إذن لتكون بمعنى الفوضى.. والحرية التي نرومها هي التي نمارسها بدون أن نشيع في الأرض الفساد، هي التي نحافظ بها على الحقوق، ولا يضرنا أحد ولا نضر أحد.. الحرية هي التي يُمارسها الجميع بلا استثناء.. الحرية هي التي لا تتعدى على حرية الآخرين.. هي التي تضمن الحق لكل إنسان.. هي التي تمنح لكل إنسان حق المعيشة بشرط ألا تسلب أحداً حقه في المعيشة.. مُعادلة بسيطة جداً، لكنها مُعقدة جداً.. مُعادلة لا تكفيها أقلام الأرض، ولا أوراقها كتابة عنها..

الفوضى هي أن يُمارس الجميع حريتهم بدون ضابط ولا حد.. وإذا حصل ذلك.. فسيسود ساعتها قانون الغاب.. البقاء للأقوى.. ويظلم القوي الضعيف، وينتهكه، ويقهره حريته.. لن تكون الحرية ساعتها للجميع.. ستكون للأقوى.. سيختفي الأمان.. لأن السارق سيسلب كما يشاء، وسيقتل القاتل كما يشاء، ويغتصب الغاصب كما يشاء، ويتحرش كما يشاء.. وهنا سيكون للحرية فريق واحد.. الأقوياء.. بكل ما تعني القوة من معاني.. وسيكون الفريق الثاني مُنتهك ومقهور، ومظلوم، ومقتول ومسروق، ومُغتصب، ومسجون، ومُحاصر، ومُقيّد، وجائع وعطشان، وفقير،

ومسلوب، ومُضطهد، ومُشرد، وخائف، ومريض، ومُحتقر ومُهان،  
ومذلول، ومُبعد...  
بأي إنسانية وُضعت تلك الأفكار عن علاقة الرجل بالمرأة أو العكس  
..!؟

بأي دين شرعت ؟!..  
بأي عقل مُتخلف أو خسيس دبرها ونشرها كالنار في الهشيم ؟!..  
إن هذه الأفكار إذا طُبقت فسيُطبقها حُثالة المجتمعات الذين لا يدينون  
بدين، ولا يحترمون المرأة، ولا يتمتعون بأي نخوة، وليست لديهم حمية..  
وهم كالخنازير.. أوضع مخلوقات الله في الأرض..  
إنما أن يُطبقها مسلم وعربي وشرقي على نفسه، ويعتبر تلك الأفكار  
الوضيعة سارية على وجوده وعقله ودينه وظروفه.. فهذا هو الغريب  
فعلاً، والمثير للتقزز !!..

السؤال الذي يُحيرني ولا أجد له إجابة.. هو لماذا كتب المؤلف عن تلك  
الأفكار في روايته، ولماذا لم يربطها بشخصية أمريكية وليس بشخصية  
مسلمة ومصرية وعربية ؟!..

ولماذا كتبها وكأنها دعوة لتجربة هذه الطريقة الدنيئة عربياً.. لماذا  
يستورد أفكاراً ثبت فشلها المريع في المجتمع الغربي، ويدخلها في عقول  
المصريين والعرب والشرقيين والمسلمين، ويمزجها في ثقافتهم ؟!..  
لماذا يضعنا كمتلقين في مواقع منحرفة، ومغلوبة، ومُشوّهة، ومُغمّة،  
وبعيدة ومُبعدة ومقصية عن أفكارنا المنطقية، وعقليتنا المتزنة، وفِطرتنا  
الأصيلة، وأقدامنا الواثقة، وعواميدنا الثابتة، وقضايانا الملائمة لمصريتنا  
ولظروفنا ولديننا وشرقيتنا وثقافتنا ؟

هل هذه هي مهمة الفنان فحسب.. العرض.. السرد.. الرسم.. الفضح..  
الكشف.. المُعانية.. السلبية.. ؟!..

في رأيي هذا ينزع من الفنان والمُبدع صفة العقل، ويمحوها تماماً..  
وإن لم يكن في الفن عقلاً بالإضافة للحساسية والعاطفة.. فسأعده من قبيل  
العبث الطفولي، أو الوعي القاصر، أو مرحلة ما قبل النضج الاجتماعي..  
لست ضد الكتابة عن الفساد، لكنني ضد طريقة العرض.. التي تضع  
المتلقي في لبس واضطراب أخلاقي وديني واجتماعي وثقافي وجنسي...

اقتباس:

- ( قال لنفسه: "هناك طريقتان للتعامل مع هذه المأساة: إما أن أكون أباً شرقياً مُتخلفاً فأتبرأ منها وألغنها.. أو أتصرف كشخص متحضر فأساعدُها حتى تجتاز محنتها". )صفحة 353

الآن الأب شرقياً فيجب أن يكون مُتخلفاً ويتعامل ببربرية ونزق وطيش ..؟

ولأن الأب أمريكي فهو يتصرف بطريقة متحضرة وراقية ورقيقة ؟.. بالعكس تماماً.. فالأمريكان تغلب فيهم القسوة والعنجهية والغلطية.. ويتصرفون - في أكثر الأحيان إن لم يكن أغلب الوقت - بقسوة وبدون وعي ويتركوا لغضبهم العنان كيفما يتفق وغريزتهم المُنحلة والهائجة.. من أجلهم وُضعت القوانين القاسية التي تُحاسب الزوج والأب على تعذيب زوجته وأبنائه.. لأنهم قوم يشيع فيهم الخمر والشمالة وعدم الوعي والإدراك.. إن حضارتهم لا تعتمد على تلك الشريحة العريضة من المجتمع الأمريكي.. بل على الفئة الملتزمة والمتعلمة والجادة والصارمة من الشعب.. وهم قلة للأسف.. ذلك أنهم مُفتقرين لدين حقيقي غير مُحرف يُنظم حياتهم من صغيرها إلى كبيرها مثلما يصنع الإسلام..

مهما بلغ الشرقي من إجرام، فلن يصل لمستوى الأمريكي في إجرامه وطيشه، وفسقه جموحه في الفساد والإفساد.. ذلك لأن الشرقي أصيل في فطرته.. ومُعظم الفلسفات والمِلل والنحل التي تعتنق مبادئ الحب والتسامح والود والرقي والتحضر أتت من الشرق وبلاده..

الشرقي يُعظم العقل الإنساني، ويعتز به، ويحافظ عليه حاضراً دائماً، ويحميه من الغفلة والغياب.. ويستشعر - برغم ضعف قوته الجسدية بالمقارنة بالأوروبيين والأمريكيين - بأن قوته الحقيقية تكمن في رُوحه وعقله ووعيه وحضوره وبصيرته.. تلك حقائق تاريخية وعلمية وواقعية..

الناظر في تاريخ الأمم والشعوب، والدارس للفلسفات، والمتتبع للحكمة، والمتطلع لأصول العلوم، والباحث في الأديان، والمهتم بالروحانيات.. كلهم يعلمون أن الشرق هو المنبع الصافي والمطر المنهمر المستجمع لكل ذلك باستوحاد واستئثار واستفراد، وأسبقية وأفضلية..

الشرقي يكره الخطيئة ويحذر منها، لأنها شعلة جهنمية تستوجب العذاب الروحي، والفساد الاجتماعي، والعقاب الذي لا يحيق بالمخطئ وحده، بل يشد كل مَنْ كان له صلة بالمُذنب.. برغم رحمة الشرقي، ومشاعره الجياشة، وتقديمه للمساعدة بدون وازع بدافع من عواطفه، إلا

أنه يعرف أن الخطيئة والمُخطئ يحتاجان لإرادة واثقة، ولتوبة نصوح، وصلاح وتُقى مستمرين يجبان ما تخلف ونجم عما سبق من ذنوب وأخطاء..

أم الغربي فإن لديه كل عوامل الخطيئة، ويعشق تجربتها، ويعرضها على كل ذي سن، ويتصرف كطفل عابث لم يتعدى الخامسة من عمره لم ينضج بعد.. ليس لديه خبرة الشرقي ولا قدم عهده بالحياة.. ليس لديه مانع من الوقوع في الخطيئة، وإن فكر أن يقدم المساعدة، فإنه يقدمها بدون وعي كامل، أو إدراك للعلاج الناجع.. أغلب مساعداتهم تصب في مصالحهم المالية والمادية.. وليس بوازع من مشاعرهم ورحمتهم وشفقتهم وإنسانيتهم..

#### اقتباس:

( في المرة الأولى عندما تجردت من ملابسها أمام فرناندو، عندما أحست بيده الباردة تلامس جسدها العاري وهو يعدها للتصوير، سحقها المهانة، أحست بدوار وخُيل إليها أنها ستفقد وعيها.. مرة بعد أخرى تلاشى نفورها وبدأت تتأقلم.. )  
صفحة 370

هذا ما أتحدث عنه هنا..

الشرف الفطري، أو المعنوي.. الذي يُجرد الأنثى من الحياء، ومن كرامتها ومن قيمتها الرفيعة..  
عندما يتخلى الإنسان عن طهره، ويتأقلم مع القذارة، ويستحلي الدنس..

عندما تهون المعصية في القلب، ويمتلئ كله ظلاماً، فلا تردد.. أهمية الأمر تكمن في تخلصه من التردد بين النور والظلمة.. هذا التردد الذي حُسم لصالح الظلام وفر كثير من الصراع في ذاته..

ليس لأن المرء مسلماً فهنا تتفاوت عقوبة المعصية أو نتائجها.. بل إن فطرة المرء التي وُلد بها هي التي تصنع النتائج والعواقب، وكل إنسان تجتاحه الآثار الجانبية للمعصية بنفس المستوى.. إما تدريجياً، وإما تباغثياً.. تتوزع أو تتجمع.. حسب تتابع الأحداث وتلاحقها..

يتخلص المرء من شرفه رويداً رويداً.. تبدأ العملية بشرفه المعنوي أو الفطري.. وعندها يكون قد أبدى استعداده.. وهنا يكو من السهولة انتهاك شرفه الجسدي.. وتخلص من طرفي الشرف اللازمين والمترابطين نهائياً.. ولا استعادة للشرف حينها إلا باستعادة الطرفين معاً..

### اقتباس:

- ( لماذا أحس بحرج عندما أتعري أمامه؟ أليس هذا عملي وعمله؟.. هل كنت سأشعر بالخزي إذا كان يلتقط صوراً ليدي أو قدمي؟.. أليس هذا تناقضاً؟.. أليس صدي جزءاً من جسدي مثل بقية الأجزاء؟.. )صفحة 371

لو كان هذا صحيحاً.. فلماذا تغطي النساء صدورهن وتحجبها عن الرجال؟..

لماذا هناك زنا، ووقوع في الفحشاء؟..

لماذا قد يفتتن رجل بأجساد النساء، ويسعى وراءهن؟..

لماذا يغري صدر المرأة الرجل، ولا يغريه أصابع قدميها؟..

لماذا تحجب النساء صدورهن عن الرجال؟، هل لأنه فتنة قد تحض الرجل على افتراسه واغتصابه أم أنه قبيح المنظر قد يؤدي قبحه مشاعر الناس أم أنه محجوز لزوج واحد؟..

لماذا تغطي النساء الصدر، وفي نفس الوقت تترك أيديها وأرجلها أحياناً طوال الوقت عاريين؟

هل أصبحت مفاتن المرأة أجواء مثل يديها وأرجلها ووجهها عرضة للانكشاف والعبث؟..

هل غاب عن المرأة أنها ستصبح رخيصة عندما تنهش عيون كل الرجال في جسدها العاري؟..

هل غاب عنها أنها كالجوهرة عندما تُصان عالياً في حجاب يحميها العبث والحقارة؟..

هل غاب عنها أنها حينما تُعامل على أنها جسد فقط، تصبح أرخص المخلوقات وأحقرها؟..

هل غاب عنها أنها إنسانة مُيزت بالروح والعقل والكرامة.. وأن جسدها له مهمة أعظم من استهلاكه للمتعة واللذة؟..

لقد تدنت كارول لحضيض مُوحل، تقع فيه آلاف من النساء في أمريكا، ويُدركن سقوطهن في حضيضهن، ويعلمن مدى رُخصهن وحقارتهن، وتتمنى كل واحدة منهن أن يجدن الرجل الذي يصرف عليها، ويكفيها شر الحاجة..

تتمنى أن تجد المنزل الذي يأويها، ويستترها عن العري واستباحة جسدها للعابثين في الشوارع كالكلاب والخنازير..

رامية عرض الحائط ثمة حرية رعاء، تحل بها تحت مواطئ الأقدام،  
وتطلق كل الأيادي الدنسة للهزل واللعب بجسمها..  
إنها تُرحب بالقيود والسجون إذا كانت تحت إمرة رجل واحد مسئول  
عنها بالكامل، يُوفر لها كل ما تحتاجه، في مُقابل أن يُدافع عنها ويسترها  
ويُطعمها...  
الفِطرة تنتصر في النهاية.. مهما قصر طريق المومس أو طال..

#### اقتباس:

- ( لماذا أحس بحرج عندما أتعري أمامه؟ أليس هذا عملي وعمله؟.. هل كنت  
سأشعر بالخزي إذا كان يلتقط صوراً ليدي أو قدمي؟.. أليس هذا تناقضاً؟.. أليس  
صدري جزءاً من جسدي مثل بقية الأجزاء؟.. إن شعوري بالعار ناتج عن بقايا  
أفكار قديمة موروثة تعتبر جسد المرأة ملكية خاصة لا يجوز استعمالها إلا بإذن  
أبيها أو زوجها.. هذه خزعبلات.. ليس لدي ما أخجل منه (صفحة 371

لو كانت شخصية أخرى غير كارول هي التي قالت تلك الجملة  
باعتبارها أمريكية صرف، لكان هناك كلام آخر؛ نظراً لمعتقداتهم  
النصرانية المحرفة، وانحلالهم الثقافي، وعدم تقيدهم بشرع أو دين يُحرم  
استعمالهم لجسدهم بطريقة غير منضبطة وعبثية، ويُحافظ على الانضباط  
والاحتشام والعفة..

باعتبار أن الأب يكون ولي أمر أولاده يُوجههم، وهو مسئول عن  
أجساد بناته وكرامتهن، وكذا الزوج مسئول عن زوجته وجسدها، حيث  
هي مكن شرفه وعفته وكرامته..

وتلك المسؤوليتين هما تكليفيتان راجعتان لقوة الرجل، والتي يُدافع بها  
عن المرأة الضعيفة..

ولا يُمكن أن نتهم ضعف المرأة الجسدي بأنه تقليل لقيمتها أو لقدرتها،  
لكنها حقيقة جُعلت من مميزات المرأة كائنٌ فيها من صفات الرقة واللطف  
والليونة، تلك التي تندر في صفات الرجل..

وعلى هذا فلا يُمكن أن يقول أحد - مهما كان - أن الأنثى ليست أمينة  
على جسدها، أو ليس لها حرية فيه.. إنما الحرية إذا لم يكن لها حدود  
معينة أو روادع قوامه؛ تكن عبارة عن انحلال وفوضى وخراب..

وحرية الأب في جسد ابنته لها حدود معينة، تنتهي عندما تبدأ حرية  
زوجها، وكذا الزوج له حرية معينة في جسد زوجته، تنتهي عند حدود  
معينة حددها الشارع الحكيم سبحانه..

والزوجة هي التي تحافظ على تلك الحدود، وتملك الإذن في ذلك..

والبنت في فطرتها تستمتع بتلك المسؤولية والسلطة عليها، من قبل غيرها، من أولياء أمرها من الرجال، بحكم قوامتهم ومسؤوليتهم.. بالنسبة للأب وللزوج أو الأخ أو أياً كان ولي أمرها..

جبلها الله على ذلك.. أن يتحكم فيها الأب بحيث يكون مسئولاً عنها بما يصلحها ويقومها، لأنه أكبر منها، ومسئول عنها..

وكذا الزوج.. تستحب أن يتحكم فيها ويوجهها بما يحفظ شرفه وشرف بيته، ويصون عفتها ويضمن طهارتها أدياً؛ كي تناسب طهارته وطريقته في العفة والصفاء والأمان والوقار...

في مكنون ذات المرأة، وفطرتها، وطبيعتها، ونفسها، أن هذه السلطة تُحقق احتياجها للخشونة والحزم والقوة، بشكل معتدل.. (طبعاً ليس بشكل مبالغ فيه ولا بطريقة هوجائية وبربرية ووحشية...).. فهي بذلك تشعر بأنوثتها، التي تتكون من ضعف وليونة ورقة ومرونة، وتكتمل عندما تتزوج مع رجل يتكون من قوة وخشونة وصلابة وسلطة..

هذا هو منطق الإسلام الرفيع وحكمه المتشابهة.. والذي يفهمه بعض الناس بشكل سطحي، منزوع منه العقل والفكر العالي الحكيم.. إن هي إلا عقول سفيهة تفتري على الإسلام، لمجرد أهواء تعتريها، بدون وجه حق، وبدون فقه، أو تدبر، أو ثقة في حكمة الله وربوبيته..

فالمرأة ربما ينقصها هذا القصور، والدليل أن "كارول" بالفعل سقطت في هذا المحذور الفطري، وضميرها في البدء كان يخزها بدافع من فطرتها..

ولقد فعلت الأمر من وراء "جراهم"، ولو كان عرف أظن أن رجولته كانت ستؤنبها على تصرفها أشد التأنيب، برغم إلحاده، وإيمانه بحرية الإنسان بشكل جامع..

وتلك المهن تتواجد بكثرة في الغرب.. كان باستطاعته أن يدلها على واحدة منها لو كان يقبل بهذا.. لكنه لم يفعل.. وتحمل ضيق العيش، حتى لا تلجئ إلى أن يكون جسدها رخيصاً..

والمشكلة عند المواقف التي تواجه الشخصيات في الرواية.. أن الكاتب يلجئ دائماً للتبرير.. وعادة ما يجعله تبريراً منطقياً من نوعية أن الله سيغفره؛ لأن نية الشخصية سليمة..

لذلك أرى المشاهد ممثلة بالتناقض.. لأن الحياة الحقيقية لا تسير بهذا النسق والتدبير..

الذي يحدث مع الغربيين أنهم لا يكونون مؤمنين، وإذا اضطرتهم الظروف، فإنه يكون قاراً في ذهنهم أن فعلهم مُشين، وخطأ، ومعصية،

لكنهم يسировن على هواهم، وليس حسب منطق سليم.. ومنطقهم الذي يخرعونهُ، يعرفون أنهم لو صارحوا به أول شخص عاقل وجاد يُقابلهم؛ سيُظهر لهم ضعفه وتناقضه وخلوه من الاتزان..

ليس كل الغرب مخالفين للفطرة، حتى المؤمنين منهم بالدين المسيحي... هناك المحافظين جداً... والإعلام عندهم هو الفاسد الذي يخدع العالم بالفكرة الكاملة أو النظرة الشاملة عن الغرب.. وليس من صنع الغرب بحضارته هُم ثلّة الإعلام.. إنما صنعه أناس جادين وعلماء منضبطين، وعُمال محافظين...

وفي كل بلد ستقابل الفساد، حتى لو كانت أكبر دولة إسلامية أو محافظة أو تمتلك حضارة قوية..

وفي الواقع عندما تسود الثلّة الفاسدة؛ فإنك تستطيع أن تتنبأ بانهيار هذه الحضارة، بعد أجل غير مسمى..

المهم أن أي شخص يفعل فعل مناقض لمعتقدهِ السليم.. فهو لا يفعله بمنطق أيضاً سليم، لكنه يتحايل ويُقنع نفسه بهراء وبقناعات أقل من مستواها الحقيقي، وأقل أيضاً من مستوى فكره الحقيقي، إنما هو يُخادع نفسه..

فليس على المؤلف التبرير بمنطق معين قد يبدو للقراء بأنه سليم ليخدعهم.. إنما عليه أن يتحرى الفتنة، وأن يكتب عن المغالطة التي يرتكبها الشخص في حق نفسه، وفي حق منطقهِ السليم، أو يرتكبها بدافع من جهله..

وهنا يجب أن نعلم ملمح الشخصية التي يتكلم عنها المؤلف.. هل هي جاهلة، أم مُغالطة.. فلا يُمكن أن يقتنع الشخص بفكرة معينة خالية من المنطق السليم، إنما قد يقبلها ويعمل بها بدون قناعة، ليصل إلى غاية تلج عليه بشدة..

كثير من الناس يكونون مُقرين بأخطائهم وبمعصيتهم لتركهم الصلاة مثلاً، ويُغالطون أنفسهم، وإذا واجهتهم، يقولون: "ادعيلي ربنا يهديني"، أو "لم يأذن الله بعد"، أو تغرهم الحياة الدنيا، أو يتشاغلون عنها أو يتكاسلون... إنما في قرارة أنفسهم أن الصلاة فرض عليهم بصفاتهم مسلمين؛ يجب عليهم أدائها شكراً لله، ولملازمة السلوك التعبدية العملي بالإيمان القلبي والشفهي..

إنما منطقة القناعات أو التصرفات بحيث تظهر للمتلقين بشكل مُخادع يضعهم هُم أنفسهم في حيرة من أمرهم.. فأعتقد أن هذا تحايل فكري، لا يجوز في الإبداع بتاتا..

### اقتباس:

- ( هذه المرة سنعمل في منطقة وقورة من جسدك.. قدميك )صفحة 373

لقد اعترف المؤلف أخيراً، أن هناك منطقة وقورة في الجسد غير الصدر والعورات الأخرى، وهي القدم.. إذاً فهناك مناطق في الجسم غير وقورة لا يجب أن تتعري، ومناطق أخرى ليست لافتة لتعريتها من عدمه.. هناك مناطق من الوقور التحدث عنها، لأنها لا تمس شهوات لا دخل لها بوقار المتلقي.. وهناك مناطق في الجسم التحدث عنها أو الكتابة عنها ليس من الوقار ولا الأدب التفصيل فيها..

فهذا سيُخفض من قيمة المتلقي كما يُخفض من قيمة المتحدث أو المؤلف..

الكلام عن الأماكن الجسدية الأنثوية غير الوقورة، مثل الثدي والبطن والفخذ، يُثير الغرائز، وبالتالي ينفي الوقار عن المتحدث أو المؤلف.. والكلام عن الأماكن الجسدية الأنثوية الوقورة مثل القدم والأصابع، لا يُثيران الغرائز، وبالتالي يبقى الوقار محفوظاً للمتحدث أو المؤلف..

### اقتباس:

- ( لم تتحقق الديمقراطية، ولم نتحرر من التخلف والجهل والفساد.. كل شيء تغير إلى الأسوأ.. الأفكار الرجعية تنتشر في مصر كالوباء. تصور أنني المسلمة الوحيدة في إدارة التخطيط، من بين خمسين موظفة، التي لا ترتدي الحجاب! )صفحة 381

أي قيمة تُرجى من ترك وقلع الحجاب؟!... وما دخل الحجاب بالديمقراطية أصلاً؟!..

أي ديمقراطية ينشدون المجاهدون والمُجاهدات في سبيلها؟!، أي إصلاح وصلاح يرجون..؟!، إذا انتشرت أسباب الفساد..

أقلع الحجاب ديمقراطية وصلاح وحرية؟!..

بأي حق يصف الكاتب أن الحجاب جهل ورجعية؟!..

أليس من الديمقراطية ومن الحرية الشخصية أن يرتدي النساء الحجاب كما يحلو لهن؟!..

أليس من الحرية أيضاً الواقعة المؤسفة قلعه وازدراؤه وهتكه؟!..

وبماذا سيؤثر الحجاب على المرأة؟، وهو مجرد قماشة على الشعر تحجب حسنه وإغراءه عن الناس الغرباء الأجانب عنها؟.. ماذا ترجو تلك السيدة المُسنة من أن تُزيل الموظفين معها من إدارة التخطيط الحجاب من فوق رؤوسهن؟.. كيف يُفيد إزالته العمل في رأيها؟!..

لا أستطيع أن أصدق أن هذه امرأة مصرية، وكذلك مسلمة تعترف بإسلامها، تُصرح بهذا الكلام عن الحجاب.. كنت أتصور منطقياً أن تقول:  
( تصور أنني المسلمة الوحيدة في إدارة التخطيط، من بين خمسين موظفة، التي ترتدي الحجاب! )

لأن رداء المسلمة المعروف هو الحجاب، والذي لا دخل له بعمل ولا عمليات عقلية تؤثر على أداء المرأة في نطاق حياتها ومعيشتها.. بل بالعكس فإن له منافع جمة للمرأة، ليست مقصورة على المسلمة فقط.. فالحجاب يُعطي للمرأة سمت الوقار والاحترام والعفاف.. فيقيها من نظرات الناس، وتحدثهم بالنميمة، وسبها بالقذف..

وهو يُحافظ عليها من ذوي النفوس المريضة، الذين لا يتورعون عن التحرش بأي امرأة مبتذلة في ثيابها، تلبس "المحذئ والملذق" والعاري، وتتميل في خطواتها، وضاربة في وجهها كيلو من الطلاء.. الحجاب يُحافظ للمتزوجين على زوجاتهم من الاعتداء وهتك الأعراض، وكذلك للآباء على بناتهم، والإخوة على أخواتهم.. الحجاب يُحافظ على شعر المرأة من الأتربة والهواء الفاسد، والتساقط والجفاف..

الحجاب يُحافظ على تقليل انتشار النظر المُحرم، وبالتالي تقليل جرائم الاغتصاب والتحرش والاعتداء والقتل.. أي أننا نتحدث عن وسيلة يُمكنها أن تُحقق إصلاح وصالح في أي بلد بنسبة لا تقل عن أربعين في المائة..

أرى أن هذا المشهد وغيره قمة التناقض في الرواية وقمة الجهل، وقمة البُعد عن احتياجات الناس من الحرية والديمقراطية.. ويقول واصفاً تلك الشخصية القائلة في الرواية أنها مناضلة من أجل الديمقراطية في مصر!!!!..

هل كانت تُناضل من أجل انحلال الإسلام، من أجل القضاء على فرض إسلامي، أو رده إلى العادات والأعراف السائدة التي تقع في دائرة التخلف والجهل؟!!!

أهو نضال من أجل الديمقراطية والحرية، أم نضال من أجل فرض صورة معينة لوجهة نظر معينة على شعب بأكمله، فأين الحرية والديمقراطية في هذا بالله عليكم؟!!!

كفى عبثاً بعقول الناس، وفرض التناقض على حياتنا، ومُعاشته، والعيش فيه بشكل قبيح ومقزز ومثير للغثيان..

مَنْ ذا الذي يمكنه مُقارنة السلبيات من الإيجابيات في الرواية؟..  
مَنْ ذا الذي يُمكنه التفريق بين الصالح للأخذ والاعتناق من الصالح لسلة المهملات؟..

#### اقتباس:

- ( .. ما ينتشر في مصر الآن ليس تديناً حقيقياً، وإنما اكتئاب نفسي جماعي مصحوب بأعراض دينية! ) صفحة 381

ماذا يريد أن يكون الدين الحقيقي؟..

تدين على الموضة..

تدين يتخلى عن المظاهر، ويعتق المبادئ والأفكار فحسب.. فأين منطق هذا؟!!!

إذا رجع الناس إلى دينهم.. نُسَمي هذا اكتئاب نفسي جماعي..؟!!

إذا رجع الناس للفطرة، للأصل نقول أنها حالة مرضية؟!!!..

لماذا لا نقول أن اكتئاب الناس من الوضع الاجتماعي جعلهم يتمسكون بفطرتهم ودينهم، لعلهم يجدون فيه نجاتهم وراحتهم ووسيلتهم في تغيير الحال إلى حال أحسن.. باعتبار أن الدين هو المنهج المُنزل من عند الله، والذي فيه صلاح البشر..

فكيف بنا في تصور المؤلف أن نُعالج حالنا السيئ؟.. هل بالمناهج الوضعية، التي وضعها البشر، وهم قاصرين، ليسوا مكتملين، ويُخطئون لا يكفون عن النسيان ولا الزلل؟!!!..

وكلامه يُوحى كأن التدين ليس أصلاً في الحياة.. كأنه حالة طارئة.. وسماها بأنها أعراض دينية، ناتجة عن مرض.. وكأن المرض الذي نعاني منه من أعراضه الأساسية أنه ديني!!..

وكان الإسلام يجب أن يتطور بتطور الزمن، وفوضوية الناس !!  
أو كان الحجاب في شرع الإسلام ليس موجوداً، وكان النساء يمشون  
عرايا كما يمشون الآن..

أليس نساء الأمس هم كنساء اليوم.. أليست شهوة الرجال هي شهوة  
رجال اليوم.. أليست عاقبة التعري واحدة في كل مكان وزمان.. الفساد  
الجنسي والاجتماعي والأخلاقي والتناسلي والمرضي؟؟!!!!..

أنا أريد أن أفهم ما هو التدين الحقيقي؟!..

في رأيي أن لا شيء اسمه التدين الحقيقي..

التدين هو قدرة الإنسان على إتباع تعاليم الإسلام حسب فهمه وطاقته  
 واحتياجه.. وليس صورة متفردة يتوجب على كل مسلم - مثلاً - إتباعها  
بحذافيرها لكي يُسمى متديناً.. وساعتئذ سيكون هذا الدين متجمداً، لا  
يحترم طبيعة البشر ولا طاقتهم ولا احتياجاتهم المختلفة والمتباينة من  
شخص لآخر..

لا يمكننا أن نقول ( التدين الحقيقي ).. وإلا نكون مُصادرٍ لحريات  
الآخرين في ممارسة دينهم..

نكون ضيقي الأفق، لا نقل تزمناً عن المتشددین في الدين..

عندما نقول بها نحجر على حريات الناس في ممارسة دينهم بعدة  
طرق..

نظن في تعدد المذاهب، وسيكون كل شيخ مذهب مشكوك في تقواه  
 واجتهاده.. سنعسر على الناس حياتهم، وسنعسر عليهم الرجوع لدينهم..  
لماذا نفعل؟!، وما أنزله الله إلا رحمةً للعالمين، وتيسيراً لحياتهم،  
وتسهيلاً لمهمتهم على الأرض..

إذا كانت الديمقراطية بهذه النسقية، وبهذه الإستراتيجية فسُحقاً لها..

سُحقاً لها إذا قيدت حرية الناس في ممارسة دينهم..

سُحقاً لها إذا فرضت صورة معينة على الناس ليأخذوها بلا زيادة ولا  
نقصان..

إذا كانت هذه أفكار زينب فعلاً، فعنده حق محمد صلاح أنه هرب منها،  
وتركها، ولم يرتبط بها، وليس لأنه جبان كما قالت له من قبل.. بل لأن لها  
أفكار عبثية شاذة، لا تستقر على أرض ثابتة، ولا تمت بصلة لأي أصل  
يُمكن الانطلاق منه...

اقتباس:

( - المذهب الوهابي يُحرم الخروج على الحاكم المسلم حتى لو ظلم الناس.. أكثر ما يشغل الوهابيين تغطية جسم المرأة!  
- هل يُمكن أن ينحدر فكر المصريين إلى هذه الدرجة؟  
- وأكثر.. في مصر الآن سيدات يرتدين قفازات حتى لا يستشعرن الشهوة إذا صافحن الرجال! )صفحتي 381، 382

والله لو كان أكثر ما يشغل الوهابيين في هذا العصر فعلاً تغطية جسم المرأة لتوهبت، ولساعدتهم على ذلك بكل جهدي..  
فالفساد في مصر من أسبابه المهمة تجرد المرأة من ملابسها، وتعريضها وهي كاسية في الشوارع، وتحريك غرائز الشباب والرجال نحو جسمها وفتنته وزينته أمام أنظارهم المتلاحقة المتبلّمة..  
ولا أدري لماذا المؤلف غير مقتنع بأن تعري المرأة المستشري جزء من الفساد المتفاقم في مصر، ليس مصر وحدها، إنما في كل البلاد..  
التعري والانحلال الأخلاقي، واستباحة جسد المرأة هو فساد مبین تتفرع منه عدة سلبيات أخرى، يهديه الله إليها لو أراد له الهداية سبحانه..  
فالشهوة غريزة عمياء يُسببها جسد المرأة إذا تعرى أو توصّف، ومن شأن تلك الغريزة العمياء أن تُضِلّ وتُضِلّ ويرتكب من أجلها الجرائم وكل الموبقات، التي تُوصف بالفساد السياسي والأخلاقي، الذي يتكلم عنه الكاتب..

ويُشير الكاتب أيضاً إلى الملتزمات العفيفات اللاتي يتنقبن ويحجن زينتهن عن مرضى القلوب والغرائز - وما أكثر مرضى القلوب والنفوس والأرواح في بلادنا - حتى لا يؤذین أي نوع من الإيذاء..  
ثم إنني لا أعرف ما دخل الديمقراطية والسياسة بحجاب المرأة ونقابها وتعففها، وتنائيهما عن الاختلاط بالرجل، وعدم رغبتها في ملامستهم؟!..  
أليس هذا من شيمته أن يقي جميع الأطراف من الشهوات العارمة في هذا العصر، ويُقيم احترازاً مضاداً من نتائج الشهوة المؤذية..

ثم حتى ما العيب في المذهب الوهابي، وهو مذهب السلف الصالح..  
وهو مذهب يعتمد المذهب الحنبلي.. ويُعد أحد المذاهب الفقهية المعتدلة..  
ولا يفرق كثيراً عن مذهب أهل السنة والجماعة..  
وحتى فيما يخص مذهب الوهابية أو مذهب الإمام محمد بن عبد الوهاب، فإن غلماء السنة يفتون برأي سديد بخصوص هذا المذهب، ويميطون عنه المشتبهات التي علقت به في أذهان العوام:  
اقتباس:

## فتوى الشيخ فيصل مولوي في (الوهابية) 108

### 109 السؤال

ما هو المذهب الوهابي؟ ومتى نشأ هذا المذهب وأين ينتشر؟ ولماذا باقي المذاهب على عدااء معه؟  
الفتوى:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد.. ليس هناك مذهب وهابي وإنما هناك عالم مجدد اسمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان حنبلياً في الفروع والأصول، اجتهد في تصحيح عقائد الناس وكان همه الأول أن لا يقع المسلمون في الشرك من حيث لا يشعرون، ولقد انتشرت أفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الجزيرة العربية، وخاصة في المملكة العربية السعودية، وليس هناك عدااء بين من يسمون (وهابيين)، وبين سائر المذاهب الإسلامية، بل هناك خلاف علمي، يشتد أحياناً، خاصة بين الجهلة والمتعصبين حتى يصل إلى التكفير، لكنه يبقى بين العلماء خلافاً علمياً لا يفسد الأخوة الإسلامية التي تجمع الجميع. ومن الجدير بالذكر أن المنهج الأصلي للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، هو التزام القرآن الكريم والسنة الصحيحة، وهو منهج السلف، ومنهم المذاهب الأربعة وهو منهج المسلمين جميعاً. لكن قد يتوصل الإنسان بهذا المنهج إلى رأي يختلف عن غيره، فهو خلاف طبيعي في فروع الفقه، وليس خلافاً حول منهج الفهم والاستنباط.

وفيما يلي أنقل مقالة ذات فوائد عظيمة، بمصادرها، بعنوان "خاطر حول الوهابية"، وهي ملخص كتاب بنفس اسم المقال لنفس الكاتب، لمن أراد قراءة الكتاب كاملاً:  
اقتباس:

خاطر حول «الوهابية»  
د. محمد بن إسماعيل المقدم

لماذا حاول بعضهم تشويه صورتها، وأقرّ آخرون بصدقيتها؟

مضت سنة الله - تعالى - التي لا تتبدل أن يعارض أهل الباطل أهل الحق الداعين إليه، وأن يشنعوا عليهم، ويثيروا الشبه والشكوك حولهم ليصدوا عن سبيل الله، ويبغوها عوجاً. ولأن دعوات الإصلاح والتجديد لا ترضى بالحلل الوسط، ولا بأنصاف الحلول، فإنها تصارع المعتقدات الفاسدة، وتلقى في أول أمرها مقاومة عنيفة كرد فعل دفاعي من خصومها؛

إذ إنها حين تصطدم بالمألوف «المتكأس» وتحاول تغييره، فإنها تتحدى أهله والمنتفعين به، وتستفزهم مهما كانت فدائية ومنقذة لهم، تلك طبيعة الأشياء، ولذلك جابهت دعوة التجديد التي أنار شعلتها شيخ الإسلام محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - حالة عدم الانقياد والتصلب التي أظهرها معارضوه، ولم تقتصر تلك الحالة على شهر السلاح في وجه هذه الدعوة وتجيش الجيوش، بل انضم إليها أقلام متعصبة حاولت مسخ حقيقتها، وتشويه صورتها بالافتراء والكذب. لقد تسرع الكثيرون في الحكم على الشيخ، ولعل بعضهم لم يقرأ للشيخ أصلاً، وإنما قرأ عنه من أعدائه؛ ولعبت السياسة دوراً في هذا، ولا سيما السياسة الإنكليزية التي كانت ترصد وتراقب بواعث النهضة في الأمة الإسلامية، وتحاول الإجهاز عليها قبل أن تؤتي ثمارها.

كما أن الدولة العثمانية - التي انتشرت في ظلها طرق صوفية غالية - انطلقت في هجومها على الدعوة السلفية لمخالفتها لها في المنهاج، وفي بعض متعلقات العقيدة كالتوسل، والاستغاثة بالموتى، وسائر البدع والشركيات.

أضف إلى ذلك جماعة الروافض الذين ينالون من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ورضي الله عنهم، وبعضاً من أعلام أهل السنة، ويتورطون في شركيات يزعمونها من أصول الدين.

ولا يظن ظاناً أن مناطق الاحتكاك أو مسائل الاختلاف بين الوهابيين وخصومهم تخص الوهابيين وحدهم، بل هي معتقد السلف الصالح والصدر الأول المبني على أدلة الكتاب والسنة، انطلاقاً من «منهاج النبوة» وليس للوهابية سوى فضل إحيائها، وتجديدها، وتذكير المسلمين بها، وتنبيههم إليها، ونفض غبار البدع عنها.

ولست بمستدل على هذه الحقيقة بشهادات المئات من أعلام المسلمين الذين نافحوا عن هذه الدعوة، وأقروا بدورها التجديدي العظيم، ولكنني أعرض شهادات خصوم الإسلام ممن أنصفوها، من باب:

ومليحة شهدت لها ضرأتها... والفضل ما شهدت به الأعداء

جاء في «دائرة المعارف البريطانية»: «الحركة الوهابية اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح».

وقال المستشرق الأسباني «أرمانو»: «إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق؛ فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة محمد» - صلى الله عليه وسلم -.

وقال المستشرق «جولدتسيهر» في كتابه «العقيدة والشريعة»: «إذا أردنا البحث في علاقة الإسلام السني بالحركة الوهابية نجد أنه مما يسترعي انتباهنا خاصة من وجهة النظر الخاصة بالتاريخ الديني الحقيقة الآتية: يجب على كل من ينصب نفسه للحكم على الحوادث الإسلامية أن يعتبر الوهابيين أنصاراً للديانة الإسلامية على الصورة التي وضعها النبي وأصحابه؛ فغاية الوهابية هي إعادة الإسلام كما كان» ١ هـ.

إن حركة التجديد التي قام بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - كانت بمثابة زلزال نفسي بناء بعث الحيوية والحركة والنشاط في الأمة الإسلامية، وأيقظها من سباتها، وأعاد إليها شبابها ونضارتها.

ومما يلفت النظر في تلك الحركة التجديدية أن ثمارها وبركاتها وآثارها تخطت حدود المكان فملأت آفاق الأرض، وتخطت حدود الزمان فتجاوزت القرن الثاني عشر إلى عصرنا الحاضر. وعلى كثرة ما ألف في الدفاع عن «الوهابية» وعن إمامها، لا تزال بحاجة إلى من يسبر أغوارها، ويستخرج كنوزها المخبوءة.

إن معظم الدراسات حول هذه الحركة التجديدية كانت دراسات وصفية، تُغنى بالسرد التاريخي للوقائع والأحداث، أو تختص بدفع شبهات الخصوم في القضايا التقليدية التي استهلكت

كثيراً من الطاقات، وأهدرت كثيراً من أوقات الذين اضطروا للتصدي لها، مع ما فيها من الفوائد العظيمة بالنظر إلى سهام الشبهات التي صوّبها خصومها لصد الناس عنها. ولعله أن الأوان أن تنتدب طائفة من المتخصصين المؤهلين لكي تخرج لنا دراسة تحليلية عميقة، تسلط الضوء على سر نجاح هذه الدعوة هذا النجاح الفائق، وتُبْحِرُ في أعماق نفسية هذا الرجل «الأمة» وتكشف لنا أغوار تلك الشخصية «الفذة» التي يندر أن يوجد التاريخ بمثلها.

ولئن كانت مراتب الشخصيات التاريخية الفذة تُحدّد ضمن ما تحدد بالبصمة التي طبعتها في تاريخ البشرية، وبالأثار التي تركتها في الدنيا؛ فإن ابن عبد الوهاب بهذا المقياس يتقدم على كثيرين ممن أعطوا هذه المنزلة.

#### • أسباب نجاح هذه الدعوة:

ولعل من أهم أسباب نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - بعد توفيق الله - عز وجل -:

1 - أنها انطلقت من التوحيد الذي هو أساس دعوة جميع الأنبياء، ووفّقت العقيدة حقها، ونبذت كل صور الشرك والوثنية.

2 - أنها جسّدت منهج أهل السنة والجماعة في أجلى صوره، وأنها سارت على خطى المجددين السابقين وبخاصة شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى. ومعلوم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - ربط بين إعادة التمكين للإسلام وبين التزام هذا المنهج في قوله - صلى الله عليه وسلم - : «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةُ عَلَيَّ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ».

3 - شخصية الإمام المجدد - رحمه الله تعالى - المتميزة؛ ولعل عبقرية هذه الشخصية تكمن في إخلاص صاحبها وتجرده، وصدقه الشديد في دعوته، وغيخته الشديدة على حقائق التوحيد، وصبره على الشدائد، «ونكران الذات» فمع أنه الرجل الأول في الدعوة فإنك لا تلمس أثراً لطغيان الـ «أنا» فكان لا يدعو إلى «نفسه» ولا يسعى لبناء مجد شخصي، وإنما: {دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [فصلت: 33].

4 - إن الذي بقي من شخص الإمام المجدد سطور خطها يراغها، وطبعتها المطابع الحديثة، ومع ذلك فانت تحس «بِنَفْسِهِ» حاضراً في سطور النابضة بالحياة، المشرقة بالبساطة والسلاسة، فلا تقعر، ولا تكلف، ولا تنطع، وحين تقرأ كلماته فإنك تشعر أنك لا تتعامل مع حبر وورق، ولكن مع إنسان حي يخاطب روحك، وينفذ تأثير سطورهِ إلى أعماق وجدانك، وكأن كلماته جمرات وقادة تنبعث منها الطاقة النورانية والحرارية فتوزك أزاً إلى التحرك ونبذ السكون، وتعمل في قلبك ما يعمل الوقود في غرفة الاشتعال داخل محرك السيارة.

إنما التوحيد إيجاب وسلب... فهما في النفس عزم ومضاء

«لا» و «إلا» قسوة قاهرة... لهما في القلب فعل الكهرباء

لقد صنف هذا الرجل مصنفات عظيمة البركة، كثيرة النفع على السّنن نفسها الذي سبقه إليه المصنفون، لكن: مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يُوَلِّفَ «أمة» ويصنف «رجالاً» كما فعل الرجل «الأمة»؟

5 - ومن أقوى أسباب نجاح الدعوة التجديدية تلك اللحظات التاريخية التي شهدت أروع تحوّل فكري وسياسي واجتماعي في قلب الجزيرة العربية في ذلك العصر، حين التحم «التوحيد» و «الحديد»، والتقى «القرآن» و «السلطان»، واندمجت «قوة العقيدة والملة» في «قوة السلطة والدولة» مُمَثِّلَتَيْنِ فِي شَخْصِي الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب والإمام محمد بن سعود، ووقعا الأحرف الأولى بالتزام تأليف السّفر الضخم النابض بالحياة والإيمان والتقوى في صورة من أجمل مشاهد أيام الإسلام في العصور المتأخرة.

لقد كانت مرحلة تحول تاريخي يقول فيه «فيليب حتّي» في كتابه «تاريخ العرب»: «إن

تاريخ الجزيرة العربية الحديث يبتدئ منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري حين ظهور حركة الموحدين في الجزيرة العربية، وحين شاركت قوة الدين سلطة الحكم» ١ هـ.

#### • خلفيات مصطلح الوهابية:

كان مصطلح «الوهابية» اصطلاحاً سياسياً مغرضاً يرمي إلى التنفير عن الدعوة وأهلها، وكانوا يريدون بالوهابية أتباع أئمة الدعوة السلفية التي قام بها في نجد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، مع أنه وأتباعه ليس لهم مذهب خاص، بل هم في العقيدة على معتقد السلف الصالح، والأئمة الأربعة، ومن تبعهم بإحسان، وهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل إمام السنة والحديث، وهم لم يختصوا بشيء يقتضي تسميتهم بالوهابية، ولم يبتدعوا جديداً، ولأن القائم بالدعوة ليس هو عبد الوهاب، وإنما هو ابنه الشيخ محمد، فهم المحمديون أصلاً وفرعاً، ثم إن الوهابية على أية حال هي نسبة إلى الله - تعالى - الوهاب؛ فهو الذي وهبهم الهداية والعلم والعمل.

واقتباساً من قول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -:  
إن كان رفضاً حُبُّ آل محمد... فليشهد الثقلان أني رافضي  
أجاب العلامة الشيخ «ملاً عمران بن رضوان» مبيناً أنه لا مُشَاحَّة في الاصطلاح، وردَّ على من يُعَيِّرُون أَهْلَ التَّوْحِيدِ بوصف «الوهابية» فقال - رحمه الله تعالى -:  
إن كان تابع أحمد متوَّهباً... فأنا المقرُّ بأنني وهَّابي  
أنفي الشريك عن الإله فليس لي... ربٌّ سوى المتفرد الوهَّاب  
لا رقية تُرجى ولا وثن ولا... قبر له سبب من الأسباب  
أيضاً ولست مُعلَقاً لتُميمة... أو حلقة أو ودعة أو ناب  
لرجاء نفع أو لدفع بلية... الله ينفعني وينفع ما بي [1]  
وقد عاملهم الله بنقيض ما قصدوا من ذم الوهابية بهذا اللقب، فصار هذا الاسم الآن علماً على متبعي الكتاب والسنة، والتمسك بالدليل، ومذهب السلف، ومحاربة البدع والخرافات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا يقول الشيخ عبد الرحمن سليمان الرويشد: «لم يكن إطلاق كلمة (الوهابية) التي يراد بها التعريف بأصحاب الفكرة السلفية شائع الاستعمال في وسط السلفيين أنفسهم، بل كان أكثرهم يتهيب إطلاقه على الفكرة السلفية.  
وقد يتورع الكثيرون من نعت القائمين بها بذلك الوصف، باعتباره وصفاً عدوانياً كان يُقصد به بلبلة الأفكار والتشويه، وإطلاق المزيد من الضباب لعرقلة مسيرة الدعوة، وحجب الرؤية عن حقائق أهدافها.

وبمرور الزمن، وإصابة محاولات التضليل بالعجز عن أداء دورها الهدام، تحوّل ذلك اللقب بصورة تدريجية إلى مجرد لقب لا يحمل أيّ طابعٍ للإحساس باستفزاز المشاعر، أو أي معنى من معاني الإساءة، وصار مجرد تعريف مميّز لأصحاب الفكرة السلفية، وماهية الدعوة التي بشر بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، وأصبح هذا اللقب شائعاً ورائجاً بين الكتّاب والمؤرخين، الشرقيين والغربيين على حد سواء.

ومن ثم فليس هناك ما يسوّغ هجر استعمال تلك الكلمة، كتعريف شائع، أو تعبير يُستخدم في إطاره الصحيح للرمز إلى المضمون الفكري المقصود: وهو التمسك بالكتاب والسنة، ومحاربة مظاهر الشرك والبدع، وما رُجِّح به في العقيدة السلفية، وأدخل عليها من انحراف، مع ضرورة العيش في ظل قيادة إسلامية عادلة تُحكّم الشريعة، وتلتزم تطبيق منهجها عملاً، وتحمل الرعاية على امتثال ذلك بأسلوب الترويح والترهيب» [2] ١ هـ.

لقد واجهت الدعوة التجديدية الوهابية أخطاراً عديدة، ولكن أخطر ما واجهته سلاح الدعاية والإعلام الكاذب، المتمثل في الكتابات والنشرات التي هاجمت الوهابية هجوماً ظالماً غاشماً

قفزت فيه على كل المعايير الإسلامية والأخلاقية، فضلاً عن الأمانة العلمية. ومن سوء حظ أعداء الدعوة السلفية الوهابية أن الله - سبحانه وتعالى - كما بارك في علم ودعوة شيخ الإسلام - رحمه الله - بارك في أبنائه وذريته وتلامذته، فبرز منهم علماء ربانيون أفذاذ استعملهم الله - تعالى - في الذب عن دعوة التوحيد بكل كفاءة واقتدار جيلًا بعد جيل، فصنفوا الكتب [3] للرد على الدعايات المغرضة بأسلوب علمي رصين يحيلها هباءً منثوراً، وهذه الخاصية العظيمة جعلت المؤرخ التركي «جودت باشا» - مع كونه خصماً من خصوم الدعوة السلفية - يقر ويعترف بضعف وضحالة حجة كل من صنفوا ضد الوهابية مقارنة بكتابات علمائها الراسخين، فقال:

«إن الرد على الوهابية يستوجب ثقافة واسعة، ومعرفة بأحوال البلاد العربية الدينية والاجتماعية والسياسية، ووقوفاً على علوم الدين، وإطلاعاً واسعاً على الحركات الفلسفية، ومقدرة على الجدل والإقناع.. وكل ذلك مفقود عند العلماء الذين ردوا على الوهابية، وكل ردودهم مشحونة بالسخف والهراء.. وإنهم يقدمون بأيديهم وسيلة للسخرية منهم ومن ردودهم..» [4] اهـ.

#### • خطأ تاريخي حول الوهابية يجب تصحيحه:

لقد بلغ التدليس ببعض المشنعين إلى حد أنهم نسبوا الوهابية إلى دعوة خارجية إباضية في شمال أفريقية ذُفن خبرها في سجل التاريخ، وكانت قد نشأت في القرن الثاني الهجري، وعرفت باسم «الوهابية» نسبة إلى عبد الوهاب ابن عبد الرحمن بن رستم الخارجي الإباضي، الذي عطل الشرائع الإسلامية، وألغى الحج، وحصل بينه وبين معارضيه حروب، وقد توفي سنة (190هـ) أو (197هـ) بمدينة تاهرت بالشمال الأفريقي، وكان الونشريسي المتوفى في (914هـ) بفاس بالمغرب قد ذكر في كتابه «المعيار» (168/11) أن اللخمي (ت 478هـ) سئل عن أهل بلد بنى عندهم الوهابيون مسجداً، ما حكم الصلاة فيه؟ فأجاب: «هذه فرقة خارجية ضالة كافرة، قطع الله دابرها من الأرض، يجب هدم المسجد، وإبعادهم عن ديار المسلمين» [5] اهـ.

فطار المدلسون بهذا فرحاً، ونشروا تلك الفتوى ونظائرها، مع أن بين وفاة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ) رحمه الله تعالى، وبين وفاة عبد الوهاب بن رستم أكثر من ألف سنة، وبينه وبين اللخمي (728) سنة، وبينه وبين الونشريسي (292) سنة، ومع ذلك طوعت لهم أنفسهم أن يشنّوا على دعوة شيخ الإسلام بهذا الأسلوب الظالم [6]. لقد تركت الحملات الإعلامية المناهضة أثراً لا يُستهان به في العامة والخاصة، وشكّلت موقفهم العدائي المتعجل من الشيخ ودعوته، في وقت كان خصومه يملكون الآلة الإعلامية الفعالة، والآلة العسكرية القتّالة، وكان مجرد التلويح بتهمة «الوهابية» كافياً في قمع من يُشم منه رائحة السلفية، لا في البلاد العربية وحدها، بل في سائر أرجاء العالم الإسلامي. ولنضرب الهند مثلاً:

فهذا ملك العلماء، وعالم الملوك، العلّامة «السيد صديق حسن القنوجي البخاري» (ت 1307هـ) بقي في الحكم أربع عشرة سنة ملأها عدلاً ونوراً وعلماً، ثم غُزل بسبب الوشاة والنمامين من أعداء السنة والتوحيد، واتّهم لدى الحكومة الإنكليزية المستعمرة بأنه يحرض الناس على الجهاد، وينشر المذهب الوهابي [7].

وهذا الإمام «السيد نذير حسين بن جواد علي بن السيد أحمد شاه الدّهْلَوِي» (ت 1320هـ 1902م عن مائة سنة) مجدد السنة النبوية في القارة الهندية، والملقب بشيخ الكل، وهو شيخ السهسوانى صاحب «صيانة الإنسان»:

عُدب كثيراً في سبيل نشر التوحيد، والدعوة إلى السنة النبوية، فسُجن في روابندي سنة 1864م بتهمة الوهابية، وبقي في السجن مدة سنة كاملة، وسافر إلى الحج سنة 1300هـ،

فسعى النمامون إلى الباشا في مكة المكرمة، فاتهمه أعداء التوحيد بأنه وهابي، ومعتزلي، ويبيح شحم الخنزير، ونكاح العمة والخالة، وقدموا إليه رسالة باسم: «جامع الشواهد في إخراج الوهابيين من المساجد»، ولكن الباشا لما علم بحقيقة الحال أكرمه أيما تكريم، ورجع الأعداء خائبين [8].

وبلغ الاضطهاد والقهر أن كل من كان يرفع يديه في الصلاة من الهنود أو جَهَر بآمين يتعرض لأشد أنواع الأذى لأنه «وهابي» [9]. وإليك هذه القصة العجيبة التي وقعت أيضاً في الهند:

كان أحد العلماء الفضلاء في الهند يستقبل طلابه ويلقي عليهم دروس التفسير والحديث، وكان هذا الشيخ يبدأ درسه بعد الحمد لله والصلاة والتسليم على رسوله بالدعاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته، ويسأل الله أن يظهر الأرض من شرورهم وأثامهم. وكان أحد أبناء نجد تلميذاً لهذا الشيخ، وكان من المستحيل عليه أن يرد الشيخ إلى الصواب، وسط هذه الأجواء من الادعاءات والافتراءات التي يشنها الأعداء، وتحرص دولة كبرى كدولة الخلافة العثمانية، ومن ورائها الاستعمار وأذنايه، وكل أصحاب المذاهب والنحل الباطلة على النيل من هذه الجماعة وصاحبها.

وذات يوم فكر الطالب في أمر يرد به شيخه إلى جادة الصواب، ويعرفه بحقيقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية؛ فما كان منه إلا أن نزع غلاف كتاب «التوحيد» للشيخ، وقدمه لأستاذه طالباً منه قراءته وإبداء حكمه عليه.

واستجاب الأستاذ لطلب تلميذه، وقرأ الكتاب، فأثنى عليه ثناء منقطع النظير، بل أضاف أنه من أحسن الكتب التي قرأها في هذا الباب، ومن أكثرها فائدة، وهنا كشف الطالب لأستاذه عن مؤلفه الذي يتقرب الشيخ إلى ربه بالنيل منه كل صباح.

فاستغفر الشيخ عما بدر منه في حق هذه الجماعة وصاحبها وصار من أكثر المدافعين عنها، الداعين لها [10].

#### • المصريون والوهابيون [11]:

أرسل «محمد علي باشا» أول بعثة مصرية إلى فرنسا، وكانت تتكون من أربعين شاباً من الأتراك والمصريين، ثم زاد عددهم بعد ذلك، ولما عاد أعضاء البعثة اعتمد عليهم «محمد علي باشا»، وأحلهم محل الأجانب، ومضى أبناؤه من بعده على ذلك في الاهتمام بأمر مصر التي أصبحت ملكاً لهم، حتى وصل الأمر إلى حفيده «إسماعيل بن إبراهيم» الذي كان يقول: «إن بلادني ليست من أفريقيا، بل هي جزء من أوروبا».

ولم يشذ عن هذا الخط من أبناء «محمد علي» إلا خليفته وابن ابنه الأكبر «طوسون» الذي ولي بعد وفاة «إبراهيم باشا»: وهو «عباس باشا الأول».

ولقد كان هذا الرجل قد تربى تربية دينية شرقية وعُرف عنه بغضه للفرنساويين، وبلغ به الأمر إلى أن عمل على إيقاف إيفاد البعثات إلى فرنسا، واتخذ الأوروبيون عموماً - ولا سيما في فرنسا - التي كانت تعرف بغضه لها هدفاً لسهامهم.

لذلك يقول عنه بروكلمان: «إنه كان مسلماً متعصباً يزدري التربية الأوروبية ازدراءً بعيداً». ويتهمه بأنه كان طاغية، والحق أنه كان متديناً تقياً. ويدل على ذلك أمران:

أحدهما: قبل ولايته: فقد استطاع «عباس الأول» محافظ مصر آنذاك لجده «محمد علي» أن يخرج الوهابيين من أبناء ابن سعود والذين سجنهم «محمد علي» في القلعة بحيلة دبرها، ولم يستطع الجنود أن يخبروا «محمد علي» إلا بعد ثلاثة أيام خوفاً منه، ولكنه على كل حال لم يفعل شيئاً؛ لأنه كان يثق بعباس، ومنذ ذلك الحين صار عباس صديقاً حميماً لفیصل بن سعود إلى نهاية حياتهما.

ولا ريب أن انتشار أئمة الدعوة في مصر كان له الفضل الأكبر في سريان حقائق الدعوة هناك، ولا سيما أن هؤلاء «الوهابيين» كانوا طلبة علم، فالتحقوا بالأزهر، ودرسوا فيه، ودرّسوا.

والأمر الآخر: أن «عباساً الأول» كان الوحيد من أولاد «محمد علي» الذي كان يتردد إلى المساجد في شهر رمضان لاستماع الدروس والمواظب الدينية، وفي أيام «عباس باشا» لم يكن أحد يستطيع أن يسير في الشوارع وقت الصلاة وإلا تعرض لسياط «الشاويشية» الأتراك، جنود عباس، وفيما عدا عباساً كان أبناء «محمد علي» جميعاً يميلون إلى أبيهم «محمد علي الكبير» ويتبعون سياسته في الحكم مانلين إلى الغرب.

#### • موقف بعض العلماء الأزهريين:

كان من المقرر أن يصطحب ستة من علماء الأزهر وفقهانه حملة «محمد علي» الأولى إلى جزيرة العرب تحت قيادة «طوسون باشا»، ولكنهم تخلفوا في الشرقية بأعذار مختلفة، وكلها من التكنات الواهية؛ فهم مطالبون بمناظرة علماء التوحيد أمام الناس عند الغزو، كنوع من الإعلام يستخدمه الأتراك لإحراج علماء السعودية، وعلماء الأزهر يدركون أن ما يقوله العلماء هناك حق وصدق، وهو لب الدين وجوهره، ويصعب عليهم أن يقولوا ما لا يعتقدون، وإن قالوا؛ فلن يجدوا الأدلة على باطلهم من القرآن والسنة، وسيكون موقفهم مزرياً ومثيراً للخلل والاحتقار.

ولم يكن منتظراً منهم أن يذهبوا مع الحملة إلى جزيرة العرب، ثم يعلنوا انضمامهم إلى إخوانهم من العلماء، تاركين أهلهم وأولادهم في مصر تحت رحمة الباشا الطاغية، ثم هم ليسوا من طلاب الشهادة والاستبسال بوجه عام [12].

#### • موقف «الجبرتي» فخر المؤرخين المصريين:

كان «عبد الرحمن الجبرتي» وهو أحد مشاهير علماء الأزهر يطالع، ويدون في حذر ما يأتيه من أخبار الحركة الوهابية.

ولما قرأ الجبرتي بعض المنشورات الوهابية التي أحضرها الخُجَّاج من البلاد الحجازية، أثبت المنشور بطوله في كتابه، وفيه دعوة خالصة إلى التوحيد والسنة، ونبذ الشرك والبدعة مدعمة بأدلة الكتاب والسنة، وعلق الجبرتي - رحمه الله تعالى - قائلاً:

«أقول: إن كان الحال كذلك، فهذا ما ندين الله به نحن أيضاً، وهو خلاصة لباب التوحيد، وما علينا من المارقين والمتعصبين، وقد بسط الكلام في ذلك ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان)، والحافظ المقرئ في (تجريد التوحيد)، والإمام اليوسي في (شرح الكبرى)، و (شرح الحكم) لابن عباد، وكتاب (جمع الفضائل وقمع الرذائل)، وكتاب (مسايد الشيطان)، وغير ذلك» [13] اهـ.

لقد صار الجبرتي شديد الإعجاب بالوهابيين، يدافع عنهم في مجالسه، وفي أوراقه التي يكتبها، ولم يخش سلطان «محمد علي باشا» الذي كان يحكم مصر، برغم أن هؤلاء كانوا في عداد أعدائه.

وظل يُظهر تعاطفه مع الدعوة الوهابية، حتى تحوّل تاريخه إلى دعاية صريحة للوهابيين، وقد كلفه هذا الموقف حياة ابنه ثم حياته نفسه.

يقول الأستاذ محمد جلال كشك: «أستطيع أن أجزم بأن كتابات الجبرتي عن القضية الوهابية هي السبب الأساسي لما نزل به من تكتيل الباشا، إلى حد اغتيال ابنه، وتوقفه عن الكتابة، ثم نهايته الغامضة الظروف» [14].

وقال الزركلي في ترجمة الجبرتي: «وقُتل له ولد، فبكاه كثيراً حتى ذهب بصره، ولم يَطل عمه، فقد عاجلته وفاته مخنوقاً» [15].

وقال الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحصين: «وبلغ حقدهم الدفين على هذه الدعوة المباركة حتى وصل الأمر إلى قتل ابن المؤرخ المصري عبد الرحمن الجبرتي وهو ممن يتحمسون لهذه الدعوة، بإيعاز من محمد علي حاكم مصر الذي حارب هو وأبناؤه الدعوة انتقاماً من أبيه لتعاطفه مع الوهابيين» [16].

• موقف الشيخ محمد رشيد رضا [17]:

لم يعرف الشيخ «رشيد» عن دعوة «الشيخ محمد بن عبد الوهاب» في الشام إلا ما يعرفه عامة الناس آنذاك، وما تتناقله الألسن من الكذب والافتراء على دعوة «الشيخ محمد بن عبد الوهاب»، ولم يعرف الشيخ «رشيد» حقيقة هذه الدعوة إلا بعد قدومه مصر، وإطلاعه على تاريخ الجبرتي، ولقد وصلت دعوة الشيخ «محمد بن عبد الوهاب» إلى مصر عن طريق أولاده وأحفاده الذين أتى بهم واليها «محمد علي» ومعهم علمهم وكتبهم، لقد قدم إلى مصر عدد كبير من أسرة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ودرس بعضهم في الأزهر، وكانوا طلقاء يمشون بين الناس، ولهذا السبب، ولأنهم درسوا في الأزهر، ودرسوا، وصدقوا، انتشرت هذه الدعوة بمصر، وعُرفت.

لقد بقي «عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب» تلميذ الجبرتي مدة ثماني سنوات في مصر قبل عودته إلى وطنه في سنة (1241هـ)، وبقي ابنه «عبد اللطيف» ثلاثين عاماً في الأزهر.

ومن هذا يتضح أن دعوة الشيخ محمد وصلت مصر مبكراً، وهناك عرفها الشيخ رشيد رضا على حقيقتها؛ فماذا عرف عنها؟

يقول الشيخ رشيد: «لم يخلُ قرن من القرون التي كثرت فيها البدع من علماء ربانيين يجددون لهذه الأمة أمر دينها، بالدعوة والتعليم وحسن القدوة، وعدول ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين... ولقد كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي من هؤلاء العدول المجددين، قام يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله خاتم النبيين - صلى الله عليه وسلم -، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شرائع الإسلام المتروكة، وتعظيم حرمانه المنتهكة المنهكة...».

إنه لا يسع منصفاً مهما اختلف مع الشيخ رشيد رضا [18] إلا أن يقر بأنه «أبو السلفية» في مصر، وأن له في عنق السلفيين، شاءوا أم أبوا شكروا له أو جحدوا، منةً وفضلاً، وآية ذلك دوره الرائد في نشر التراث السلفي، ومنافحته عن عقيدة السلف، ورموزها ممثلة في شيخي الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وذلك من خلال مجلته «المنار».

لقد بدأ رشيد رضا الدفاع عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة 1320هـ (1903م)، ففي تلك السنة أقيمت بمصر احتفالات بمناسبة مرور مائة عام على ملك أسرة «محمد علي» على مصر، وزُيّنت المساجد والجوامع بالأنوار، فهاجم رشيد ذلك العمل، وقال: «إن المساجد بيوت الله، ولا يصح أن تُزِين للاحتفال بذكرى الملوك والأمراء المستبدين». ثم تطرق إلى مساوئ سياسة «محمد علي» ومنها قتاله للوهابيين وقضاؤه عليهم، وهم الذين نهضوا بالإصلاح الديني في جزيرة العرب مهد الإسلام ومقره [19] 1 هـ. وقال أيضاً:

«هذه نبذة صحيحة من تاريخ مجدد الإسلام في القرن الثاني عشر محمد بن عبد الوهاب، وقد اتفق الواقفون على تأثير ذلك الإصلاح من مؤرخي الشرق والغرب على أنه يشبه نشأة الإسلام الأولى، وأنه لولا الموانع التي اعترضته لجدد للإسلام مجده الديني والدنيوي معاً، وأعظم تلك الموانع: مقاومة الدولة العثمانية له، ومساعدة محمد علي باشا لها على قتل الوهابيين، وتدمير قوتهم، وكان المحرك الخفي لهذه المقاومة دولة الدسائس الشيطانية - يقصد بها بريطانيا - وعدوة الشرق ولا سيما الأمة الإسلامية» [20] 1 هـ.

وقال الأمير شكيب أرسلان:

تصدى رشيد رضا للدعاية المناوئة لعلماء نجد، وعندما انتشرت الأراجيف ضدهم بعد افتتاح الطائف وزع ألوفاً من رسالة «الهدية السنوية والتحفة النجدية»، ونشر مقالات في الدفاع عنهم، والرد على خصومهم، وقد قال له شيخ الأزهر أمام ملاء من العلماء: «جزاك الله خيراً بما أزلت عن الناس من الغمة في أمر الوهابية» [21].

وما زال أعداء الدعوة السلفية يروجون لهذه الكتب المملوءة بالكذب والتدليس، مما أوحاه الشيطان وزخرفه إبليس، وينفخون في رمادها، ويكررون صدى صوتها، {أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ} [الذاريات: 53]، ولا عجب، فإن أعداء الحق في كل عصر على وتيرة واحدة، وقلوبهم متشابهة فيما يرد عليها من الخواطر والوساوس، وتلك سنة ماضية، وكأنما التاريخ يعيد نفسه:

ألا إنما الأيام أبناء واحد... وهذي الليالي كلها أخوات  
فلا تطلبن من عند يوم ولا غد... خلاف الذي مرت به السنوات  
ومن سنة الله - تعالى - أيضاً أنه يسلط جند الحق على أهل الباطل، فيذبون عن شريعته  
الغراء ما يكدّر صفوها، ويميطون أذى المبتدعين عنها.  
من الدين كشف الستر عن كل كاذب... وعن كل بدعي أتى بالعجائب  
ولولا رجال مؤمنون لهدمت... صوامع دين الله من كل جانب  
وما أكثر المصنفات النافعة المباركة التي صنفها المنات من علماء أهل السنة ودعاتهم  
يذبون فيها عن دعوة شيخ الإسلام، ويدحضون شبه خصومها، ويكشفون حقائقها الناصعة.  
رحم الله أمواتهم، وبارك في عمر أحيائهم. واستقصاء ذلك له موضع آخر.  
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله  
وصحبه أجمعين.

#### المصادر 110

- 110 المصادر: [1] «الهدية السنوية» ص (42).
- [2] «الوهابية حركة الفكر والدولة» ص (5، 6).
- [3] وقد رصد الشيخ: مشهور حسن سلمان الكتب التي هاجمت الدعوة الوهابية فبلغت عنده اثنين وسبعين كتاباً، ذكرها في كتابه: «كتب حذر منها العلماء» (250/1 - 286).
- [4] «الوهابية حركة الفكر والدولة» ص (31، 30).
- [5] انظر: «تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية» للدكتور محمد بن سعد الشويعر.
- [6] ويشبه هذا ما قاله «زويمر» كبير المنصرين: «إن ابن القيم تشبّه أفكاره وأراؤه بأراء الوهابيين»، وقال بدون تردد: «إنه وهابي، ولكنه يسمي نفسه حنبلياً»، فالمسكين لا يعرف أن اصطلاح الوهابية ما عُرف إلا بعد ابن القيم بأكثر من أربعة قرون.
- [7] «محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه» ص (84).
- [8] «المصدر نفسه» ص (82).
- [9] «المصدر السابق» ص (211).
- [10] «سلفية لا وهابية» ص (388)، وانظر: «حرمة أهل العلم» ص (353).
- [11] انظر: «منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة» لتامر متولي، ص (37 - 40).
- [12] «الدولة السعودية» تأليف «أحمد رانف» ص (478).
- [13] «الوهابية حركة الفكر والدولة» ص (30، 31).
- [14] «السعوديون والحل الإسلامي» ص (176).
- [15] «الأعلام» ص (304/3).
- [16] انظر: «الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ج 2 للدكتور عبد الرحمن عميرة «أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب» ص (6).
- [17] انظر: «منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة» ص (191، 192).
- [18] فإن هناك بلا ريب تحفظاً شديداً من بعض آراء «رشيد رضا» التي تابع فيها شيخه «محمد عيده»، ومن أفضل من تتبعها بالنقد والتحصيص مع الإنصاف والعدل الأخ: تامر متولي في أطروحته: «منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة»، طبعة دار ماجد عسيري، جُدّه 1425 هـ - 2004 م.
- [19] «تاريخ الأستاذ الإمام» ص (583/1).

وبعد تلك المعلومات المهمة..  
وبعد اكتشاف الحقائق، وتحليلاتها.. لدي سؤال للمؤلف:  
ما هو تعريفك لكلمة (انحدار)؟..  
أو ما هو تحديدك لشواهد الانحدار في البلد؟..  
ماذا يحتمل هذا اللفظ من اعتبارات؟.. وعلى ماذا يشتمل من ترديات  
؟..  
ما هو تحليلك لمعنى الفساد الذي تُحاول إبرازه في الرواية؟

قرئت مقالة طويلة على سبيل المصادفة للكاتب خالد الشافعي، بعنوان  
"أنا وهابي.. فكان ماذا؟.." رداً على المؤلف "علاء الأسواني" كتبها  
بعنوان "ماذا أضاف الوهابيون إلى مصر".. أقتبس منها بعض الفقرات  
والسطور:  
اقتباس:

(( وجاء المقال ككل مقالاتك السابقة التي كتبتها ويكتبها أمثالك في الحط على أهل الالتزام،  
بأسلوب ركيك ومنطق متهاافت وغل وحقد لا شيء إلا أننا نقول ربنا الله  
قرأت مقالك فلم أجد فيه جديداً، فأنتم أنتم لم ولن تتغيروا، فالحقد يعمر صاحبه عن رؤية  
الحق، ولو كان كالشمس في رابعة النهار  
ومن يك ذا فم مر مريض \* يجد مرّاً به الماء الزلالا  
قرأت المقال بمزيج من شعور معتاد بالقهر والعجز كلما قرأت مقالاتك ومقالات إخوانك  
نعم أعيش هذا القهر يومياً وأنا أنتقل بين المواقع على الشبكة العنكبوتية، وكلما ذهبت إلى  
موقع إخباري إذا بغربان البين وبوم الخراب ماضون في غيهم، ليس لهم هم إلا تشويهنها  
وصرف الناس عنا وعن الإسلام  
مرارة بالغة وقهر وعجز وأنا أجد الباطل الذي لا يمارى فيه أحد صار هو الحق الذي لا  
يشك فيه أحد  
لم تتركوا شيئاً من المعلوم من الدين بالضرورة ولا شيئاً من الثوابت، إلا وعملت فيه  
معاولكم  
كذب رخيص وواضح، ومع ذلك تفتح لكم الأبواب ! ))

(( أنا وهابي إذا كانت تهمني هي اللحية الطويلة والثوب القصير والنقاب والجهاد ضد  
جيوش الأعداء  
أنا وهابي من الذين تشنعون عليهم صباح مساء، ولا تجدون أحداً تهاجموه وتسبوه  
وتلصقوا به كل نقيصة سواهم  
أنا وهابي أركب سيارة جيب شيروكي، وأتكلم الإنجليزية والفرنسية والروسية، أحمل  
شهادة جامعية، ودرست لبعض الوقت في الجامعة الأمريكية، وأمتلك علامة تجارية، وحوالي

[20] «المنار» المجلد (26) ص (205).  
[21] انظر: «السيد رشيد رضا»، أو «إخاء أربعين سنة» لشكيب أرسلان، ص (366).

عشرون فرعاً في محافظات مصر  
باختصار أنا وهابي لا أعاني من عقد نفسية، وليس الفقر هو الذي دفعني إلى أن أتشرف  
بالانتساب إلى الوهابية  
ولعلمك.. مثلي من الوهابيين في مصر ألوف مؤلفة والتيار الإسلامي به ألوف الأطباء  
والمهندسون والأذكىاء المثقفون المتفوقون  
أنا وهابي من الذين يزدون، وحضرتك وأصدقائك ينقصون  
أنا وهابي كل جنايته أنه يحاول أن يحتاط لأخرته الباقية، ولو على حساب دنياه الفانية  
أنا وهابي أعرف أني أحياناً أرتكب أخطاءً، بل خطايا، وأعرف أنني كثيراً أسيء الفهم،  
وأحمل الأمر فوق ما يحتمل  
أحياناً أتهور، وأحياناً أفرط، وأحياناً أكون عبوساً ومنفراً، وأنا لم أدعي يوماً أني معصوم  
أو أنني من عالم الملائكة  
أنا وهابي أخطأ وأصيب، كما يُخطأ كل الناس ويصيبوا ))

(( تتساءل بعجرفة وتعال: ماذا أضاف الوهابيون لمصر ؟  
وأنا كوهابي غارق في وهابيتي أقول لك: سأجيبك ولكن دعني أجيبك بسؤال: بل ماذا قدمت  
أنتم؟  
منذ مانتني عام وأنتم تهدرون المال وتخربون الوطن وتدمرون الاقتصاد، جربتم فينا كل  
شيء وهدمتم كل مقدس واستبحتم كل حرمة  
مانتي عام من الرياضة والفن والإبداع والحرية، فماذا كانت النتيجة ؟  
مانتي عام وأنتم تملكون كل شيء.. المال والإعلام والتعليم والسياسة والقوة والنفوذ..  
مانتي عام وأنتم تعدون البسطاء السذج بالتنوير، كأن الأمة ما خرجت من الظلمات إلى  
النور بإذن ربها لما أمنت به وكفرت بطواغيتكم  
مانتي عام من الكذب والتدليس والتزييف والطمس لكل ما يذكر الأمة بنفسها  
مانتي عام من كل شيء وأي شيء، إلا دين الله الذي ما عاشت الأمة مجداً ولا نهضة ولا  
نصراً إلا تحت رايته، وعلوم أوربا كلها أصلها من علماء الإسلام الذين نشئوا في كنف الإسلام،  
ليس لنا شيء نتشرف بها إلا تاريخنا في الإسلام، وليس لنا انتصارات إلا تحت راية الإسلام  
ولا يعرف لنا شيء واحد ذو قيمة، إلا وكان حينما كان يحكمنا صحيح الإسلام

مانتي عام من تبني كل الأقوال الساقطة والمناهج المنحرفة، التي لا يجمع بينها، إلا عداوة  
التدين الحقيقي  
مانتي عام جربتم فيها نظريات الأرض، ورفضتم نصائح السماء  
جربتم الماركسية والليبرالية والديمقراطية والخطة الخمسية والمركزية واللامركزية  
مانتي عام من التدبير والتدمير والتبوير والتغدير  
مانتي عام من الدجل والكذب والسحر والتزييف فكان ماذا ؟؟؟!!!!  
حصار أمر من العلقم، وخراب في كل مكان وهوان لم تعرفه الأمة إلا بفضلكم وبفضل  
ذكائكم ونباهتكم  
فكان ماذا ؟؟؟!!!!

هزيمة نكراء وتخلف في كل المناحي وذل ليس له في قواميسنا مرادف  
لا نستطيع أن نشرب ماء نظيف، ولا أن نتنفس هواء غير ملوث، ولا أن نتناول لقمة عيش  
صالحة للاستهلاك الآدمي، فساد ومحسوبة ورشوة وأمراض فتاكة ))

(( تتساءل ماذا أضاف الوهابيون لمصر ؟، أنا أجيبك.. ))

الوهابيون حولوا الجنيه إلى عملة لا قيمة لها !  
الوهابيون حولوا القاهرة إلى سجن من الزحام !  
الوهابيون هم المسئولون عن تحويل 95% من المصريين إلى مستحقين لأموال الزكاة !  
الوهابيون هم المسئولون عن انتحار الناس لأجل رغيف خبز !  
الوهابيون هم المسئولون عن 3 ملايين حالة زواج عرفي ؟، و 14000 طفل بلا نسب !  
الوهابيون حولوا خريج الجامعة إلى أمي لا يُحسن القراءة والكتابة !  
الوهابيون هم المسئولون عن المياه القاتلة ؟ والمبيدات المسرطنة !  
وتجريف ملايين الأفدنة ؟ وبيع القطاع العام بمقابل تافه !  
الوهابيون هم المسئولون عن تفشي أمراض الكبد والفشل الكلوي والسرطان !  
الوهابيون هم المسئولون عن عقدة الثانوية العامة !  
وفضائح هينات التدريس في الجامعة !  
الوهابيون هم المسئولون عن أنهار الدماء على الإسفلت !  
الوهابيون حولوا المصالح الحكومية إلى آلات تعذيب بشرية !  
من الذي حول مصر إلى بلد تعوم على أكبر بحيرة فساد ورشوة في العالم ؟!  
الوهابيون هم المسئولون عن عدم وجود جامعة مصرية واحدة ضمن الجامعات المحترمة في العالم !  
الوهابيون هم المسئولون عن صفر المونديال، وعن القمح الفاسد، وعن القراصنة في الصومال، وعن أنفلونزا الخنازير! ))

(( لا سبيل لأي نجاح لهذه الأمة ولا لاستنهاض هذه الشعوب، إلا تحت راية هذا الدين، فأنفقوا المال والوقت، وجربوا كل النظريات التي تقدمت بها الأمم الأخرى، فلن تقوم هذه الأمة أو تستفيق، إلا بحداء الإسلام  
هرب المحترمون، وهرب المجتهدون خرج فاروق الباز ولن يعود، وخرج مجدي يعقوب ولن يعود، وخرج أحمد زويل ولن يعود، بل اللاعبون الأبطال الذين يسافرون في البعثات الرسمية إلى أوروبا يهربون هناك مفضلين غسيل الأطباق على العيش في مصر  
هرب المحترمون، والذين بقوا منهم يقفون في طوابير مهينة ومذلة أمام السفارات الأجنبية في القاهرة تعاملهم معاملة أسوأ من الكلاب  
وبقيتم أنتم وأهل الرقص والغناء والعري والمرتشون والفاقدون وبقينا نحن تريدوننا أن نخرج ونتركها لكم ؟، هيهات هيهات ))

(( تعرف يا حضرة الكاتب ما هي مشكلتكم؟  
مشكلتكم كمشكلة مشجع الكرة الذي لا يمكن مهما حدث لفريقه - الذي يشجعه - من محن وإحزن وهزائم أن يتحول لتشجيع فريق آخر، لماذا ؟، لا شيء، فقط لا يمكن، لا يستطيع.  
مشكلتكم أنكم ترون كل شيء بنظاراتكم وتريدون أن نرى ما ترونه تماماً، مع أننا نرتدي نظارة مختلفة تماماً  
إن النظارة التي ترتدونها ما صنعت في بلادنا ولا تربت على مفاهيمنا ))

(( الوهابيون هؤلاء لا يضايقون إلا حضرتك وأمثالك وبعض غلاة العوام الذين يريدون أن يعيشوا حرية مطلقة  
أما الناس... الناس معنا

يحترمونا ويصدقوننا ويحبوننا ويثقون فينا ويهابوننا؛ لأن الصدق لا تخطئه النفس، ولذلك في كل مرة سُمح لنا بأن ندخل الانتخابات اكتسحناها، وسل إخوانك في الجزائر وغزة ومصر

## والأردن

ما أن صارت لنا فضائيات حتى دخلنا قلوب الناس  
الناس معنا

يقدموننا في الصلاة، فإذا بنا أندى الناس صوتاً، وأصح الناس قراءة، يقدموننا في  
المواظ، فإذا بنا أقوم الناس لساناً، وأحفظ الناس لكلام الله ورسوله، وأعلم الناس بالحلال  
والحرام، نحن الذين نحكم الشارع والمسجد والمدرسة بالحب، لا بالعصا  
تريدون منا أن نرى بنظارتكم، ونحن نرى الدنيا بنظارة أخرى عدساتها كتاب الله ورسوله  
بفهم أهل العلم والدين والورع

فأي الفريقين أحق بالأمن وأي الفريقين أحق بالاحترام لو كنتم منصفون ؟  
كيف يمكن أن نرى ما ترون ونحن لا يختلط الرجال عندنا بالنساء في حفلات حتى الصباح  
تراق فيها الخمر وتستباح فيها الحرمات بزعم الحرية !؟

كيف ونحن مهما أوتينا من مال لا نذهب إلى مارينا، وما زالت أفهامنا القاصرة ترى أن  
ارتداء امرأة لمايوه لا يُخفى إلا العورة المغلظة شيئاً تنفر منه الفطر قبل أن تحرمه الأديان،  
بينما أنتم ترون ذلك من نماذج الحرية، وبالألمس القريب منعتم في إحدى فنادق مصر امرأة  
مسلمة أجنبية من النزول إلى حمام السباحة؛ لأنها لا ترتدي مايوها عارياً، بينما يُسمح لها بذلك  
في بلادها الكافرة !!؟

أنتم تريدونها فوضى، وأن تعيش الأمة بلا دين سوى دين مُدجن في المناسبات، لا يسمح  
له بأكثر من أن يكون زراراً في أسورة القميص، أنتم تكذبون وتقولون لنا: ليس من حقكم أن  
تدخلوا في ديننا؛ لأن الدين علاقة بين العبد وربّه.

ونحن نرضى بذلك على كره منا، ومع ذلك فأنتم لا تتركونا وربنا، ولا تطيقون مظاهر  
التدين في الشارع على عجرها وبجرها ((

## ((سبحان من لا نظير لحلمه

أيحق لفرنسا أن تجبر المسلمات على خلع الحجاب بزعم أنه يتنافى مع علمانية الدولة  
ويحق لأمريكا أن تتنصت على المكالمات بزعم حماية الأمن القومي  
ويحق للشرطة أن تقبض على المتطرفين حفاظاً على أمن الوطن.. كل هذا مسموح به ولم  
تجدوا فيه جريمة

بينما رأيتم في قيام الدولة بتنفيذ أمر الله منكرّاً من الفعل وزوراً من القول  
يحق لفرنسا أن تجبر المسلمات على خلع الحجاب بزعم أنه يتنافى مع علمانية الدولة، ولا  
يحق لحماس أن تفرض على بنات المسلمات ارتداء الحجاب ولا يحق لطالبان أن تفرض  
الحجاب ولا اللحى ولا الصلاة

طالبان وحماس يطبقون قانوناً يعتقدون أنه قانون السماء وأن ما يعتقدونه هو الحق، وأنا  
سأفترض جدلاً أنهم مخطئون في هذا، لكنهم في النهاية يطبقون ما يعتقدون أنه الحق، كما أن  
القوانين التي تطبقونها علينا أنتم تعتقدون أنها الحق وأنها الأصلح لسعادة الناس  
فلماذا يحق لكم أن تفرضوا علينا قوانينكم ومعتقداتكم إذا كانت السلطة معكم ولماذا نمنع  
نحن من ذلك إذا وصلنا لسدة الحكم

أنتم تحكموننا بقوانين تعتقدون أنها الحق وتفرضون علينا أن نحترمها، وهي قوانين  
وضعها بشر يصيبون ويخطئون، وكثيراً ما تعلنون فشل كثير منها بعد تطبيقها في الواقع،  
وتقومون بالغائها ((

(( قوانينكم حررت المرأة من العبودية لله إلى العبودية لأباطرة الجنس والكلييات الساخنة  
والأفلام العارية وعيون ملايين الرجال، وإلا فما علاقة المرأة بإعلان عن ماكينة حلقة للرجال،

فأين هي الحرية المزعومة وأين هو العدل؟! في ظل قوانيننا عاشت أمي وأختي وابنتي مكرمة مصونة، وما اشتكت يوماً من ظلم في الإسلام، وعاش النصارى والمسلمون دون أن يظلموا قط في ظل قوانيننا ساد الأمن والحب والرخاء، ونام عمر وهو خليفة الدنيا تحت شجرة مستريح النفس مرتاح البال، ولما جاء له بمجوهرات كسرى بكى وقال إن قوماً أدوا هذا لأمناء.. وأرسل عمر بن عبد العزيز من ينادى في المدينة على من يريد أن يتزوج أو يحتاج مالاً، فلم يجد، وكان إذا دخل قسم العطور في بيت المال كتم أنفه؛ حتى لا يشم منها، وقال وهل يُنتفع منها إلا بالرائحة!!

(( يا حضرة الكاتب المبدع، يا من تكتب مقالاتك لأجل إصلاح البلاد وهداية العباد روايتك الشهيرة التي رفعوك لأجلها على الرؤوس وسارت باسمك مسير الشمس عبارة عن سرد رخيص وصريح ومقزز لكل أنواع الفواحش وهي نتاج طبيعي لقراءتك وثقافتك، هي رواية مليئة بالشذوذ والجنس والخيانة واللواط، وكأن هذه هي مصر!، وحتى لو كانت هذه هي مصر فهل يجوز أن نفصحها بهذا الشكل المهين؟!، وما هي الفائدة التي يمكن أن تجنيها مصر من وراء هذا الفن الراقي؟! عرفت لماذا لا يمكن أن نتغير، ولا يمكن أن نرى الدنيا كما تريدون لنا أن نراها؟ إنكم تتهموننا بنفي الآخر، وأننا نرى الدنيا بعين واحدة، مع أن هذا هو عين ما تفعلونه معنا! ))

حضرة الكاتب صدقتي كل ما تأخذونه علينا نحن نأخذ عليكم وزيادة إن أكبر جريمة ترتكبونها في حق أنفسكم وفي حق الأدب وفي حق الموضوعية هو هذا الخلط والتعميم أقسم بالله أنا أكاد أصاب بالجنون حين أقرأ كتاباتكم في موضوع التيار الإسلامي أنتم أعقل الناس وأكثر الناس موضوعية وحرفية ودقة حين تكتبون في أي شيء إلا الإسلام فإذا كتبتم في الشأن الإسلامي تكفرون بكل ذلك لتصلوا إلى شيء واحد، أننا يجب أن ننفي من الأرض وتقطع أيدينا وألسنتنا بلا خلاف هل فكرتم يوماً أن تسمعوا منا، بدلاً من أن تسمعوا عنا؟، هل فكرتم أن تعطونا الفرصة لنرد على مخاوفكم واعتراضاتكم بالحجة والمنطق والبيان، بدلاً من تسويد آلاف الصفحات بالكذب والزور والبهتان؟ ((

(( ماذا تنقمون علينا أننا نأمر النساء بالحجاب وما العيب في ذلك؟!.. أقسم بالله لو جاء الحجاب من كريستيان ديور أو فيرساتشي أو جوتشي لجعلتم الحجاب هو غاية الحرية كنتم تسخرون من بنطالنا القصير، وتشهرون بنا فلما جاء البنثاكور من عندهم صار very fashion & new style وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون تنقمون علينا أننا نحرم الفن، وهل التعري والجنس واللواط وإثارة الغرائز فن؟! ))

(( حضرة الكاتب نحن بشر شباب وشابات رجال ونساء، نحب الحياة ونكره العنف، ولنا أصدقاء، وعندنا طموحات، نحن إخوتكم وأبناءكم وأبنائكم وعمومتكم وجيرانكم، نحن لم نهبط من عالم آخر، بل نحن أبناء هذه الأرض، نحبها ونموت دونها، لكنكم لم تجلسون معنا يوماً، ولم تعطونا فرصة

لنتكلم، ولم تجربوا أن تسمعونا، أنتم تقرءون عنا من كتب خصومنا، أنتم تتعاملون معنا بأقصى درجات الإقصاء، رغم أننا رقم أصيل في المعادلة الاجتماعية والسياسية والدينية في مصر والعالم الإسلامي ((

(( دعونا نعيش في سلام يا عبيد الحرية  
المرأة في قوانينكم حرة أن تتعري، ولكنها ليست حرة أن تتغطى؟! مالكم كيف تحكمون؟! ))

((حضرة الكاتب كفى ظلماً وكفى تشنيعاً وكفى اتهامات بالباطل، فغداً عند الله تجتمع  
الخصوم  
نحن أرحم الناس بالناس، ومن رحمتنا بهم ندعوهم ألا يتعرضوا لعذاب الله، وأن يسارعوا  
إلى جنة الخلد التي وعد المتقون  
أنا أتعجب من هذه الثقة العمياء والمطلقة التي تجرى بأفلامكم وحناجركم ثقة مطلقة أنكم  
على الحق الذي لا مرية فيه، وأننا على الباطل الذي لا مرية فيه.. حنايكم، وأعيدوا النظر فيما  
تقولون، وما تكتبون، وإياكم أن تجترئوا على النار  
قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ \* قُلِ اللَّهُ أَغْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي \* فَأَعْبُدُوا مَا  
شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ  
الْمُبِينُ  
اقرأ هذه الآية بقلبك، فليس أحد يبعد عنها، إلا من هداه الله إلى الحق ))

وإردافاً لتحليل الجملة التي قالتها زينب.. قالت أن المذهب الوهابي  
يُحرم الخروج على الحاكم المسلم حتى لو ظلم الناس..  
وهذا في رأيي ليس منطقياً ولا يدعمه التاريخ..  
لأن لو كان المصريين معتنقين للمذهب الوهابي لاختلقت الأوضاع في  
مصر، لما كان هناك تبرج ولا تعري، ولا نساء مُنحلة.. لما كان هناك  
إحباط، ولا سلبية، ولا رشى ولا جرائم تحدث كل يوم بلا انقطاع.. ما كان  
هناك فقر، ولا أمراض.. لما كان هناك استبداد ولا ديكتاتورية ولا فساد  
حكومي..

ومع ذلك فإن المذهب الوهابي يشبه إلى حد كبير المذهب السلفي في  
مصر.. والسلفية هو المذهب الثاني ربما الذي يدين به الشعب المصري..  
وكثير منهم من رجال الأعمال والناجحين، والمثقفون، والجامعيون،  
والمحامون، والمهندسين، والرسامون، والأطباء، والسياسيون،  
والنائبون... آلاف مؤلفة منهم ذائبين في ثنايا المصريين..  
وتاريخياً أن صفات المصريين لم تتغير كثيراً منذ القرن الذي كان فيه  
فرعون الذي ظلم الناس، واستباح نساءهم، وسفك دمائهم، حتى الجنود  
الأقوياء لم يمكنهم أن يتفوهوا بكلمة احتجاج واحدة ضد فرعونهم.. حتى

أن هناك مثل عامي يُثبت ذلك.. ( يا فرعون ما الذي فرعنك، قال لم أجد أحداً يصدني )..

والقرآن العظيم، عبر عن ذلك ببلاغة رائعة: ((فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ {54} ))<sup>111</sup>

كما أن الوهابيين ليسوا هم "مَن يحرمون الخروج على الحاكم المسلم حتى لو ظلم الناس" في مصر.. ليسوا هم مَن قالوا أن لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين، وبالتالي لا يجوز الخروج على الحاكم المسلم حتى لو ظلم الناس..

لقد قالها السادات الرئيس السابق لمصر.. إذن فالأمر ليس مُتعلقاً بالوهابيين ولا المتدينين، بل هو متعلق بالسياسة من الأصل..

ولم يرددها السلفيين وحدهم، بل رددتها عامة الشعب كثقافة دعمها الإعلام السياسي، وتجد أن الجميع من غير الملتزمين يفصلون بين الدين والسياسة بفهم وبدون فهم.. لأنها سياسة دولة يجب أن تُحترم مهما كان الانتماء..

وقالت زينب أيضاً أن أكثر ما يشغل الوهابيين تغطية جسم المرأة.. في رأيي أن الوهابيين رأوا أن تغطية جسم المرأة أمر ذي أولوية قصوى، لذلك هذا أكثر ما يشغلهم، لأن الفساد رأسه جسم المرأة، فإذا تغطي وسُتر استقامت الأمور، واعتدلت الموازين، وانخفضت معدلات الفساد انخفاضاً ملحوظاً سيؤثر على خيوط الفساد الأخرى، ويجعلها ضحلة؛ مما يُساعد على عودة الإيمان في قلوبهم، واستعادة قوتهم المستنفذة بكاملها.. لا بد أن هذا سيكون له من المصلحة العامة والشاملة لكل الناس على كل القطاعات..

وبعد ردي لا أجد أفضل من بعض ردود الكاتب خالد الشافعي فيما اقتبسته من فقراته وسطوره على هذه المواضيع..

اقتباس:

(( - ما رأيك لو دعوتك إلى أمريكا ؟ ))

- لماذا ؟

- ربما تبدئين حياة جديدة.

ضحكت وقالت:

- صرت تفكر كالأمريكيين يا صلاح.. أية حياة جديدة؟! في مثل سننا نسأل الله

حُسن الختام ! )) صفحة 383

تعليق غاية في الطرافة والعجب الذي قالته زينب..

في مثل سننا نسأل الله حُسن الختام..

تناقض عجيب في شخصيتها.. وكانت منذ قليل تتهمك على المتدينين،  
وتعتب على المنقبة التي تمتنع عن مصافحة أجنبي عنها، وتلبس قفازات  
في يديها خشية استشعارها للشهوة..

وكان المنقبة إذا لبست القفاز تحترز من الشهوة لأنها حتماً ولا بد  
ستصافح الرجال !

ولا تعلم هذه الجاهلة أن المنقبات لا يرتدين القفازات من أجل منع  
استشعار الشهوة، ولا حتى احترازاً لمصافحة الرجال، بل لأنها تعتقد بأن  
تغطية اليدين تصد عنها العين المريضة التي قد تتأثر ببياض بشرتها من  
خلال يديها، أو يعجبها جمال يديها... إلى ما هنالك من هذه الأمور التي  
توصلت إليها المرأة الملتزمة بعد أن فسدت غرائز الناس في هذا العصر..  
المنقبة تحترز بقفازها من هذه الشبهات خوفاً على آخرتها، وضماناً  
لحُسن ختامها..

وزينب التي تتهمك على المنقبات، وهي المتبرجة، التي لا بد أن تكون  
مُتجملة، وقد تثير الرجال أو الشباب تسأل الله حُسن الختام !!!..  
ولا أدري بأي شيء تسأل الله حُسن الختام، إذا كانت متبرجة، والمنقبة  
ترجوا حُسن الختام بنقابها وقفازها وتعففها؟!..  
هل يستويان مثلاً عند الله تبارك وتعالى ؟

اقتباس:

(( - كل هذه المصائب بسبب ذلك الوغد جيف !

هكذا صاح رأفت فجأة، لكنها صرخت:

- لا تشتمه.. إنه أفضل منك.. هو فقير وعاطل لكنه صادق.. إنه يحبني وأنا

أحبه.. لسنا مزيفين مثلكما ! )) صفحة 393

هل أصبح الشخص العاطل والباطل والمُدمن أفضل من المزيف الذي  
يُحاول برغم عدم حبه لزوجته والعكس الحفاظ على بيته من الخراب،

والحفاظ على ابنته بينه وبين زوجته بدون عقد نفسية من الانفصال،  
ونتأجه السلبية عليها؟!!

وهل تحرف معنى الحب الآن؟.. أن يحب المدمن الفتاة، ومن فرط حبه  
يُشركها معه في غيه وإدمانه، ويضرها بالحياة الشريفة المتقطعة!..  
وفي ذات الوقت أصبح حب الوالد حب مزيف ولا يستحق أن تعيش معه  
ابنته لأنه يخاف على ابنته ويُعاقبها، ويُعنفها ردعاً لها عن الاستمرار في  
الأذى والضرر..

هل تلك المعادلتين صعبتين الفهم والحل على عقلية فتاة مثل سارة؟!  
هل هما عويصتين لتدرك لأي مدى يشدها جيف الذي يزعم حبها  
ويغرقها في المخدرات، ويرمي بها في غياهب الطرقات بين المدمنين  
والمنحلين والفاستدين والمغتصبين والقتلة..

هل يتعذر عليها الفهم أن أبيها مهما فعل فإنه مهما يكن يملك عاطفة  
الأبوة، ويُحاول أن يبعتها عن عدم الأمان والتشتت والغى والتردي..  
لا أدري أين الصدق والحب في مثل سارة وجيف، وهذا الوغد الأخير  
يستغلها جنسياً، ويرضي غرائزه الخاصة، ويتلاعب بها، ويُغرر بها،  
ويُلوثها في عالمه الحقير والدنس؟!!

ولا أدري أين التزييف في محاولة أبوين الحفاظ على بيتهما، والمُحابة  
على ابنتيهما، وإنقاذها من الردى؟!!

وينثر المؤلف المشهد، وسارة سكرانة بمخدراتها، وهي عادته، ورمزه  
في أن السكر دائماً يحل اللسان ويفكه، ويصدق بالحقيقة ويبرزها..  
وكان الحقيقة هي التي تتفوه بها سارة، وتُعلنها، وتكشف بها عن  
حقيقة الأوضاع..

والقراء يقعون كالبُلهاء متعاطفين مع المشهد، ومع الفتاة المسكينة  
التي ظلمها والداها!!..

لا أفهم ما علاقة حب الزوج لزوجته أو العكس، بابنتهما التي يُحبها  
والداها، وهي السبب في بقائهما معاً.. وهي الشيء الوحيد الذي يُكنون له  
كل الحب، ويُجزلون عليها من عواطفهما، بغض النظر عن عاطفتها نحو  
بعضيهما..

اقتباس:

(( ولما أمسكت الدكتورة كارين بيدها لاحظت أنها ترتجف !

- لا تخافي.. العملية ليست خطيرة.  
- لثُ خائفة من الموت.  
- مم تخافين إذن ؟  
سكتت شيماء، ثم قالت بصوت متهدج:  
- من عقاب الله.. إن ما فعلته حرام كبير في ديننا !  
- أنا لا أعرف كثيراً عن الإسلام، لكنني أعتقد أن الله يجب أن يكون عادلاً..  
أليس كذلك ؟  
- نعم.

- هل من العدل أن تُحرم المرأة من ممارسة مشاعرها مع مَنْ تُحب ؟.. هل من  
العدل أن تتحمل المرأة وحدها مسؤولية الحمل غير المرغوب فيه أحد ؟.. أن نقضي  
عليه بحياة بانسة قبل أن تبدأ؟  
تطلعت إليها شيماء صامتة.. لم تعد بها قدرة على الحديث.. لم يعد لديها ما  
تقوله.. كانت اللحظة أكبر من كل ما يُمكن أن تُعبر عنه... (( صفحة 450

كيف يجب على الدكتورة كارين بما أنها لا تعرف كثيراً عن الإسلام أن  
تصمت..  
لأنها بعد ذلك صارت كأنما تقوم بدور مبشرة لثقافة أمريكية منحلة  
أكثر منها دكتورة..  
وتدخلت في إله المسلمين.. وكأنما تُشكك المريضة المسلمة في إلهها..  
إن لم يكن الله عندكم في الإسلام عادلاً في هذا الأمر فهو لا يستحق أن  
يكون إلهاً، ولا الإسلام ديناً !!!..  
صراحةً هذا انطباعي عن هذا المقطع..  
والمصيبة أن المريضة المسلمة بكل بلاهة وحُمل وافقتها بنعم..  
قالت هل من العدل أن تُحرم المرأة من ممارسة مشاعرها مع مَنْ تحب  
؟..

أعتقد أن من الجور والظلم الشنيع أن تُمارس مشاعرها مع مَنْ تحب  
بدون زواج أو أوراق رسمية تضمن حقوقها، وبدون مسوغ قانوني أو  
شرعي لاستحلال فرجها واحترام كينونتها وإنسانيتها..  
من الجور أن تُعامل كحيوانة لقيها شخص في الطريق فانفجرت  
مشاعرها لبعض واقتحمها كقطة أو كلب وحملت منه ولا نية لديه للزواج  
منها أو صيانتها من التشرذ والإهمال والضياع بعد أن يفرغ من لذته التي  
لا تستغرق أكثر من ساعة..  
من الجور أن يخدعها شاب من أجل نية خبيثة لديه، ويحدثها عن  
المشاعر والحب وهو أبعد ما يمكن عنهما ثم ينتهكها باسم الحب والحب

بريء منهما، ثم تبوء المرأة باثمه وإثمها، وإثم هذا البريء الذي نشأ في أحشائها نتيجة علاقتهما الآثمة، ثم عندما يكبر ويوصم بأنه ابن غير شرعي فيتحطم مغنوياً...

ما ذنبه أن يموت كجنين لم تلق في الروح بعد حتى؟..  
وما الداعي للبدء في تكونه من الأصل في أحشاء أمه؟..  
هل وصل الأمر لآزدرء نطفة الإنسان، والتهاون بها، وإفقادها معنى الكرامة التي منحها الله للإنسان منذ عملية جماع أبويه إن كان حلال أم حرام!..

إن كان هؤلاء القوم يعطفون على الحيوانات وصغارها، ويقيمون جمعيات للرفق بالحيوان، وتنهمر الدموع من أجل فكرة أن يُولد حيوان ويعبث به الأطفال.. فإنني أعتقد أنهم في حاجة أكثر إلى جمعيات للرفق بنطف الإنسان، التي تُعدم من أجل عدم الرغبة فقط في الاحتفاظ به!..  
ما ذنب المرأة أن تجهض جنينها، وتفقد عذريتها، وتضطر لعملية جراحية ليس لها داعي.. كل ذلك من أجل مجرد ألا تُحرم من ممارسة مشاعرها مع مَنْ تحب؟..

وحتى إن كان بينهما حب فعلاً.. فلما لا يُدعم ويُرسخ ويُوطد بالزواج، ويُمارس كل ما يرغبان فيه من مشاعر في إطاره؟..  
لا أدري ما فائدة الحب بدون زواج وتقارب وعشرة طيبة؟!..  
أهو حب مؤقت؟.. أهو حب من نوع غير أرضي وغير معروف..  
وحتى لو كان حب مؤقت فهل من الحكمة الإضرار بأحد طرفيه..  
إلا إذا لم يكن حب حقيقي.. وساعتها فستكون المرأة قد تلقت أكبر خدعة في حياتها، وأكبر صفة وخسارة في حياتها.. فلقد خسرت عمرها وصحتها ونفسها وربها..

في رأيي لو كان حباً حقيقياً، يحبها الرجل صدقاً وعدلاً فإنه سيصونها من كل بادرة سوء، بل سيصونها من نفسه، وسيرفعها حتى مكانة الملائكة، حتى يتسبب في الإضرار بها مثقال ذرة..  
والأدهى من كل هذا بعد أن طرحت الدكتورة المبشرة آرائها في تسيير البشر كما تشاء على هواها.. لم تستطع المريضة المسلمة أن ترد عليها ولا تجيبها إجابة تميط عن دينها كيد الكائدين وعبث العابثين..  
لقد سكنت كأنها امرأة لم تتلق يوماً تعليماً، ولم تلبس حجاباً، ولم تعيش في مجتمع متدين، وفي أسرة محافظة...

إنها لحظة إجهاض حرامها.. أكبر من الرد على هراء الدكتورة..  
تشويش الإسلام أصغر من لحظة التخلص من إثمها..

إنها أنانية جاهلة.. علقت إثمها على جنينها، وتخلصت من عواطفها، ودينها.. وهيهات أن تتخلص من إثمها، وهيهات أن تعود إلى طهرها.. وهيهات أن ترجع عن ردتها عن الإسلام.. إلا إذا تاب الله عليها.. والمؤلف أيضاً لم يُعقب حتى لا يضع صورة شاذة قابلة للاعتناق أو الاعتقاد..

وإنما بدا كأنه يضعها للعرض ليثقف بها قوماً علمانيين يتخذونها صورة حضارية لتسريبها لواقع حياة المصريين من أجل تغريبها وتغريبهم، واستبعاد الإسلام عن محاور عيشتهم..

### صفحة 439

— أعجبتني نهاية دكتور صلاح التي بدت مقتعة تماماً، وقصته المحبوبة التي أدت إلى نهاية منطقية.. احتفاظه بالمسدس دوناً عن رأفت ثابت يدل على أنه اشتراه للدفاع عن نفسه بوازع من جبنه، وليس للهجوم والشجاعة، وأن الجُبْن متأصل فيه، والخوف الذي يسيطر عليه في كل تصرفاته، التي لم تبين وقتها.. أنه بالأساس جبان، وهذا الجُبْن هو السبب في بقاء مصر على هذا الحال من الفساد.. وقد استحق انتحاره لأن الجبان لا يستحق الحياة في حرية، وقد حكم بجبنه بالذل على شعبه الأصلي، فيما هو يعيش في بلد حرية بعيداً..

أيستحق الحياة بعد ذلك بهذا الجرم المُشين..

وقد يُمكنني تفسير النهاية أيضاً بأن انتحاره هو شجاعة مفاجأة، لكنها لم تكن إلا في مواجهة نفسه، وأنه قام بقتل الجُبْن في نفسه، ولكن مُحاولته كانت مضطربة، فقتل نفسه معها.. وهذا يعني أن جُبْنه حياة، وشجاعته موت.. ولا فائدة من الحالتين إطلاقاً..

— لفتني بعض الأسئلة بالنسبة لنهاية رأفت ثابت بموت ابنته.. لقد أثبت أنه أمريكياً صرفاً بتعامله الأخير مع ابنته عندما جاءت، وعرض عليها المال، فأخذته، وتركها تذهب، وتفلت من يديه، وهي مُدمنة، وهو يعرف أنها كاذبة بخصوص "جيف" مُرافقها.. لو كان مصرياً حقاً لما تركها تذهب، بل وحبسها، وضربها، وفرض عليها العلاج.. لكن ربما فعلاً قد نال جزاءه بتمسكه بالحياة الأمريكية.. إن القانون الأمريكي يُعطي الحق للأولاد في الخروج على أبويهم، وعدم طاعتهم في سن معينة.. أي محاولة

سيحاول بها مساعدة ابنته، كان القانون سيعتبره خاطفاً أو مجرمًا، أو مجنوناً... كان عليه ليكون أمريكياً أن يتركها تذهب.. وبالتالي تموت البنت بعيداً عنه.. هذا هو جزاء انسلاخه من مصريته..

والشيء الملفت الذي عجبت له أنه حتى في أمريكا لا يوجد هذا التساهل والخنوع.. لقد شاهدت أفلاماً أمريكية كثيرة، إنما كنت أجد فيها تشدداً أكثر من الأب على أولاده، وبالأخص على بناته، الأمر مُستغرب من هذا المصري المتأمرِك.. لقد أعطاهم ببساطة مائة دولار وهو يعلم أنها تريدها من أجل ضررها، ويعلم كذبها!..

لا أفهم مواقفهم للحفاظ عليها طوال الرواية، ثم تساهله معها، وسماحه لها بالانصراف في النهاية لتلقى حتفها؟!.. شيء يدعوا للاستغراب.. الأمران مُتناقضان جداً..

وفي حقيقة الأمر أعتقد أن رأفت ثابت حائر بين أن يكون مصرياً أو يكون أمريكياً.. لا يعرف كيف يكون أمريكياً، ولا يريد أن يكون مصرياً.. ولا أعتقد أن الأمر بان كآته ازدواجية.. بل هو شتات نفسي.. لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ينتمي..

- بالنسبة لنهاية أحمد دنانة فأعتقد أنها مناسبة تماماً.. لن يجد جامعة تقبل به، أو ربما يُساعده التغير الجديد من قبل الرئيس، والذي يُهيئه لمرتبة أعلى من العمل التابع للحكومة للعمل في جامعة أخرى.. هو الآن ترقى على صفوت شاكر، وأصبح لديه مستقبل مشرق مباشر مع الحكومة بذاتها.. لذلك فلن يضيره صفوت شاكر في شيء، وأعتقد أنه بالفعل وصل معه لمرحلة ينبغي قطعها؛ لما ستثيره المواقف السوداء الماضية لكليهما، واحد طلب امرأته، والثاني قدم امرأته.. الأمر صعب جداً..

وبرغم من قسوة نهاية مروة، إلا أنها وأبيها يستحقان تكبد خسائر ليست صغيرة أمام طمع الأب، وتضحيته بابنته من أجل طمعه في زيادة شأن ومال زوجها، واستنفاعه منهما..

أما مروة فتستحق لأنها كانت سلبية أمام أبيها، وينالها عقاب الطمع الذي تتشارك فيه مع والدها، وإن كانت فضلت في النهاية العشرة الطيبة مع الزوج بدلاً من حيازته للمال وديوسيته وطمعه وخباثته وحقارته، وعلى كل حال المرء لا يتعلم بسهولة..

— بالنسبة لناجي عبد الصمد.. فنهايته أيضاً مُتناقضة.. مثل حياته وآراءه.. لم يكن سياسياً محترماً.. كان سياسياً سخيلاً.. لم تكن نهايته مُقتعة بالنسبة لي.. فقد أحسست أنه مُناضل قُبض عليه.. وليس عربيداً سياسياً مُتناقضاً لا يستحق الاكتراث له، حتى من قبل الحكومة أو من عيونها..

إنما بشكل عام تبدو نهاية هذا الجزء فيه من الذكاء البالغ في إغلاقه.. حيث انتهى بالتصريح أن هناك تعاون بين مصر وأمريكا حكومياً للقضاء على ما يُسمونه إرهاباً، وفي الحقيقة بدا لي الأمر كأنه حماية لشعار الحرب على الإرهاب الذي أطلقتته حكومة أمريكا، وفي ذات الوقت حماية لكرسي الحكم في مصر.. هذا في باطن الأمر حماية للإدارتين، وليس حماية للشعبين..

نهايته مع ويندي لا يُمكنني أن أعبر بشيء خاص يتعلق بهذا الجزء في الرواية.. وربما يلاحظ ذلك بالأخص على علاقة المصري باليهودية.. ولا أدري كيف أعبر عن علاقتهما، غير أنها علاقة غريبة، إنما أصنفها إلى أن الدافع إليها كان الجنس.. وطوال الرواية كانت علاقتهما مُغلقة بالجنس..

لا أدري بماذا يُمكنني أن أرمز لتلك العلاقة بشيء مُعين؟!.. ربما يُمكنني أن أقول أن العلاقة بين مصر واليهود هي علاقة استنفاعية غريزية مادية..

إنما في الحقيقة أجدني غير مقتنعاً بهذا التأويل؛ لأن العلاقة اتخذت منحى غامضاً، فلم نعرف أكانت العلاقة جنسية أم عاطفية أم خداعية!!.. وعلى كل حال فأبرز ما نخرج به من هذه الحالة وطرفيها.. أن المصريين فيهم راسب أصيل متأصل يتمكن كل يوم من قناعتهم أن اليهود قوم خيانة بطبعهم، ولا يؤمن لهم، ولا يُستأنون..

[ وهذا يتلخص في جملة ويندي نفسها:

(( أنا في النهاية أنتمي إلى أعداء بلادك.. مهما أحببتني فلن تنسى أبداً أنني يهودية.. مهما أخلصت لك ستظل تُفتك بي دائماً هشة.. سأظل أول المتهمين في نظرك )) صفحة 404

ويدعمه كلامه في مذكراته عندما قال:

(( إن عدائنا نحن العرب يجب أن ينصب على الحركة الصهيونية وليس الديانة اليهودية.. لا يُمكن أن نُعادي أتباع ديانة معينة.. هذا السلوك الفاشي غريب عن تسامح الإسلام، كما أنه يُعطي الآخرين الحق في مُعاملتنا بنفس العنصرية.. هذا رأيي الذي قلته وكتبته عشرات المرات،

لكن يبدو أنني فشلت في تطبيقه !! لو لم تكن ويندي يهودية هل كنت اتهمتها بالخيانة؟! لماذا شككت فيها بهذه السهولة؟ لكن من ناحية أخرى، ألا تُعتبر ويندي يهودية استثنائية؟ ألا يؤيد معظم اليهود في العالم إسرائيل بكل قوتهم؟.. ألا ترتكب إسرائيل كل مذابحها ضد العرب باعتبارها دولة اليهود؟... ((صفحة 406

مع التحفظ على جملة (إعطائهم الحق في معاملتنا بنفس العنصرية)؛ لأنهم في الأساس عنصريين، ونحن لم نبدأ يوماً معهم بالضغينة ولا بالصدام ولا بالعنصرية]

وإكمالاً لتحليلي: إنما إذا كان اليهود يملكون شيئاً نزوتنا الآسرة فيه، فإننا مستعدين للركوع إليهم وتقبيل أيديهم والذوبان في كيانهم من أجل رضاهم ومنحنا نشوتنا ولذتنا من عندهم..

على كل حال هناك بعض التلميحات في المشهد الأخير بينه وبين ويندي.. والذي يُدعم تحليلي.. كان يمشي بسرعة دلالة على الطيش والرعونة والتدله، وكانت تمشي تتهاذى على الطريق، دلالة على التريث والحصافة والوقار..

وربما يؤكد مزاعمي تلك الجملة: (( وتجلّى في وجهها ذلك الحزن القديم الذي يعتريها )) (صفحة 405

والذي شعرت أنه يلمح للكلمة المشهورة: دموع التماسيح.. أو ذلك الحزن المُخادع الذي يرسمونه دائماً على وجوههم ليثيروا عاطفة العالم من أجلهم..

- بالنسبة لنهاية شيماء وطارق.. فهي تجمع بين الحزن والسعادة.. بشكل مُتناقض..

وإن كانت هي أقرب للنهاية السعيدة، عندما أتى طارق ليستعيدّها ( وهذا واضح من لحاقه بها وابتسامته لها).. وهذا يُدعم الخواطر الأولى التي كانت تخاطر بها قبل أن تتساهل معه، تلك الخواطر التي كانت تردّ بها على تحذيرات أمها، وكأنّ النهاية تقول أن تلك الخواطر الشيطانية هي التي ضمنت لها استعادة طارق حسيب في النهاية.. وربما تجعلها هذه الخواطر جاهلة بالدين بشكل مُتناقض مع التزامها، وربما تكون كافرة أو مُرتكبة لكبائر تضعها في مصاف الكفار بتدبير الله وحكمته...

شيء آخر غريب.. وهو أن يعود طارق بعد أن تنتهي شيماء من إجهاض حملها منه، المفروض أن تكون النهاية السعيدة أن يعود إليها قبل أن تفعل فعلتها، ويتزوجا ويحافظان على طفلهما.. فلماذا عاد بعد الأمر؟!..

والسؤال هل ستقبله شيماء، بعد أن تخلي عنها، وتركها تجهض نفسها؟.. تبدو لي النهاية عجيبة ومحيرة..

والسؤال الذي يُناوشني ولا أجد له إجابة.. أن علاقة طارق بشيماء تسببت له في أن يحصل على درجات سيئة، وقد طالبه الدكتور فريدمان بأن يُصح مساره، ويتجاوز محنه العاطفية، حتى يستعيد مستواه السابق، ويكون من الأوائل.. المفروض ألا يعود طارق لشيماء حتى يعود إلى تفوقه ونبوغه، إنما معنى أن يعود إليها فهو قد ضحى بالدراسة والبروز في مجال الهيوستولوجي.. ومع هذا فلم أجد في الرواية تفسيراً يُجيب على سؤالي، بجانب كثير من الأسئلة الأخرى..

لو رجع طارق إلى شيماء يريد أن يتزوجها، فلماذا تركها تجهض طفلها؟!..

إلا إذا كان رجع إليها ليعيشا في الحرام، بحب زائف، وهذا معناه المزيد من الرسوب !!

وما معنى أن يتزوجها في القنصلية من بعد إجهاضها إن حصل ذلك؟ ألم يتأكد من حبه لها إلا بعد أن حملت، وأجهضت جنينها، فذهب ليتزوجها؟!..

وحتى لو سلمنا بزواجهم في القنصلية، هل يجوز ذلك بدون رضا الولي، وهو شرط أساسي في أي زواج؟ كيف نضمن أن يكون الزواج في القنصلية، بدون إذن الولي أمر جائز؟

الأمر غير مفهوم!..  
المهم أن أول فعل تبادر إلى ذهني عندما قرأت نهايته مع شيماء:  
اقتباس:

(( وسرعان ما ظهر طارق حسيب.. بدت ذقنه غير حليقة، ووجهه شاحباً مُرهقاً وكأنه لم ينم من فترة.. تقدم خطوات حتى وقف بجوار الفراش.. تطلع إلى شيماء بنظرته المحملقة، ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة.  
تمت بحمد الله ))

أن هتفت:  
الله أكبر..

لقد قرر أخيراً..

إنه يحبها، ويريد الزواج منها.. على الطريقة الأمريكية تماماً..  
بعدما تعاشرُوا معاشرة الأزواج، وحملت منه.. قرر أنه يحبها فعلاً،  
ويرغب في الزواج منها..  
وعلى طريقة تعبير ناجي عبد الصمد عندما كان ينتظر مومساً، أقول:  
أيها السادة.. يا للسعادة.. !!!

بالنسبة لنهاية الرواية عامة.. شعرت أنها ضعيفة.. وأحسست أن  
بعض من الشخصيات لم تأخذ حظها من النهاية بشكل كامل مثل كرم  
دوس، كارول وجرهام، وجيف رفيق سارة، كما أن بعض النهايات انتهت  
سريعاً بدون تفصيل مُستحق مثل شخصية مروة..  
ولدي تلميح.. بخصوص شخصية كرم دوس، وهو أنه برغم اشتراكه  
مع ناجي في إصدار البيان المُخرج للرئيس أمام العالم، فإنه لم ينال أي  
عقاب أو مؤاخذه أو تأنيب.. فحتى لم نلاحظ له أي وجود في النهاية..  
وربما هذا يُدلل على أن المسألة النصرانية فيها بعض التعقيد والتناقض...  
في المُجمل أتت معظم النهايات ضعيفة ولا تشفي جُل التفاصيل التي  
كنزتها في عقل القارئ في بداية الرواية ومنتصفها وقبل نهايتها..  
ومع هذا فبإمكاننا فنياً تصنيف النهاية بالنهاية المفتوحة.. وربما يكون  
هذا التصنيف نقطة المؤلف القوية أمام النقاد والمُثقفين..

في أول الرواية كتب الراوي إهداء:  
اقتباس:

"..إلى أمي وأبي..  
..لعني لم أخيب أملهما..".

أترضى والدته بمشاهد الجنس المُفصلة في الرواية؟..  
أيرضى والده بالوصف الدقيق للعملية الجنسية التي نشرها ابنه على  
الورق؟..

أيها المؤلف..

أترضى أن يقرأها أولادك؟..

أترضى أن يقرأها النبي صلى الله عليه وسلم؟..

في رأيي أن الجنس نعم هو جزء واقعي في الحياة، إلا أنها العملية الوحيدة التي تتم في غرفة مُغلقة لا يتواجد فيها غير شخصين فقط (ذكر وأنثى).. نعم الجنس جزء واقعي من الحياة لا شك في ذلك، غير أن واقعيته المنضبطة تأتي من أنه عملية خاصة لا يجوز عرضها على الملأ، وإلا فلا مناص من أن يُجامع الزوج زوجته في الشارع، أو أمام أهلها.. ولا بد للروائي الواقعي أن يحترم تلك الواقعية بحدودها، حتى يُحافظ على الجو العام للواقع، حيث أن للجنس سرية معينة محددة.. فهي إن خرجت للواقع روائياً، فلاحتمال الأكبر أنها ستكون عبارة عن نكات ومزاح وطرائف في جلسة سمر أو مجون... كما يحدث في الواقع..

\* لدي تعليقين آخرين أود أن أطرحهما يجعلني في مكان محايد.. وهو أنه مهما كانت رمزية الرواية وحُسن نية المؤلف، واحترافه، وعبقريته.. فإنني بدون معذرة أقف بجانب الناس وفهمهم السطحي البليد.. لن يستطيع معظم الناس في مصر أن يفهموا تلك الرمزية (بالفعل رأيت أمثلة كثيرة من شرائح الشعب تُدلل على وجهة نظري، وهي موجودة بغزارة على الانترنت) أو مدى تلميحات المؤلف في الرواية، إنني أنتصر لاحترام عقول هؤلاء الناس مهما بلغت من غباء، ومهما بلغت من سطحية وسذاجة..

لقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ( عاملوا الناس على قدر عقولهم ).. وإنني مقتنع بتلك القاعدة تماماً في توجيه الأدب أو الفكر أو الثقافة إلى الناس بشكل يفهمونه، ولا يبدو مُختلطاً عليهم.. ( أكثر فيما يخص التناقض الجنسي المُشبعة بها الرواية )  
إنني أعتقد أن الكتابة فن راقٍ يتعامل بعبقرية مع عقول البسطاء.. وفي هذا المكسب المحيط في رأيي..

ولا يتعامل هذا الفن بهبوط وإسفاف واستغلال مع غرائزهم فقط.. إنني حتى مقتنع أن مناقشة تلك القضايا الغريزية تستلزم أسلوباً عبقرياً لا يشيع الفحشاء أو المغالطة والتشويه بينهم، بسبب بساطتهم وجهلهم.. بل إنني مقتنع أن العبقرية المثلى هي في إبداع فن راقٍ يتعامل حتى مع المثقفين والعقلاء والواعيين برفعة واحترام وتعفف وموضوعية..

ومهما حاول المؤلف أن يُعبر عن صورة فحسب؛ لأنه يعتقد أن الكتابة القصصية ما هي إلا طرح المشكلات على وجهها الحقيقي، بدون معالجة أو طرح لحل..

فأعتقد أن من واجبنا أن نُصح تلك الصورة، ونطرح المُعالجة، ونصوب الأفكار التي طرحها المؤلف في الصورة التي رسمها (بدقة) (تُعد إبداعاً منه)، حتى لا تختلط الصورة على الناس، ولا تؤثر على معتقدهم، ولا على ثقافتهم بشكل سلبي وساذج..

فقد يعتقد الناس أن المؤلف يطرح فكراً جديداً، ومنطق حر...!! على سبيل الساذجة والطيبة، وما أكثر اتصاف المصريين بهذه الصفة.. يصدقون أي شيء بسرعة..

وحين ذلك تكون الطامة الكبرى إذ يتحول ما يناقشه المؤلف من سلبيات إلى واقع متجذر وراسخ ومتشعب في المجتمع، وتتضاعف السلبيات على ما كانت أول مرة.. ويكون ذلك بسبب محاولة لمؤلف أن يرسم صورة سلبية معينة..

الأدب ليس (جاروف) يا سادة لسلبياتنا..  
الأدب مشعل يُنير لنا الطريق في ظل الظلام والصورة السلبية التي نعيش في أحشائها..

الأدب فن أنيق يليق بمكارم الناس..  
لِم نجعله سلعة رخيصة يتناولها حثالة الناس..  
وبالتالي ننزل بذلك الفن الراقي النبيل إلى حضيض النفوس المرزولة بالمرض والجهل...

التعليق أو السؤال الثاني..  
وهو ما الذي جعل رواية شيكاغو - ومن قبلها رواية عمارة يعقوبيان - الرواية الأكثر مبيعاً في الوطن العربي أو في الغرب؟..  
ما هو حقاً عامل الجذب الذي جعل إقبال الناس عليها كالجراد المنتشر، وهم الذين لا يُحبون القراءة أساساً؟..  
في رأيي الخاص أن عامل الجنس المُباح والمُتاح للجميع والمُعبر عنه بأدب عدواناً وظلماً هو أهم العوامل لانتشارها..  
وأستعير هنا سطرأ لأحد القراء، رداً على تلك الجزئية:  
اقتباس:

قد يكون "الأسواني" يعد روايته لتتحول لفيلم كما حدث لسابقتها.. و الفيلم يلزمه الكثير من البهارات والتوابل حتى وإن أفسدته من وجهة نظر متذوق الفن، فهم أقلية، والأهم من سيدخل الفيلم بحثاً عن قبلة هنا وحضن هناك..

وتصنيفي للرواية إعلامياً هي رواية للجنس المستشرع.. أي أن الرواية صدرت بشكل رسمي عن دار نشر رسمية معروفة ومشهورة... والخطورة تكمن في تشريعية الأدب الجنسي ورسميته، أي أنه لا مناص ولا غبار من قراءته علناً، أو نشره بجانب الثقافة والأدب والعلم.. وهُم من الأمور التي تسمو بالروح وبالإنسان..  
( ( قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {100} )) [سورة المائدة]  
( ( أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ {18} )) [سورة السجدة]

كما أضع قاعدة من وجهة نظري توضح ما نريده من الأدب، الذي نريده أن يسود مجتمعنا، ويشيع الثقافة التي تتجه بالمجتمعات إلى القمة، ولا تهبط به إلى القاع..  
طرح السلبيات بشكل سلبي نتيجة سلبية أو ربما سلبية مضاعفة.  
طرح السلبيات بشكل إيجابي منضبط نتيجة إيجابية.  
طرح الإيجابيات بشكل سلبي نتيجة سلبية.  
طرح الإيجابيات بشكل إيجابي عبقرى نتيجة إيجابية، وربما إيجابية مضاعفة.

تم بحمد الله

## \* تنويه أخير

هذه دراستي النقدية للروايتين.. حاولت فيها أن أكون محايداً تماماً من وجهة نظري.. أحترم مؤلفها، وأحترم أعماله في أجزاء معينة.. وبالطبع الاختلاف من حق الجميع، وهو لا يُفسد للود قضية.. ذلك الود الذي أجاهد من أجل أن يحل بين الجميع.. ذلك الود الإنساني المحض، وذلك الود للكرامة التي منحها الله للإنسان عندما ركب فيه العقل.. عندما نختلف ولا نحترم فنحن نعترض على صنعة الله في العقل، ونعترض على حرية العقل التي تُعين الإنسان على إبداء تصرفاته ومعتقداته بأي منطلق..

نعترض على سنة الله عز وجل في البشر، بل وفي الكون كله..  
( ( وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ {118} ) )  
إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ {119} ) )<sup>112</sup>  
( ( وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ {19} ) )<sup>113</sup>  
( ( إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ {8} ) )<sup>114</sup> ( ( وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ {22} ) )<sup>115</sup>  
( ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {69} ) )<sup>116</sup>  
( ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ {27} ) ) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ {28} ) )<sup>117</sup>  
( ( وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ) )<sup>118</sup>

112 [هود]

113 [يونس]

114 [الذاريات]

115 [الروم]

116 [الحج]

117 [فاطر]

118 [141: الأنعام]

الاختلاف موجود، وسيظل موجود ما دامت السماوات والأرض..  
إنما يبقى الاحترام المتبادل هو المبدأ الذي يُنظم ويضبط تلك الصفة  
العاقبة في البشر وفي حياتهم، بحكم معجزة العقل، العقل الذي يُغير ردود  
أفعاله وتحليلاته ونتائجه بمجرد اختلاف طفيف في الظروف أو في  
الاحتياج أو في طريقة التفكير...  
ولكل بشري كرامة، تلك الكرامة التي تكفل حرّيته، وتعطيه مساحة  
محددة يُمارس فيها حقوقه..  
من حق العقول كلها أن تُبدي آرائها، ومن حق بعض العقول الإشادة،  
ومن حق بعض العقول الأخرى الاعتراض.. وأهم شيء يجمع بينهم هو  
الموضوعية والصدق في التناول..  
والاحترام المتبادل..

## \* ختاماً

أحب أن أضع هذا الجزء من كلامي في دراستي النقدية لرواية عمارة يعقوبيان:

أطلب طلباً من كل من قرأ دراستي..  
إذا وجدت ما يستحق الرد على أي من أرائي فافعل أرجوك..  
وإذا وجدت ما يستحق أن تصوبني فيه، فلا تتردد لحظة واحدة...  
وإذا وجدت أن هناك فكرة أو رأي ليس كاملاً.. فبالله عليه لا تتكاسل  
ولا تكون سلبياً، أكملهما ولك الأجر مرتين.. مرة عندما استرعاك فكرة أو  
فكرة ليست كاملة، ومرة عندما أكملتها وأضفت عليها...  
وإلى اللقاء في دراسات نقدية أخرى بإذن الله..

وأنظر المناقشات والحوارات والأطروحات البناية من جميع القراء  
الكرام.

عمر أحمد سليمان

## مُلحق:

### \*\* خامساً: قضية أدبية مهمة للمناقشة

كان نقاشاً ثرياً أقامه أحد الأدباء الأفاضل: أ علاء سعد من فترة طويلة  
2006/6/29، في منتدى صناع [www.sona3.org](http://www.sona3.org)  
سأدرج ما تم في النقاش.. وبالنسبة للنقاش الذي قمت به فسأفرده بعد  
إدراج المناقشات الأخرى في الموضوع، والذي سأحاول تنقيحه والتعديل  
عليه.. وكذلك سأصرف في بعض المناقشات الأخرى بما يصب في مسار  
موضوع روايتي عمارة يعقوبيان وشيكاجو..

في البدء قام الأستاذ علاء سعد بحسن بعمل موضوع في المنتدى  
الأدبي، باسم "قضية أدبية للمناقشة"، بتاريخ 2006-06-28، الساعة  
02:01، وتم التعديل الأخير 2006-06-29 الساعة 08:59.  
وكان الموضوع كالتالي:

## \* قضية أدبية للمناقشة

عمارة يعقوبيان – بنات الرياض  
نفتح الباب أم نغلقه ؟

خلال الأسبوع الأخير قرأت رواية بنات الرياض للطبيبة السعودية الشابة ( رجاء الصانع ).. كما تابعت بعض أبعاد الضجة التي أثارتها، مع تخيلي لكثير من جوانب تلك الضجة حتى قبل أن أقرأ عنها، بمجرد بداية قراءتي للرواية ذاتها..

ولم يتيسر لي إلى الآن قراءة رواية ( عمارة يعقوبيان ) للطبيب علاء الأسواني، لكنني قرأت نقداً ومقارنة لها مع الفيلم المأخوذ عنها ويحمل نفس الاسم..

الرابط بين العاملين تمثل في محاولة الكشف عن الفساد أو رصد الواقع الاجتماعي دون موارد وتجميل، أو لفت النظر إلى ظواهر وعوارض اجتماعية مرضية في أغلبها، لا يعني تجاهلنا لها عدم وجودها بقدر ما يعني سكوتنا عنها موافقة ضمنية على وجودها باعتبارها أمراً واقعاً..

جاءت الروايتان لتسلطا الضوء على المناطق المسكوت عنها سواء قصد كاتبها معالجة هذا الفساد بإزاحة الستار عنه والتنبيه بقوة إلى وجوده ( جرس إنذار )، أو قصدا الاعتراف به والتعايش معه بصفته ظاهرة اجتماعية لا بد من التسليم بها..

وهذا ما لن يتيسر لنا أن نعرفه أبداً؛ لأن النوايا أسرار مودعة عند الله تعالى وحده..

إلا أن الروايتين اشتركتا في تسليط الضوء على حزمة من ملفات الفساد الاجتماعي، منها ما هو تقليدي في المعالجة الأدبية والإعلامية:

- 1 - تحكم التقاليد البالية ( بنات الرياض )
- 2 - علاقة الرجل بالمرأة في المجتمعات المحافظة بنات الرياض
- 3 - تجارة المخدرات عمارة يعقوبيان
- 4 - المصالح السياسية عمارة يعقوبيان
- 5 - خلفية الإرهاب عمارة يعقوبيان

ومنها ما هو غير تقليدي، من أمثال:

- 1 - الشذوذ الجنسي في عمارة يعقوبيان
- 2 - تمرد البنات على الواقع الاجتماعي وحيلهن المختلفة ( بنات الرياض )

3 - انفصام الشخصية في المجتمع السعودي بين الضوابط والرغبات ( بنات الرياض )

4 - المغامرات غير السوية للشباب السعودي ( بنات الرياض )

قضايا الفساد غير التقليدية تضعنا أمام وضع شائك.. النفس لا ترتاح إلى مناقشته، بينما يقره العقل تماماً بهدف كشف الفساد وتعريضه..

قضايا أكثر إلحاحاً موجودة في مجتمعاتنا لاشك وتحتاج إلى معالجة سريعة وعميقة ومتواصلة وتشمل ملفات الفساد الشائكة والصعبة:

- زنا المحارم
- التحرش الجنسي سواء المثلي أو المختلط
- إدمان المواقع والقنوات الإباحية ( الجنسية )
- العادة السرية
- انتشار ( عرض ) ولا أقول ظاهرة - باعتبار عدم الشيوع والاستمرارية - الكتابة الأيروسية ، وهي كتابة قصص أشبه بأفلام البورنو يكتب صاحب القصة عن علاقة جنسية كاملة في مواقع إنترنت مخصصة لذلك..
- ظاهرة تبادل لقطات جنسية على البلوتوث عن طريق (الهواتف المحمولة )
- ( الخلوية ) - الجوال )، أبطال اللقطات من المجتمعات المحلية ( خليجيين ومصريين وشوام ) وكذا تبادل هذه الملفات على أجهزة الكمبيوتر..
- ممارسة ما يمكن أن يعرف بـ ( جنس أون لاين ) على الشات والمحمول

بين عدم استراحة النفس للخوض في تلك الأشواك، وإلحاح العقل لتناولها بقوة.. أفتح باب قضية أدبية للمناقشة.. عبر المحاور الآتية:

- 1 - نفتح باب المعالجة الأدبية وملفات الفساد أم نغلقها ؟
- 2 - ما هي ضوابط المعالجة بحيث تكون إصلاحية وليست دعائية بغرض نشر الرذائل واعتياديتها من قبل المجتمع
- 3 - هل الأدباء الملتزمون بالبعد عن تلك المناطق يعيشون حقيقة في أبراج عاجية؟
- 4 - لماذا نرحب - في إطار المطالبة بحرية التعبير - بتعرية الفساد السياسي ، ونرفض بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي ؟
- 5 - ما هي نسب التعبير المتاحة التي من خلالها يعالج المبدع قضية اجتماعية دون أن يوحي بعموميتها أو يدعو لانتشارها أو بمعنى آخر ينأى بنفسه عن الدخول في دائرة التحذير القرآني ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ) سورة النور 19؟

6 - كيف ينزل الأديب المصلح إلى الشباب ( باعتبارهم مرضى اجتماعيين بممارسة هذه البلايا ) لانتشالهم من بلوهم ، إن لم يتم التعبير عنهم بصدق وواقعية وعمق ؟

قضية أظنها خطيرة أرجو من كل صاحب رأي المشاركة وعدم الإحجام على أن تكون المشاركات على قدر المسؤولية وبعيدة عن الاشتباكات الجانبية..  
\*\*\*

كانت العضو "غادة" هي المُشارك الأول، التي وضعت ردها الأول على الموضوع، ودخلت في النقاش، بتاريخ 28-06-2006، الساعة 06:30 وكان ردها كالآتي:

أحيك أخي الكريم على هذا الموضوع بشدة  
هذا الموضوع كان لابد من مناقشته هنا بالذات لأنني وجدت أن كل شخص حتى هنا يحب أن يتناول أي قضية من هذه القضايا فهو يتناولها وهو محاذر ومتوقع لكثير من النقض..  
وغالباً يكون نقض مبني على غير أساس، ولكن في النهاية فلا نملك إلا أن نقول جزاك الله خيراً على هذا الطرح.

أما عن الموضوع نفسه فهذا يحتاج إلى ترتيب أفكار للإجابة على هذه الأسئلة الكثيرة التي طرحتها، ولكن من اشتياقي للإجابة سأجيب وأحاول جاهدة أن أكون مُرتبة إلى حد ما..

وإن لم أتمكن، فارجوا قبول معذرتي، وسأرجع للترتيب في وقتٍ لاحق..  
أما عن الرواية أو الفيلم فأنا لم أقرأ أي من الروايتين المذكورتين..  
ولم أشاهد الفيلم، ولكني أعرف بالضبط ما هو الموضوع الذي أردت أن تفتح فيه باب النقاش.

فمناقشة القضايا أياً كانت لا أعتقد أنه بها أي حرج ولماذا لا نناقش أي قضية نريدها ونجدها حولنا، فنحن الآن لم يعد كما تقول نرى هذه الأشياء على الانترنت أو المحمول أو غيره لأنني أعتقد أن من يفتح هذه الأشياء هو مريدها فقط..  
أما نحن فنرى أكثر من هذه الأشياء الإباحية في الشارع، وأصبح في كثير من العمارات بالمدن الجديدة شقق بها فطائع، لم نكن نتصور في يوم من الأيام انتشارها إلى هذا الحد..

وإذا لم نناقش هذا بأسلوبنا فنحن نترك المجال لمن يتاجر بهذه المناقشات لا ليناقش، بل ليخادع الناس، فيناقش من جوانب بها إبراز للفتن، وإثارة للشهوات.

ولكن كما سألت أخي الكريم فهناك ضوابط أكيد للمناقشة، فمثلاً لا يجب عند تناول أي كاتب قضية معينة للمناقشة أن يجعل قارئها يحس أو يعتقد بأن كل المجتمع أصبح هكذا..

لأننا كثيراً نجد هناك فيلم أو رواية تتحدث عن موضوع معين فيأتي بعشر أسر أو بكل أشخاص الرواية، كلهم بلا استثناء يمارسون هذا العمل الذي يستكره، مما يجعل القارئ يحس أنه ليس هناك أي شرفاء في الدنيا غيره.

ولكن عند عمل كهذا يجب أن يوضح الجوانب الايجابية في المجتمع تماماً كما يبرز الجوانب السلبية، مع توضيح النهايات المناسبة في نفس الرواية، ويجب أن يكون الثواب والعقاب دنيوي؛ ليؤثر في الناس والشباب بحالة خاصة (الذين تكلمت عنهم أخي)، فدائماً العقاب الأخروي يستشعره البعض بعيد مما يؤدي إلى التراخي.

هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فيجب عدم الاستفاضة في موقف معين، حتى لو كان الغرض شريف؛ لأنه سيؤدي إلى نفس ما يؤدي إليه العمل الذي قصد من ورائه انتشار الرزيلة.

ولي على ذلك بعض الأمثلة:

هناك قصص كثيرة لنجيب الكيلاني، وهو الكاتب الإسلامي، وأكد أننا أحسبه على خير ولا أركى على الله أحداً. والله وحده هو عالم النوايا، ولكن من منا يشك في أن هذا الرجل كان يريد من وراء رواياته إلا الخير. ولكني أقولها وبصراحة شديدة أن هناك كثير من رواياته كان بها نوع من المط لبعض المواقف التي يمكن أن يقال عنها أنها تثير إلى حد ما أي شاب لم يتزوج.

( لم أكن أحب أن أتكلم عن هذا الموضوع ولكني تعرضت له هنا لأنني أجدها من باب الأمانة إذا كنا نحاول أن نناقش الموضوع بأمانة وألا نجاهل أحداً للوصول إلى الغاية المرجوة لكي لا يقتدي به أحداً في هذه النقطة)

كل هذا مع تقديري الشديد لهذا الكاتب الذي لم يوجد بعد من يضاهيه..

وإجمال هذه الكلمات وهي من ضوابط المعالجة يأتي في الآتي:-

- 1\_ عدم إبراز النواحي السلبية دون النواحي الايجابية في المجتمع في العمل الواحد.
  - 2\_ إبراز الثواب والعقاب الدنيوي لتأثيره السريع والمباشر على الناس.
  - 3\_ عدم الاستفاضة والتفصيل في المواقف المثيرة.
  - 4\_ عدم استهتار الكاتب بمشاعر الشباب ( أي عدم التقليل مما يعانيه الشباب أثناء مقاومته لهذه الفتن). وهذا من باب الواقعية.
- وإذا وفق الكاتب في تناول جميع ضوابط المعالجة السليمة فلا عليه بعد ذلك أي حرج من المناقشة لأي موضوع يراه من هذه الموضوعات التي باتت من كوارث المجتمع؛ لأن الفساد الاجتماعي (على حد اعتقادي) أكثر قدرة على الفتك بشعوبنا أكثر من الفساد السياسي.
- ولا يمكن أن يتنزه كل الكتاب المحترمين عن فتح هذه الملفات؛ لأنها من باب الأمانة والواجب الذي سيُسأل عنه؛ لأنه لو لم يناقشها لناقشها غيره ممن لهم أراء قد تدمر الشباب أكثر وأكثر. فهناك مدعوا الحرية والانفتاح. ( وسيب الشباب يجرب

بكره يفهم، وخليه يعيشله يومين بكره يتجوز ويعقل)، إلى أن يعتاد الشاب على الرذائل، ولن يوجد أحد لكي يفسد سياسياً لأن الكل سيكون قد دُمر.

ورجائي لكل من بيده أن يكتب، فليكتب ويناقش ولا يخشى في الله لومة لائم.  
ولا يخشى إلا الله، فلا يخاف من نقد أو ادعاء، طالما يُراعي الله فيما يكتب.  
والله المستعان

\*\*\*

ورد عليها "أ علاء سعد حسن"، بتاريخ 29-06-2006، الساعة 09:07، رداً كالتالي:

أختنا الكريمة عادة  
شكرا لمروورك وتشجيعك ورأيك  
وهو واضح وأظن انه مرتب، وقد أعدت تلخيصه بوضوح ففكرتك وصلت ( كما  
يقول مقدمو برامج الفضائيات )

أرجو من المتناقشين تجاوز نقطة الملاحظة التي أبدتها الأخت عادة عن الدكتور  
الكيلاني

وإن كان ولا بد، أن يخصص رابط آخر للحوار حول تلك الملحوظة..  
أما موضوعنا فيبقى للحوار حول النقاط الأساسية..  
وبالمناسبة التمثيل بكاتب أو رواية معينة مقبول في هذا الرابط توضيحاً  
لصورة، لكن على من له رأي آخر عن نفس الكاتب أو الرواية أن يطرحه بعيداً،  
حتى لا ننجذب إلى قضايا فرعية ( هذا فقط ما أردت أن أنوه إليه )

وشكرا مرة أخرى للأخت عادة للاهتمام والمشاركة

\*\*\*

وكان النقاش الثاني من أخت عزيزة، "الشيمااء يعقوب"، الذي شاركت  
به، بتاريخ 01-07-2006، الساعة 01:18، وهو كالاتي:

بسم الله الرحمن الرحيم  
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

1 - نفتح باب المعالجة الأدبية وملفات الفساد أم نغلقها ؟  
ملفات الفساد مفتوحة في المجتمع ويدخل إلى هذه الصفحات الملايين كل يوم،  
هي مشاكلنا ومشاكل مجتمعنا الذي نرنو إلى صناعته وتطويره، فهل تجاهلنا لهذه  
القضايا وعدم الخوض فيها يعفي أثرها من المجتمع ويمحها، بالطبع هذا الفساد إن  
أغلقتنا ملفات فهو رغم عنا منتشر ومزدهر إلى أبعد الحدود وضحاياه من شباب  
مجتمعنا الذين ربما لو تحركنا ووضعنا أيدينا على هذه القضايا لعادوا إلى مكانهم  
في المجتمع وصنعوا حياتهم..

ومن ثم ما فائدة كوننا صناعاً للحياة ونحن نهرب من هذه المناطق ما الفائدة؟، وما المجتمع المثالي الذي نريد صناعته في غياب شريحة منه؟...  
وعلينا سواء أخفقنا أم نجحنا أن نجرب ونحاول ونتناقش إلى أبعد الحدود في كل الآم وجراح المجتمع العربي والمسلم على وجه الخصوص... وأهم صناعة للحياة أن تضع يدك في تلك المناطق... فلنفتح الملفات معاً ملفاً ملفاً...

2 - ما هي ضوابط المعالجة بحيث تكون إصلاحية وليست دعائية بغرض نشر الرذائل واعتياديتها من قبل المجتمع؟  
فكرة محددة لا أدري ولكن لو التزمنا وسرنا على النهج الذي ورد في السنة والقرآن لعلاج هذه القضايا سيكون بعيداً بالطبع عن الدعائية ونشر الرذائل، فإذا اعتمدنا في علاجها على هذا النهج سنصل إلى حلول وعلاج....

3 - هل الأدباء الملتزمون بالبعد عن تلك المناطق يعيشون حقيقة في أبراج عاجية؟

سيدي، إن للأدباء دور في نهضة هذه الأمة لا يُنكره عاقل، ولكن نحن لا نستطيع أن نحدد للكاتب على الإطلاق عما يكتب أو فيما يكتب، وإنما كتاباته ترجع إلى دوره هو الذي حدده لنفسه في المجتمع، ونيتة هو، التي يريد من خلال كتابته إبداءها ودعمها، رسالته في المجتمع بكل تأكيد ناقصة إذا التزم البعد عن هذه المناطق، وهو بذلك يحرم الكثير من موهبته التي ربما تساعد في دعم وإيجاد حلول لقضايا الأمة، وهو بتخليه عن الكتابة كذلك إنما يتيح لغيره المجال في دعم الفساد بالطبع غيره ممن التزم بإبطال تقدم نهضة المجتمع....  
وباختصار هذا المجتمع من أراد أن يعيش وينهض به فليعيش فيه بكل جوانبه ونواحيه.....

4 - لماذا نرحب - في إطار المطالبة بحرية التعبير - بتعرية الفساد السياسي، ونرفض بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي؟  
بقية الأسئلة أستاذي لا تبدو واضحة لي، ربما علي الاستماع أولاً لبقية الإخوة والأخوات من ثم العودة والتعليق، فأين هم؟؟  
\*\*\*

وكعادة قائد الموضوع، فقد كان علي عاتق "أ علاء سعد" مناقشة كل مشارك بما أنه فتح النقاش، فرد قائلاً:

أشكر الأخت الشيماء يعقوب على سرعة استجابتها..  
وأقرأ بتمعن مشاركتها..

اسمحوا لي أن أبدأ تقليداً ربما يكون جديداً، وهو إضافة ردود من منتديات ومواقع أخرى لأهمية وحيوية الموضوع الذي نناقشه..

أحد الردود التي جاءتني من قهوة كتكوت:

"وهبه"

السلام عليكم ورحمة الله  
موضوع مهم وحيوي بالتأكيد  
وأسئلة تبحث عن إجابة محايدة طبقاً لمجتمعنا الإسلامي...

فبعد الحملات المتتالية على الإسلام والمسلمين والتجرو على كشف ستر  
المجتمع بما فيه من عيوب جوهريّة، مثل قضية البهائيين، ومن قبلها عبدة  
الشیطان بعدما ماتت فكرة الهييز...

كل ما ورد في الكتابات التي تعبر عن الحرية وتنامي مساحتها.. يعتبر تقليد  
للمجتمع الغربي فيما يبثه على شعوبه من مواد من شأنها أن يحكم الناظر إليها  
ومشاهدها على أنها حرية تامة، وبمجرد أن يستطيع الشاب أو الفتاة الاعتماد على  
نفسه في كسب قوت يومه فيجب عليه الانفصال عن الأسرة لمواجهة الحياة دون  
حصانة أخلاقية كافية لمواجهة انحلال الأخلاق..

فبالتأكيد ما ينفع عند الغرب لا يكون بالضروري مفيد لنا، بل من الممكن أن  
يضر بالشبيبة..

وهذا نتاج السماء المفتوحة وغزو الفضاء وإزالة العراقيل حول أي عمل كتابي؛  
ليسهل بثه مهما كان فيه من دعاوى فسق أو مجون أو سفور، وربما يدخل فيه  
الإلحاد (والعياذ بالله)...

بداية أود أن أقول أن الباحث عن الشهرة، والمروج لها يعنيه في المقام الأول  
كتابة عمل أدبي فريد ولم يكتب بعد لما كان من تحفظات سابقة من خجل وحياء  
واعتبار أن الكتابة بكل حرية ودون مراعاة الجانب الديني الإنساني لدى المجتمع  
الشرقي، حتى رأينا أن أكثر الجرائد مبيعاً هي التي تبحث عن نشر الفضيحة  
والجرائم الغريبة...

هذه قراءة أولية لأن الموضوع مهم جداً.. ولا بد أن يحصل على حقه في البحث  
والنقاش

متمنياً أن يُثار نقاش حقيقي حول القصص المشابهة التي تتحول إلى أفلام  
ليسهل نشرها أكثر..

ولا أخفيك سراً أن حركة الماسونية العالمية تستقطب كبار الكتاب والمشاهير  
وغيرهم؛ لتبث سمومها في المجتمعات التي تغنيها وتكون هدف لها...

بدعوى الحرية.. والمجد والشهرة..

شكراً

وعلى أمل اللقاء إن شاء الله

---

## رفيدة

### إقتباس:

قضايا الفساد غير التقليدية تضعنا أمام وضع شائك.. النفس لا ترتاح إلى مناقشته، بينما يقره العقل تماماً بهدف كشف الفساد وتعريضه..

قضايا أكثر إلحاحاً موجودة في مجتمعاتنا لاشك وتحتاج إلى معالجة سريعة وعميقة ومتواصلة وتشمل ملفات الفساد الشائكة والصعبة:

- زنا المحارم
- التحرش الجنسي سواء المثلي أو المختلط
- إدمان المواقع والقنوات الإباحية ( الجنسية )
- العادة السرية
- انتشار ( عرض ) ولا أقول ظاهرة - باعتبار عدم الشيوع والاستمرارية - الكتابة الأيروسية، وهي كتابة قصص أشبه بأفلام البورنو يكتب صاحب القصة عن علاقة جنسية كاملة في مواقع إنترنت مخصصة لذلك
- ظاهرة تبادل لقطات جنسية على البلوتوث عن طريق (الهواتف المحمولة ( الخلوية ) - الجوال ) ، أبطال اللقطات من المجتمعات المحلية ( خليجيين ومصريين وشوام ) وكذا تبادل هذه الملفات على أجهزة الكمبيوتر
- ممارسة ما يمكن أن يعرف بـ ( جنس أون لاين ) على الشات والمحمول

أخي الكريم أستطيع أن أقول أن القضية الأولى التي سنناقشها هي حول:  
أخلاقية الأدب الإسلامي، وموقفه من تصوير الشر والرذيلة..

بالنسبة إلى هذه القضية فأقول، اشتد الجدل- منذ القديم - حول أخلاقية الأدب وما يزال هذا الجدل قائماً حتى اليوم..

ففرق كبير من الأدباء والنقاد يرى أن على الأدب أن يكون أخلاقياً، وفرق كبير يرى أن الأدب لا يغدو أدباً إلا إذا تجرد من كل قيد حتى قيد الأخلاق..  
ويؤيد هذا الفريق رأيه بقوله: "إن مكن الجمال في الأدب إنما هو الإبداع والإتقان، فأنت إذا أجدت تصوير الشر والرذيلة فإنك لا تقل فضلاً عما يجيد تصوير الخير والفضيلة..

أما الذين يدينون بأخلاقية الأدب وعلى رأسهم "جويو" من النقاد المحدثين و"توفيق الحكيم" من النقاد العرب المعاصرين فيبيدان رأيهما في هذا الموضوع بدقة ووضوح، حيث يقول "جويو":

"إن الروح الأخلاقي عند الفنان كعبقريته يجب أن ينبعا معاً وفي وقت واحد من أعماق طبيعته، وإن الفن غير الأخلاقي - هو على كل حال- أخط مرتبة من الفن الأخلاقي، وذلك من الوجهة الفنية الخالصة، فالفن العالي ليس ذلك الذي يثير في النفس أحر المشاعر وأعنفها فحسب، وإنما هو ذلك الذي يثير فيها أكرم المشاعر وأنبلها".

أما "توفيق الحكيم" فيعرض وجهة نظره في ضرورة أخلاقية الأدب فيقول:  
"إنني لا أتصور فناً لا يصور الرذيلة كما يصور الفضيلة، ولا يبرز الشر كما يبرز الخير، فحرية التصوير هذه مفروضة ومطلوبة، وإن المشكلة عندي لا تكمن في حرية التصوير، وإنما تكمن في الإحساس الأخير الذي يستقر في نفوس قراء هذا الأدب".

وهو يرى أن هذا الإحساس لا بد من أن يكون أخلاقياً أو أن يكون -على الأقل - غير مجاف للأخلاق، وهو يؤيد رأيه في ضرورة أخلاقية الأدب بقوله:  
"إن خطر الأدب يبدو في أنه يملك القدرة على استدرار عطفك على من يصورهم من الأشخاص، وإثارة إعجابك بهم... فإذا عرفنا أن العطف والإعجاب يُعديان كما تعدي الأمراض السارية أدركنا خطر الأدب غير الأخلاقي... ولا ريب في أن الأدب الذي يقود قائله إلى العطف على الانحلال والإعجاب بالرذيلة والانحدار إنما هو أدب هدام، لأن مجتمعاً بأسره يمكن أن يسري فيه العدوى عن طريق ذلك الأدب".

ثم يضيف "توفيق الحكيم" إلى ذلك قوله:  
"إن وظيفة الأدب أن يؤثر في النفس والفكر... ولكن ما نوع هذا التأثير؟  
ويجب عن هذا التساؤل بقوله:

"إن نوع التأثير هو الذي يحدد الفن، فإذا طالعت أثراً فنياً كقصيدة أو قصة أو صورة - وشعرت بعدئذ أنها حركت مشاعرك العليا، أو تفكيرك السامي فأنت أمام فن رفيع، وإذا لم تحرك إلا المبتذل من مشاعرك، والتافه من تفكيرك فأنت أمام فن رخيص".

ذلك هو موقف النقاد من قضية "أخلاقية الأدب وتصويره للشر والرذيلة"  
فما موقف الأدب الإسلامي من هاتين القضيتين المتشابكتين؟

\*\*\*

وكان لا بد أن يُشارك شقيقه الأستاذ "محمد حسن حميدة"، ويدخل في نقاش مُنظم كما عادته، وها هي مُشاركته بتاريخ 2006-07-02، الساعة 10:20:

هذا ما سأعالجه في الحلقة المقبلة بإذن الله

.. أفتح باب قضية أدبية للمناقشة.. عبر المحاور الآتية:

**1 - نفتح باب المعالجة الأدبية وملفات الفساد أم نغلقها؟**

نفتح باب النقاش و على مصراعيه

---

## 2 - ما هي ضوابط المعالجة بحيث تكون إصلاحية وليست دعائية بغرض نشر الرذائل واعتياديتها من قبل المجتمع

قبل أن أسرد ضوابط معينة من وجهة نظري أحب أن انوه عن أساليب لكتاب غربيين من أمثال "تشارلز ديكنز" و "فيكتور هوجو" وغيرهما..  
تشارلز ديكنز عندما عرض نموذج شخصية مدمنة خمر عرضها بصورة منفرة جداً ( مظهر سيء - غضب متواصل - لهفة على المال مما قد يؤدي للسرقة - إنفاق على الخمر، وترك الزوج والأولاد جياع )  
بينما يقوم الكاتب العربي أحياناً بعرض شخصية مدمن الخمر أو المخدرات بصورة متعاطفة ومحبة أحياناً ( الشخص الرومانسي الذي صدمته الأقدار فوق في فخ الإدمان - بعد الإدمان يكون خفيف الظل، مظهره غير مرتب، ولكن على نحو يجعل مظهره موضة جديدة، ويقول أحلى نكتة، يستخدم أحكام حكمة، وما شخصية النبي منا ببعيد )

و من وجهة نظري إن أهم ضوابط المعالجة:

1 - هو التعرض للفساد بشكل لا يحملنا على التعاطف معه، يمكن تقديم أسباب أدت للفساد، ولكن الابتعاد عن نموذج الجبرية؛ الذي يقضي بأن المفسد لم يكن يستطيع تجنب طريق الفساد (نموذج جعلوني مجرماً - مسرحية ريا و سكينه في مشهد دفاعهما عن نفسيهما بعد ارتكابهما جريمة القتل الأولى بحق زوجة الأب الظالمة التي دمرت حياتهما )

2 - التعرض للفساد دون تعريفنا طريقة ممارسته؛ لتظل المسافة بين إظهار الفكرة الفاسدة وتنفيذها بعيدة تماماً عن ذهن القارئ، بالذات إذا كان صغير السن..  
بعض الروايات تعلم القارئ كيف يوقع بامرأة عفيفة ويخترق حصونها ويفسد أخلاقها

(كان لنا زميل أديب يساري في مركز شباب كان قادراً (قبل أن يتوب) على الإيقاع بأي فتاة في برائته مهما كانت مؤدبة، وأرجع أنا تلك المهارة إلى قدراته الأدبية وثقافته الأدبية التي علمته أكبر كم من خطط الإيقاع بالفتيات)

3 - البُعد عن الإثارة.. فقصّة نبي الله يوسف وامرأة العزيز خير مثال على هذا..  
عرض لفساد امرأة العزيز بكل دقة دون إثارة، وهناك أبعاد في القصة لا يتم اكتشافها إلا عبر التفكير والنظر المتدبر، الذي لا يكون إلا لنفس راسخة العلم والثقافة، مما يجعلها بعيدة عن ذهن القارئ السطحي، وبالتالي فهو أسلوب إعجازي يقدم مستويات متعددة لإدراك القصة كلّ وفق حاجته وقدرته على الإدراك

---

## 3 - هل الأدباء الملتزمون بالبعد عن تلك المناطق يعيشون حقيقة في أبراج عاجية؟

نعم يعيشون في معزل عن الحياة والمجتمع، و بالتالي يفتقدون التأثير في حياة الناس..

(نموذج التوسع في أدب المقاومة بشكل يركز على جانب البطولة بما يتعدى الواقع أو ربما كان أقل من الواقع، لكنه أقل من مستوى التصديق)

---

**4 - لماذا نرحب - في إطار المطالبة بحرية التعبير - بتعرية الفساد السياسي، ونرفض بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي؟**

تفرقة لا معنى لها، لكن تعرية الفساد الاجتماعي لا يعني إبرازه بالشكل الذي يدعو الناس إليه، و كما سبقني الإخوة: (العبرة بما رسخ في وجدان القارئ)

---

**5 - ما هي نسب التعبير المتاحة التي من خلالها يعالج المبدع قضية اجتماعية دون أن يوحى بعموميتها أو يدعو لانتشارها أو بمعنى آخر ينأى بنفسه عن الدخول في دائرة التحذير القرآني ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ) سورة النور 19؟**

أوضحت إجابتي على تلك النقطة في الأسئلة السابقة..

---

**6 - كيف ينزل الأديب المصلح إلى الشباب ( باعتبارهم مرضى اجتماعيين بممارسة هذه البلىا ) لانتشالهم من بلواهم، إن لم يتم التعبير عنهم بصدق وواقعية وعمق؟**

ربما يكون الأديب أكثر قدرة على مساعدة الشباب أصحاب البلىا، لو استطاع أن يُكثف جهده في زاوية معالجة المرض، ولا يكثر ادعاءا للتحذير من إظهار كيف انحدرت إنسانية الإنسان..

اعرض لي قصة شاب استطاع النهوض من كبوة الإدمان، واعرض الصراع بين الرغبة في تجاوز الإدمان باعتباره محنة و بين ترديه في الهاوية..

\*\*\*

**وبتاريخ 10-07-2006, 11:25 قام "أ علاء سعد" بكتابة تكملة رائعة لموضوعه الأصلي يُشارك فيه برأيه:**

نعرض الآن لنموذج قرآني كريم وفريد في عرض صور ومظاهر الفساد في قصص رائعة..

القصة الأولى يقول تعالى: (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {22} وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ {23} وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا

الْمُخْلِصِينَ {24} وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {25} قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ {26} وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ {27} فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ {28} يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ {29} وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {30} فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ {31} قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاِصْصَمَ وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُصْجَنَنَّ وَلَيَكُونَا مِنَ الصَّاغِرِينَ {32} قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرَفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ {33} فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ {34} ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِّنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيُصْجَنَّنَّهُ حَتَّىٰ حِينَ {35} <sup>119</sup>

## ملاح الفساد الاجتماعي والسياسي

### 1 - صباية امرأة العزيز وهيئتها حباً في غلامها يوسف عليه السلام

2 - مراودتها إياه واستعدادها لها، وقد كانت العبارة مجملّة غاية الإجمال واضحة غاية الوضوح بما توحى من ظلال، ومع ذلك لم ترسم لنا أية تفاصيل تاركة التفاصيل لخيال المتلقي فكل يفهم منها ما يتراءى له من صور في غير إثارة أو تهويل أو مبالغة.. خطاب يخاطب العقل والعاطفة، ولا يتعدى ذلك إلى الغرائز والشهوات

3 - استمرار المشهد كاملاً بما فيه من صراع والسباق تجاه الباب وإصرار المرأة وهي تجذب قيمص الفتى فتقطعه.. فلم تكن الآية الكريمة مجرد إشارة عابرة، ولكنها قصة كاملة تصور لحظات الصراع، لكن في ظلال هذا الأدب الجم.. وهي مع ذلك لا تترك شيئاً للبس والغموض، فبراعة يوسف عليه السلام كانت حاضرة في المشهد من أول لحظة ( معاذ الله - لولا أن رأى برهان ربه - وقدت قميصه من دبر ) لا مجال لاستنتاج البراءة أو تأول غيرها فهي واضحة وضوح الشمس

4 - لحظة المفاجأة أمام العزيز، وكيد المرأة التي أصدرت الحكم مسبقاً وكادت لفتاها لاستعصامه، وعدم صمت الفتى تجاه الفرية، بل دفاعه عن نفسه في وضوح وثقة ( هي راودتني عن نفسي )، ثم ظهور البراءة بالأدلة والبراهين المادية ( فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيدكن )

5 - النوع الثاني من الفساد الاجتماعي، وهو نوع من الخنوع الرجولي والاستسلام لفتنة وإغواء وسيطرة المرأة، وما يمكن أن يطلق عليه إجمالاً لفظ ( دياثة ) الواضح في تصرف العزيز الضعيف الذي اقتصر على اللوم المدلل أكثر منه القاسي أو الرادع

6 - وتنتقل بنا القصة إلى مظهر آخر من مظاهر الفساد، وهو فساد نساء الطبقة الاجتماعية الراقية ومجالس الغيبة والنميمة ( وقال نسوة في المدينة ) والخوض في الأعراض والخصوصيات

7 - تفشي الشائعات وظاهرة نقل الأقاويل من قصر العزيز إلى الطبقة الأرستقراطية والعكس ( فلما سمعت بمكرهن )، ثم فساد قيم هذه الطبقة ذاتها والنسوة اللائي ادعين الشرف والفضيلة من قريب يفتن بيوسف حتى تصيب الواحدة منها يدها وهي لا تشعر من شدة ما اعتراهن من خدر لرؤية جمال يوسف عليه السلام - ثم الصراحة الفجة التي واجهتهم بها امرأة العزيز ( أنا راودته عن نفسه ) ثم التلويح بالتهديد بالسجن والعقاب

8 - الفساد السياسي الذي يحمي الفساد الاجتماعي والعكس، فكلاهما متلازمان، المرأة أوامرنا نافذة في شؤون الدولة، ولذا فهي واثقة من تنفيذ تهديدها لفتاها بالسجن لا لجريمة غير عدم إذعانه لها

9 - استمرار حالة الفساد السياسي حين يصدر القرار بسجن يوسف - دون أي جريمة - ورغم وضوح الأدلة بالنسبة لساجنيه ( ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ) أي رغم ظهور الأدلة، ثم تأمل في مدلول قوله ( بدا لهم ) بما توحيه من استبداد مطلق، فيحكمون بأهوائهم دون رجوع لعدالة أو قانون، وما ترتب على ذلك أيضاً من نسيان المعتقل رهن اعتقاله بضع سنين، وهو ما يحدث في أي نظام مستبد يحكم بالطوارئ..

لاشك أن كل من يقرأ القصة من القرآن الكريم فهم منها معاني أساسية مشتركة، ثم تُعطي القصة مستويات متعددة من الفهم، لكن في إطار من مخاطبة العقل والعاطفة النظيفة في غير تأجيج للشهوات والغرائز.. ثم هو النموذج الأدبي القدوة.. أو ما هو عمل الأديب ليصل إلى هذه الموائمة الفريدة من كشف الفساد بغير إفساد ؟

وهو سؤال نتلمس إجابته بعد استعراض النموذج الثاني من القرآن الكريم..

مثال آخر:

( وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ {80} إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ {81} وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ {82} فَانْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ {83} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ {84} )<sup>120</sup>

( وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ {54} أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ {55} فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ {56} فَانْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا مِنَ الْغَابِرِينَ {57} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ {58} )<sup>121</sup>

( كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ {160} إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ {161} إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ {162} فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا {163} وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ {164} أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ {165} وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ {166} قَالُوا لَنْ لَّمْ تَنْتَهَ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ {167} قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ الْقَالِينَ {168} رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ {169} فَانْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ {170} إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ {171} ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ {172} وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ {173} إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ {174} )<sup>122</sup>

#### أهم السمات العامة

- 1 - تناسب عرض الرذيلة أو الفساد مع حجم العقاب من حيث النوع والكم العرضي ( من خلال مساحة النص )
- 2 - عدم الدخول في التفاصيل مع الوضوح الكامل للمعنى
- 3 - سرعة العقاب
- 4 - نموذج المصلح الاجتماعي

\*\*\*

وها أنا ذا، ومُشاركتي التي قُمت فيها بالنقاش في إطار الموضوع المطروح، بتاريخ 22-08-2006، الساعة 03:22:  
نقاشي سيتناول نقطتين ..

النقطة الأولى، وهي الإجابة على أسئلتك والتناقص حولها..  
والنقطة الثانية خاصة بقصتي ( ملحمة المصير ) ..

## النقطة الأولى..

### الإجابة على الأسئلة محل النقاش..

سأعلق أولاً عن كلامك..

معظم القضايا التي تحدثت عنها الروايتان هما من أكثر القضايا شيوعاً في عصرنا الآن.. سواء التقليدية منها أو غير التقليدية، التي تسير في طريقها إلى التقليدية..

أما بالنسبة للقضايا الأكثر إلحاحاً في مجتمعاتنا، وهي ذات الوقت تحتاج إلى معالجة سريعة وعميقة ومُتواصلة.. وهي قضايا حساسة للغاية بالغة الخطر..

وقد تكون فعلاً صعبة التناول بالنسبة للكاتب أو الأديب.. حتى لمجرد التطرق لمصطلح بذاته يُعد أمراً بالغ الصعوبة والحساسية.. العصر الذي نحن فيه يعاني من هذه القضايا الشائكة.. التي تُهدد مجتمعاتنا بالانحدار..

ونحن أمام مُفترق طرق.. لا نعرف هل نُعالج الأمر بطرق حل المشكلة المنطقية، أو بفكر المُفكر، أو بتناول الأديب.. أم نُسلم بها ونعتبر الحديث عنها شيئاً مُشين.. ومن ثم نتعاش مع بسليباتها، ونحدر ونحدر، ثم بلعنة الله لا يكون لنا بعدها دابر..

من رأيي أن مجرد تفشي قضية فساد في المجتمع يجب على المُصلحين إصلاحها وتناولها بشكل جدي أخلاقي عفيف..

وأنه يجب اعتبارها ظاهرة ضارة بالمجتمع عظيمة الخطر عليه.. يجب التصرف بسرعة لبترتها.. بغض النظر أن الدين حقر وكره الإثم والفسوق والعِصيان، غير أن الدين به صلاح المُجتمعات كلها..

أريد أن أقرب أكثر من الموضوع..

قضية تكلمت عنها أنت.. وهي:

اقتباس:

( - انتشار ( عرض ) ولا أقول ظاهرة - باعتبار عدم الشيوع والاستمرارية - الكتابة الأيروسية، وهي كتابة قصص أشبه بأفلام البورنو يكتب صاحب القصة عن علاقة جنسية كاملة في مواقع إنترنت مخصصة لذلك.. )

فِعلاً لقد رأيت هذا المِثال بالصدفة، وليتني ما رأيته.. فلقد صُدمتُ أشد الصدمة..

فلقد كنتُ أبحث عن قصص على الشبكة، وأتجول في المواقع التي فيها قصص، وفجأة رأيت رابط مكتوب عليه قصص جنسية، اندهشت.. ربما شيء بذيء.. إنما الفضول غلبني، وللعلم لم يكن عندي فكرة عن هذه القصص بأي حال من الأحوال.. فلأنظر ما هذه القصص.. ودخلت..  
.. ويا للمُفاجئة..

مُنْتدى كامل مُخصص للقصص الجنسية.. بل روايات طويلة.. قرأت بعضاً منها، الأسلوب قوي واللغة أقوى، والحبكة متوفرة للغاية، إنهم موهوبين فعلاً.. لكن للأسف أن موهبتهم يُوظفونها في سبيل الطاغوت، ولا حول ولا قوة إلا بالله..

أحزنني هذا الأمر جداً، واعتبرته ظاهرة جديدة في الكتابة تُهدد مُجتمعنا بالخطر، وشبابنا بالزوال، والخير بالشر في الأرض..  
أي هدف تسعى إليه تلك الثلة من الكتاب؟؟..

وهذا هو الخطر.. الخوف أن سعيهم يكون في سبيل شهرة في هذا المجال على أرض الواقع!..

وبالبيديهي هؤلاء لا يدخلون تحت مُسمى أدباء ؛ لأن الأدب أرفع من ذلك وأجل وأقوم وأهدى سبيلاً..

كما أنه مُناقشة رفيعة للفكرة، واختيار للكلمات العفيفة التي تحمل المعنى ولا تخدش الحياء..

والأدب مُخاطبة للذوق والوجدان والعقل، وليس مُخاطبة للغرائز والشهوات والجسد..

والعبقريّة والإبداع هو في كيفية التعبير والتصوير دون استخدام كلمات وألفاظ وجُمْل فاضحة خادشة للحياء، وبأقل وصف ممكن.. والإيجاز عند العرب كان جزءً من إبداعهم وأدبهم الرفيع.. كما انتهج القرآن الكريم تماماً..

كما أن الفن والإبداع لا يكونا إلا ارتقاءً بالروح والوجدان والذوق، وليس العكس..

كيف يكون الأدب أدباً، وهو يهدم مُجتمعه ثقافياً وفكرياً ويمتد الهدم سلوكياً.. فيكون مُجتمعاً فاسداً، لا تقوم له قائمة، وينحدر إلى أسفل سافلين..

إن الإبداع والفن هو الذي يترك أثراً إيجابياً في فرد من المُجتمع سيمتد أثره إليهم وللأمة التي ينتمي إليها، ونتيجة لهذا تُبنى حضارة مرموقة،

لأنها حينها سوف تنبني على مقومات صالحة إيجابية، ليس فيها عدوى سرطانية تمحي أو تهزل من صانعيها.. والتاريخ يشهد على ذلك.. كيف بُنيت الحضارات..

فويل للذين يكتبون ما يضلون به عن سبيل الله..  
والواقع أن هؤلاء الشباب يُعبرون بموهبتهم عن ثقافة العصر السائدة الآن.. ثقافة الجنس.. ويا للأسف..  
موهبتهم عبارة عن حبر من القذارة والدنس والفحشاء والمُنكر، يُنافسون بها الأفلام والصُور الفاضحة الفاجرة المُحرمة..  
وكلّ له رواده.. والعياذ بالله..

ولعني تعرضت لهذه القضية من ضمن القضايا الأكثر إلحاحاً للإصلاح ؛ لأن موضوع الكتابة هذا له خطر عظيم ؛ لأن الكتابة من أنواع الثقافة التي تؤثر على المجتمع.. ؛ ولأن هذا المجال يحمل في طياته كل أنواع الخُبث الأخرى من زنا المحارم، والتحرش الجنسي سواء المثلي أو المُختلط، إدمان المواقع والقنوات الإباحية ( الجنسية ) وشرائط الفيديو، العادة السرية، ممارسة ما يمكن أن يعرف بـ ( جنس أون لاين ) على الشات والمحمول..  
أعاذني الله منهم وإياكم..

وألاحظ أنها أخطر من أي مادة ثقافية أخرى.. نظراً لعدة أمور:  
أولاً: ضالة سعتها وتحميلها.  
ثانياً: سهولة وجودها سواء على الشبكة أو على أرض الواقع .  
ثالثاً: ثمنها البخس بالمقارنة بالمواد الأخرى مثل شرائط الفيديو، أو الـ sd، أو مواقع الشبكة الاتصالية..  
رابعاً: سهولة البحث عنها والتعامل معها.. بالمقارنة بالشبكة أو بشرائط الفيديو أو الـ cd...

أما بالنسبة لأسئلتك أخي التي طرحتها موضع النقاش.. فأليك أجوبتي عليها...

## 1 - نفتح باب المعالجة الأدبية وملفات الفساد أم نغلقها ؟

ج - طبعاً يجب، بل فرض أن تُفتح.. لأنها ملفات فساد.. يجب أن نُعالجها لنصون المُجتمع من أضرار الفساد المُتعاقة نتائجها المزرية.. فنحن مسئولين في الأرض أن نُصلحها ونُعمرها.. وندفع عنها الفساد.. وشرط على مَنْ يفتحها أن يكون شخصاً جديراً بالإصلاح، صالحاً معروفاً برجاحة العقل، مُلمّاً بأبعاد القضية، حريصاً على أن يكون تناوله عفيفاً جاداً بعيداً عن التعميم أو التشهير أو التفصيل.. وكما تقول أختنا الشيماء يعقوب.. إن لم يفتحها صناعاً للحياة، فَمَنْ سيفتحها.. وصُنّاع الحياة هُم الذين في أيديهم صلاح المُجتمع كلٌّ في تخصصه، وهذا هو تخصصنا المعنيين به.. الفكر والأدب.. فنحن نتناقش في أمر يهمننا كأدباء مُصلحين وصانعين نهضة أدبية في الأمة.. فيتوجب علينا فتحه ومُعالجته... فالأمر من أولوياتنا كصناع نهضة أدبية..

## 2 - ما هي ضوابط المعالجة بحيث تكون إصلاحية وليست دعائية بغرض نشر الرذائل واعتياديتها من قبل المجتمع ؟

ج - طبعاً الضوابط هي المطلوبة ما دام الأمر فيه حساسية مثل هذه القضايا الخطيرة.. والأخت العزيزة الكريمة عادة ذكرت بعض الضوابط: اقتباس:

- 1\_ عدم إبراز النواحي السلبية دون النواحي الايجابية في المجتمع في العمل الواحد.
  - 2\_ إبراز الثواب والعقاب الدنيوي لتأثيره السريع والمباشر على الناس.
  - 3\_ عدم الاستفاضة والتفصيل في المواقف المثيرة.
  - 4\_ عدم استهتار الكاتب بمشاعر الشباب ( أي عدم التقليل مما يعانيه الشاب أثناء مقاومته لهذه الفتنة). وهذا من باب الواقعية.
- وإذا وُفق الكاتب في تناول جميع ضوابط المعالجة السليمة فلا عليه بعد ذلك أي حرج من المناقشة لأي موضوع يراه من هذه الموضوعات التي باتت من كوارث المجتمع ..

وكذلك الأخ العزيز محمد حميدة ذكر ضوابط مهمة للغاية: اقتباس:

و من وجهة نظري أن أهم ضوابط المعالجة:  
- هو التعرض للفساد بشكل لا يحملنا على التعاطف معه يمكن تقديم أسباب أدت للفساد، ولكن الابتعاد عن نموذج الجبرية الذي يقضي بأن المفسد لم يكن يستطيع تجنب طريق الفساد (نموذج جعلوني مجرماً - مسرحية ريا وسكينة في مشهد دفاعهما عن نفسيهما بعد ارتكابهما جريمة القتل الأولى بحق زوجة الأب الظالمة التي دمرت حياتهما )

- التعرض للفساد دون تعريفنا طريقة ممارسته لتظل المسافة بين إظهار الفكرة الفاسدة وتنفيذها بعيدة تماماً عن ذهن القارئ، بالذات إذا كان صغير السن..  
بعض الروايات تعلم القارئ كيف يوقع بامرأة عفيفة و يخترق حصونها و يفسد أخلاقها..

(كان لنا زميل أديب يساري في مركز شباب كان قادراً (قبل أن يتوب ) على الإيقاع بأي فتاة في برائته مهما كانت مؤدبة وأرجع أنا تلك المهارة إلى قدراته الأدبية و ثقافته الأدبية التي علمته أكبر كم من خطط الإيقاع بالفتيات )

- البعد عن الإثارة.. فقصة نبي الله يوسف و امرأة العزيز خير مثال على هذا..  
عرض لفساد امرأة العزيز بكل دقة دون إثارة، وهناك أبعاد في القصة لا يتم اكتشافها إلا عبر التفكير والنظر المتدبر الذي لا يكون إلا لنفس راسخة العلم و الثقافة، مما يجعلها بعيدة عن ذهن القارئ السطحي، و بالتالي فهو أسلوب إعجازي يقدم مستويات متعددة لإدراك القصة، كل وفق حاجته و قدرته على الإدراك..

وأضيف عليهم ما يلي..

أعتقد أن القرآن الكريم دستورنا ومنهاج الحياة.. منهاج ودستور لكل صاحب مجال يعمل فيه..

وبالنسبة لنا كأدباء، فما أحسنه وأفضله وأجوده وأعظمه من مُعلم لنا، إذ هو كتاب مُعجز في لغته، وبلغ في معانيه، ومُبهر في أسلوبه.. الأدب بذاته ينحني سجوداً تبجيلاً لقدره، ومُستواه الرفيع..

والقرآن تكلم في كل شيء أو نوه عنه.. وكانت كلماته هي كلمات رب العالمين، مَنْ يقرأها يرى فيها كلمات مُختارة بعناية، ولا عجب إذا كنا نعلم مصدرها.. كلمات تُخاطب الرُّوح والوجدان والذوق قبل أن تُخاطب مادة أو جسد.. حتى في القضايا التي تخص أمر مادي سري بين الزوج والزوجة عبر عنه بأعف الألفاظ وأدقها وأبعدها عن الإثارة..

فما أكمله من دستور ومنهاج، وما أرفعه من مثال يقتدي به الأدباء عندما يريدون نصاً بديعاً مُتكاملاً..

أعتقد أنه لو قامت دراسة على منهج القرآن في القصص التي فيها قضية تخص أمراً جسدي أو مادي كموقف امرأة العزيز مع يوسف، أو في النهي عن الجماع في الحيض، أو في نهار رمضان، أو مُنكر قوم لوط، أو عن الزنا و حده... إلخ... سنجد كمأ هائلاً من الضوابط المُبهرة التي تقي المُجتمعات شرور السوء، وعواقب مُحاولات غير مدروسة لحل مثل هذه القضايا الخطيرة التي تُواجه المُجتمع..

### 3 - هل الأدباء الملتزمون بالبعد عن تلك المناطق يعيشون حقيقة في أبراج عاجية؟

ج - هذا المصطلح أرى أنه كلمة حقد من أناس غوغاء مُوجهة لمُفكرين وأدباء يُفكرون بمنطق مثالي وآمال عالية وأسلوب راقٍ.. أو أعمالهم مُوجهة لفئة من الناس تُناسب فكرهم، وهم في الحقيقة أقل خطراً من الذين يقتربون بدون خطوات محسوبة، برغم أن هؤلاء الذين يبعدون عن المناطق الخطرة هم المُناطون بمعالجة هذه القضايا ؛ لأنهم يعرفون خطورتها، وإذا عبروا عنها يُعبرون عنها بالتزام وألفاظ حريصة، ألا تصف الشيء بمسماه الحقيقي الخادش للحياء والمُثير للغرائز.. كما أن الكاتب من حقه أن يكتب ما يريد، سواء ناسب عصره أم لا.. فله حرية التعبير كما يشاء، ومن حق الناس أن تقرأ له أو لا شأته.. ومن زاوية أخرى يُعتبر هؤلاء خطراً عظيماً - من هؤلاء الذين يقتربون - بسلبيتهم.. التي تترك الساحة كلها للمعالجة الخاطئة التي تُفسد ولا تُصلح.. فتجعل الفاسد مُركز وطاغي، لا يوجد غيره، ولا يُسمع سواه، فيزداد الطين بلة... لكن لو ملئ هؤلاء الصُلحاء فراغهم الموجود لا اعتدلت دفة الميزان..

ومن زاوية ثالثة.. أعتقد أن الكاتب المُلتزم بالبُعد عن هذه القضايا يجعل شيء من العفة في الإعلام المُوجه، ويجعل هناك مجتمعاً مثالياً، لا يتطرق لموضوعات مُخجلة تنعكس بدورها على المُجتمع فتجعله فاضلاً.. فهو مُحافظ يُحافظ للمُجتمع على أخلاقه وقيمه ومثله العليا في أدبه وفكره.. فالمُجتمع مثلما يحتاج لمُصلحين للفساد، يحتاج لقذورات صالحة أساساً، تُحيل المُجتمع إلى اتخاذ بديل جاهز لا ينشر الرزيلة أو يبعده عن المناطق المشبوهة، فيجعله مجتمعاً طاهراً لا يعرف العيوب من المقال، ومن السلوك، ومن التفكير..

فالأمر ليس كله خطأ.. فإن كان هناك سلبيات، فهناك أيضاً إيجابيات.. وكلام أختي الشيماء يعقوب صحيح.. أنه إذ أن تغاضي الكاتب الملتزم عن الكتابة في القضايا الخطيرة يترك مساحة مهدورة لأي كاتب غير مُلتزم لا يملك وعياً كافياً لتصعيد المُشكلة وتفاقمها واستمرارها بشكل أبغض..

كما أنه على أي كاتب مُلتزم أن يعي مرحلة عصره واحتياجات الإصلاح فيه.. وأن يستعمل موهبته من أجل هذه الغاية، وأن يحل المشكلة بأسلوبه مُوجهاً إياه إلى فئة مُعينة من الناس.. إن كان أسلوبه لا يُناسب إلا فئة

معينة منهم.. غير أنه يقوم بدوره، ويُقدم ما ملكته يداه.. وهكذا كل كاتب يُقدم أطروحة الحل نحو فئة معينة مع الضوابط المُلتزم بها والوعي المدروس الذي تكلمنا عنه..

#### 4 - لماذا نرحب - في إطار المطالبة بحرية التعبير - بتعرية الفساد السياسي، ونرفض بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي ؟

ج - هذا غريب فعلاً.. برغم أن الأخيرة - الفساد الاجتماعي - هي نتيجة لازمة للفساد السياسي بلا ريب..

غير أن تعرية الفساد الاجتماعي تحمل قضايا حساسة لا بد من ضوابط لها لمناقشتها بأسلوب مدروس بعيد عن أي ضرر أو تأثير غير سامي والوصول إلى علاج مُحكم وراذع..

وفي الحقيقة أن الأمر مؤامرة أو ربما نزعة بشرية سمجة.. إذ ننشغل بالسياسات الخاصة بالحُكام، فلا ننشغل بأنفسنا وتمحيص مُعتقداتنا، ومراقبة سلوكياتنا، وتعديل مسارنا الحياتي للمسار الصحيح.. حتى وصلنا لدرجة بتنا نشبه الحُكام فيها، وننقضهم وعيبهم فينا..

حتى عندما نريد أن نعالج أمورنا الاجتماعية نعالجها بطريقة خاطئة غير مُتخصصة، بدافع أننا مُستمعين بالأخطاء والضلالات والانحرافات فلا نريد حلها بسهولة، وعندما نريد لا تكون المعالجة صحيحة.. نظراً لقلّة مرات التجارب للإصلاح أو للمفهوم الخاطئ عن حرية التعبير..

ومن زاوية أخرى، من ناحية أنها مؤامرة.. بالفعل كما يقول أستاذ عابد بأن الفساد السياسي يحمي بالضرورة الفساد الاجتماعي للحفاظ على وجود الفساد السياسي.. فمن مصلحة الفساد السياسي أن يكون المُجتمع والشعب متغافلاً ومنقوعاً في بئر من الفساد الاجتماعي، حتى لا يلومه على فساده السياسي، فلو استيقظ المُجتمع وفاق من غفلته وأصلح من عقليته وسلوكه سينتبه للفساد السياسي، وسيقاومه.. وهو بذلك سيواجه فسادين:

فساد سياسي، وفساد اجتماعي.. عليه أن يُصلحهما معاً.. وهذا هو الواقع فعلاً.. غير أن الحمل ثقيل..

#### 5 - ما هي نسب التعبير المتاحة التي من خلالها يعالج المبدع قضية اجتماعية دون أن يوحي بعموميتها أو يدعو لانتشارها أو بمعنى آخر يناهض بنفسه عن الدخول في دائرة التحذير القرآني ( إن الذين يحبون أن تشيع

## الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ( سورة النور 19؟

ج - هذا ما نناقشه هنا ، والذي نتكلم عنه من البداية..  
أکید طبعاً هناك نسب أساليب معينة لكل قضية من القضايا، تختلف كل  
منها عن الأخرى..  
لن أستطيع أن أحدد تماماً لكل قضية نسبتها في التعبيرات المتاحة لها،  
إنما أستطيع أن أضع قضية عامة.. أنه كلما زادت حساسية وخطورة  
قضية ما وجب الحذر والتحفظ في التعبير عنها حتى لا يقع المبدع في  
دائرة الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فإن مجال التعبير  
هنا ضيق حرج.. وعليه فإن إبداع الأديب ونبوغه وسعة لغته وحinkته.. كل  
هذا سيظهر نجاحه واحترافه وجدارته في كيفية موازنته بين المعالجة  
الصحيحة المدروسة والإبداع في التعبير عنها..  
وبالنسبة للقاعدة.. فإنه بالعكس كلما قلت خطورة القضية وحساسيتها  
فإن مجال التعبير عنها يكون أوسع ومُتاح بشكل أكبر..

## 6 - كيف ينزل الأديب المصلح إلى الشباب ( باعتبارهم مرضى اجتماعيين بممارسة هذه البلى ) لانتشالهم من بلواهم، إن لم يتم التعبير عنهم بصدق وواقعية وعمق ؟

ج - أعتقد أن الأديب هو أكثر من يستطيع مساعدة الشباب.. فالأديب  
جهاز إعلامي له دور كبير لا يُستهان به..  
وعلي كل أديب يستطيع مساعدة الشباب.. فهناك أدباء، سوء الأدب في  
أيديهم وسيلة للانحدار بالجسد والروح والهبوط بمستوى الإنسان إلى  
أسفل الدركات!!

ومن حيث أن الأديب الحقيقي هو من يسمو بالروح وبالعقول  
وبالوجدان، ويُشجع الفطرة السليمة المستوحاة من الإسلام في إطار سليم  
منضبط.. فهذا هو المخول بمخاطبة الشباب ومعالجتهم..  
لكن.. الأمر أكبر من ذلك..

الأديب ما عليه إلا أنه يكتب على الورق.. والإعلام المقروء أصبح  
وبات ضئيل الانتشار لأسباب نعلمها جميعاً.. كما أن أي عمل أدبي مُقدر له  
أن ينتشر، فإنه ينتشر عن طريق جهاز الأثير.. وأنتم تعلمون كيفية  
انتشارها.. عن طريق الأفلام السينمائية أو المسلسلات، وهذه لا تخلو من  
العبث والابتذال والتطويل والحشو من أجل الرواج، والانتشار.. غير أنها  
تنتشر كانتشار النار في الهشيم !!..

في رأيي.. أن الشباب يحتاجون من الأديب أن يحدثهم بأسلوبهم، ويجتذبهم بطرق تتناسب مع العصر الذي ينتمون إليه.. هذه طبيعة بشرية.. أن الإنسان يحب أن يعيش عصره ومستقبله وينأى عن الماضي.. فهو يعتبره - بالنسبة له - كشاب حديث العهد بالدنيا غير مُجدي معه.. ولا يحب أن يعيش أو يفرض عليه أن يعيش في ظل تقنيات مُستهلكة استهلكها والده من قبل.. يحب أن يكون عصره جديد بتقنياته في كل شيء.. يحب أن يعيش مُتمتعاً باستخدامها، ويحب أن يُخاطبه بها من حوله

فإذا استتب الأمر بالنسبة لطريقة النشر المناسبة، وجب أن يكون المحتوى مُنضبطاً يُزينه إبداع الأديب المُصلح، الذي يكون بمثابة الأخ الأكبر أو الصديق الصدوق، أو أن يكون ذات أو نفس المُتلقى وضميره، وربما احتاج إلى نفس لغته.. لا غضاضة في ذلك.. غير أن الأسلوب له ضوابطه ورُقيه.. وهذا ما يميز الأديب المُصلح..

### وصلنا إلى النقطة الثانية..

وهي الخاصة بقصتي ( ملحمة المصير ).. "هذه القصة كانت مُحاولَة مني لتطبيق فكرتي حيال هذا الموضوع بالذات، قصة قصيرة عن شخص يتواجد في منزله وحده، بدون رقيب، وكانت زوجته في الخارج في مساعدة ضرورية، وكانت لديه وسائل عديدة يُمكن أن يستخدمها بشكل سلبي، وسيء، وتقوم في رأسه معركة ضارية بين استغلال المساوئ أو التغاضي عنها.. وفي النهاية ينام بعد عملية مُجاهدة للنفس مُرهقة، وبعد أن يتخذ كل الأساليب لردع نفسه عن الوقوع في مهاوي النفس الرديئة، وبالتالي أردت أن أبين مغزى أثر مشهور في القصة، وهي أن العمل الصالح تظهر عواقبه في الأحداث المستقبلية، وفي زوجته، وفي أولاده.. والعكس صحيح.."

ولا أعرف هل نجحت في أن أكون الوجهة الإيجابية في الموضوع أم لا !!

ذلك أني لم أتلقي أي رد في نقدها بصورة إيجابية أو سلبية بشكل قاطع..

غير أن هناك عدد لا بأس به ممن حازت على عدم استحسانه..

وأظن أن مَنْ لم يستحسنها أخذها من جهة عدم استراحة النفس للخوض في تلك الأشواك، وأن من استحسنها أخذها من ناحية إلحاح العقل لتناولها بقوة..

الفكرة أساساً قد استوحيتها من قصة اسمها "وسوسة الشيطان" للأديب الكبير عبد الحميد جودة السحار.. ولو تقرءون تلك القصة تقولون أثناء قراءتها إنها وصف تفصيلي للجسد بفتنته لا ينجي من إثارته أحد، وكاتبها مَنْ هو في الكتابة الدينية وتمكنه في اللغة.. مما يجعل وصفه بالغ التعبير والتأثير بشكل عنيف.. لدرجة أنني لم أحب قراءتها مرة أخرى، برغم موسوعة الكلمات فيها وأسلوبها الرائع..، ولولا أنني أردت كتابة "ملحمة المصير" والاستفادة منها فيها ما قرأتها مرة أخرى..

لكنني في "ملحمة المصير" حاولت تطبيق نظريتي في بناء قصة خالية من هذه السلبيات في عدة قصص قرأتها، منها: "وسوسة الشيطان"، ومنها "اتجاهات" لأديبنا المخضرم عصام الدين عبد الحميد.. وإلى الآن أشعر كأنني مثالتهم في نهجي.. برغم أنني أريد العكس تماماً..

والأكثر من ذلك أن هناك مَنْ وضع تقييم، نجمة ذهبية واحدة، والتي تعني ( فظييع جداً ).. دون حتى أن يضع رد يُبرر به تقييمه.. ألا أستحق مَمَن فعل ذلك مجرد رأي؟!!!

وأنا لا أستسيغ أبداً تقييم النجوم الذهبية.. التقييم الذي يهمني ويُرضيني هو الكلمات والنقد البناء الموضوعي.. وهو يُساوي في نظري ألف نجمة ذهبية..

فنحن أدباء مجال تخصصنا الكلمات والحروف، ولا يُغنينا عنها نجوم أو تقييم سواها..

القضية التي تحدثت عنها في القصة قضية تُصنف من القضايا الخطيرة الحساسة.. والتي صنفها أ عابد ب قضايا أكثر إلحاحاً موجودة في مجتمعاتنا لاشك وتحتاج إلى معالجة سريعة وعميقة ومتواصلة وتشمل ملفات الفساد الشائكة والصعبة..

وهي تُعتبر ثلاث قضايا في قضية واحدة.. ألا وهي.. قضية المعصية، الإثم، الحرام..

تكلمت عن كل قضية بعبارة قصيرة مُوجزة، ثم أفضت في الحيرة التي تنتاب شخص ليزاولها أو يتعفف عنها..

باختصار.. أناقش فيها قضية مهمة.. محرجة قليلاً.. ليس شيء مُحدد، إنما تُتناقش معاصي عدة.. إنه موقف نفسي...

هذه قضية منتشرة في القصص الواقعية على الشبكة... لقد قرأت عن الموضوع جيداً بحيث فهمت هذه الأمور جيداً، ثم كتبت عنها.. القضية التي طرحتها في القصة مهمة جداً، وزوجات كثيرات يُعانين منها في أزواجهن، فأحببت أن أعالجها في قصتي.. لو بحثتم وشاهدتم مشاكل الناس ستجدون جزءاً كبيراً من النساء يُعانين من هذه المشكلة في أزواجهن..

أعتقد أنني كتبتها بدون أن أسمى الأشياء بأسمائها.. الأمر جاد، ويُناقش قضية مهمة..

قصتي ليس فيها قلة أدب.. قصتي موضوعية.. وبالنسبة للفكرة فهي في نظري أفضل من قصص أخرى تكلمت عن الفكرة بشكل واضح.. ثم ماذا في القصة... إنها مشاعر إنسانية.. إنني أتكلم عن مشاعر نفسية تائرة في عقل إنسان.. بين المادة والروح... ولقد انتصرت الروح.. وما زلت أقول أن الروح أقوى... هذا ما قرره رب العالمين.. المشكلة أن المادة تنقاد، وتستسلم ولا تقاوم...

أنا لم أذكر مثال سيء انتهى به الحال لقيعان الرزيلة.. بالعكس.. إنني أتيت بمعركة موجودة من الواقع، بين المادة والروح.. ثم انتصرت الروح، وتأكد أن أي إنسان مهما سيفعل تنتصر روحه دائماً، إلا أن المادة لا يهتمها كل الانتصارات، فتنقاد مع معرفتها بالصواب... وأي إنسان مُعرض.. فليرحمنا الله..

القصة.. أ طرح فيها مشاعر نفسية تائرة.. قد يتعرض لها أي شخص.. تتكلم عن أغوار مظلمة ربما تعمي أعين أصحابها.. أريد أن أقول أنه يجب أن تُقرأ القصة أكثر من مرة.. لأن هذه القصة أقل بكثير من قصص واقعية أخرى أسمعها من حين لآخر... على الأقل نهايتها سعيدة تصب في الشريعة والحلال الذي ندعوا إليه.. في النهاية.. أراها أنها حالة مشاعر نفسية بحثة..

أريد أن أختم الموضوع بمقولتي في أول نقاشي:  
إن الإبداع والفن هو الذي يترك أثراً إيجابياً في فرد من المجتمع سيمتد أثره إليهم وللأمة التي ينتمي إليها، ونتيجة لهذا تُبنى حضارة مرموقة، لأنها حينها سوف تنبني على مقومات صالحة إيجابية ليس فيها عدوى سرطانية تمحي أو تهزل من صانعيها.. والتاريخ يشهد على ذلك.. كيف بُنيت الحضارات..

فيما عدا ذلك..

فالموضوع قيم ومتميز للغاية...

ويا ليت أستاذي عابد أن تُدرج لنا مثل هذه النماذج القرآنية، وتحليلها  
ودراستها... فإنها تزيدنا علماً، وتعطينا دراسة قيمة للأدب المثالي كيف  
يكون.. كما أنها تعلمنا كيف نُبدع...

عُمر سُليمان

\*\*\*

كذلك ردت أخت كريمة، اسمها في المنتدى mov، بتاريخ 09-09-  
2006، الساعة 08:23، وكان لها طرحها في الموضوع ونقاشها الجاد:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أستاذ عابد شكرا لطرح هذا الموضوع

بعد إطلاعي عليه وموضوعاته، وللأسف مؤخراً، حيث عرض منذ 6/28، وبعد  
تنويه من الأخ الكريم أمير الخيال في 9/7، وبعد قراءة مداخلات السادة الضيوف  
وبعض السادة أعضاء منتدانا التي ترحب في مجملها بفتح باب النقاش في هذا  
الموضوع، أرى أنه لا مانع مطلقاً من فتح باب النقاش والمحاورة الفعالة، خاصة  
مع وجود نخبة متميزة ذات فكر ومبدأ وهدف.

2 - ما هي ضوابط المعالجة بحيث تكون إصلاحية وليست دعائية بغرض نشر  
الردائل واعتياديتها من قبل المجتمع؟

من خلال النقاش ستتضح ضوابط كثيرة يمكننا العمل بها لتكون إصلاحية،  
وعلينا نحن المتحاورون الالتزام بالكلمة واللفظ، ودون الخوض في تفاصيل، حيث  
أن المنتدى يزروه كثيراً من الضيوف من مختلف الأعمار والفئات والطوائف وكذلك  
النوع. ومن خلال الإجابة على هذا السؤال أضف صوتي لرأي الشيماء يعقوب في  
هذه النقطة.

3 - هل الأدباء ملتزمون بالبعد عن تلك المناطق يعيشون حقيقة في أبراج  
عاجية؟

كلُّ له ظاهره وباطنه ، والعلم عند الله، فالظاهر عن البعض وللأسف أن منهم  
من يعيش في أبراج عالية، أما الباطن وللجميع فعند رب العزة سبحانه وتعالى.

4- لماذا نرحب - في إطار المطالبة بحرية التعبير - بتعرية الفساد السياسي،  
ونرفض بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي ؟

بالفعل كما قال الأخ حميدة بأنها تفرقة لا معنى لها، وأضيف أننا ربما نرفض ويرفض المجتمع الجاد بعنف تعرية أوجه الفساد الاجتماعي، ربما لأن الفساد السياسي غالباً ما ينصب على فئة محددة، أما الفساد الاجتماعي فيشمل كل الفئات من رجال ونساء وشباب وبنات وحتى الأطفال، وعند تعريته يتضح من وراء كل هؤلاء، ومن هنا يتم رفض التعرض إلى الفساد الاجتماعي دائماً.

5 - ما هي نسب التعبير المتاحة التي من خلالها يعالج المبدع قضية اجتماعية دون أن يوحي بعموميتها أو يدعو لانتشارها أو بمعنى آخر ينأى بنفسه عن الدخول في دائرة التحذير القرآني ( إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة ) سورة النور 19؟

النسب كما أوضحت أستاذ عابد في سؤالك وهي ما جاء بالآية 19 من سورة النور، وبما جاء على لسان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً... إلى آخر الحديث. والالتزام التام بسياق الحديث لفظاً وكلمة كما ذكرت سابقاً.

6 - كيف ينزل الأديب المصلح إلى الشباب ( باعتبارهم مرضى اجتماعيين بممارسة هذه البلايا ) لانتشالهم من بلوهم، إن لم يتم التعبير عنهم بصدق وواقعية وعمق؟

ينزل إليهم الأديب من خلال المقالات المستمرة المتتالية في وسائل الإعلام المقروءة، والبرامج واللقاءات الكثيرة والمستمرة والمطولة المتنوعة من خلال الفضائيات، وأيضاً مع الالتزام التام بأداب الحديث، وأخذاً في الاعتبار أن كل الفئات تشاهد وتسمع وتقرأ ما يتم عرضه، ومصادقة هذا الشباب، وإعطائهم الثقة في أنفسهم، وإظهار ما هو حلال وتبعياته، وكذا الحرام وعواقبه، ومن خلال المناقشات معهم وجها لوجه سراً وعلانية إن أراد الشاب هذا.

وتعقياً لهذه النقطة، قد أدرج الأستاذ حميدة اليوم موضوع باسم (أوقفوا هالة سرحان) وربما يكون ورد إلينا جميعاً من خلال البريد الإلكتروني، فلنعتبر بهذا، أثناء المناقشة وليعتبر أيضاً الأدباء المصلحين حتى يتم الوصول إلى الهدف المرجو.

والله من وراء القصد .

\*\*\*

# الفهرس

**\*\* أولاً: مُقدمتي لمشروعي النقدي .....Error!**

**Bookmark not defined.**

**\*\* ثانياً: عدة مقدمات خاصة بالتعريف على المؤلف:**

**Error! Bookmark not defined.....**

**\* سيرة ذاتية لمؤلف الروايتين: ..Error! Bookmark not**

**defined.**

**\* سيرة ذاتية للناقد "صلاح الدين عبيد" في نفس مدونة**

**المؤلف: .....Error! Bookmark not defined.**

**\* تقديم لرواية عمارة يعقوبيان لنفس الناقد: .....Error!**

**Bookmark not defined.**

**\*\* ثالثاً: الدراسة النقدية لرواية "عمارة يعقوبيان":**

**Error! Bookmark not defined.....**

**\* منهجي في النقد: ..Error! Bookmark not defined.**

**\*\* دراسة نقدية لرواية: "عمارة يعقوبيان"، تأليف:**

**علاء الأسواني .....Error! Bookmark not defined.**

**\* رواية بشهرة عمارة يعقوبيان أمراً يدعو للخطورة من أوجه:**

**Error! Bookmark not defined.....**

\* في لحم الرواية. .... Error! Bookmark not defined.

\* والحقيقة أنني لم أرى شخصية سوية في الرواية نهائياً

!! ..... Error! Bookmark not defined.

\* أين مصر من المصريين، وأين المصريين من مصر ؟. Error!

Bookmark not defined.

\* رداً على ادعاء خطير عن أن الراوي مثل مصر بعمارة

يعقوبيان !! ..... Error! Bookmark not defined.

\* الحب في الرواية. .... Error! Bookmark not defined.

\* المرأة في الرواية. ... Error! Bookmark not defined.

\* نقد الرواية فنياً: ..... Error! Bookmark not defined.

\* البديع في أسلوب المؤلف: .... Error! Bookmark not  
defined.

\*\* رابعاً: دراسة نقدية لرواية: شيكاغو، تأليف: علاء

الأسواني ..... Error! Bookmark not defined.

أولاً: تقديم لرواية شيكاغو، كما يتكلم عنها مؤلفها:

..... Error! Bookmark not defined.

ثانياً نقد الرواية: ..... Error! Bookmark not defined.

\* النقد الفني للرواية: ..... Error! Bookmark not defined.

\* النقد الفكري الخاص ببعض القضايا المهمة في الرواية:

..... Error! Bookmark not defined.

\* المرأة في الرواية: ... Error! Bookmark not defined.

\* أسوأ ما في الرواية: ..... Error! Bookmark not defined.

\* الشخصيات التي أحببتها واحترمتها جداً، وأحببت طريقة الكاتب في سردها وإظهارها نوعاً ما: .. **Error! Bookmark not defined.**

\* نقد الرواية حسب ترتيبها: .. **Error! Bookmark not defined.**

\* تنويه أخير: ..... **Error! Bookmark not defined.**

\* ختاماً. .... **Error! Bookmark not defined.**

\*\* خامساً: قضية أدبية مهمة للمناقشة ..... **Error! Bookmark not defined.**

\* قضية أدبية للمناقشة، عمارة يعقوبيان - بنات الرياض . نفتح الباب أم نغلقه ؟ ..... **Error! Bookmark not defined.**